رسائل التوحيدية

استاذ علامه سید محمد حسین طباطبائی

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

Tabāṭabā'ī

رسائل التوحيدية

رسالة التوحيد — رسالة الاسماء

رسالة الافعال — رسالة الوسائط

رسالة الانسان قبل الدنيا — رسالة الانسان فى الدنيا

رسالة الانسان بعد الدنيا

(Arab)
B5074
.T32
1986

بنیاد علمی و فکری
استاد علامه سید محمد حسین طباطبائی

با همکاری

نمایشگاه و نشر کتاب

قم خیابان ارم تلفن ۲۶۴۳۹

تیراژ : ۲۰۰۰ جلد

خرداد ۱۳۶۵

حق طبع محفوظ

چاپ حکمت ـ قم

قد تصدی لطبعها افقر الناس السید یحیی ابن السید زکریا البرقعی اداء لبعض ما علیه من الحقوق

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL>
32101 021971732

فہرست

موضوع		صفحہ
	۱۔ رسالہ فی التوحید۔ وفیہا فصول	
فصل ۱	قول السوفطائیہ والفلاسفہ	۵
فصل ۲	فی ان الوجود حقیقۃ اصیلہ	۶
فصل ۳	فی ان الوجود الواجب لہ اطلاق بالنسبۃ...	۶
فصل ۴	فی الدلایل النقلیہ من الکتاب والسنہ...	۷
فصل ۵	اختصاص التوحید الاطلاقی بالملۃ الاسلامیہ	۱۴
	مقالہ ملحقہ برسالۃ التوحید وفیہا فصول	
فصل ۱	التوحید الذاتی	۱۵
فصل ۲	فی ان اکمل مراتب التوحید مختص بالشریعۃ	۱۶
فصل ۳	فی ان التوحید الذاتی مشہود بشہود فطری لکل...	۱۶
	۲۔ رسالۃ فی اسماء اللہ تعالی وفیہا فصول	
فصل ۱	فی تقسیم اسماء اللہ تعالی	۲۴
فصل ۲	فی الدلائل النقلیہ فی الکتاب والسنہ...	۲۴
فصل ۳	فی ان الذات المقدسہ کانت اول الاسماء...	۲۴
فصل ۴	فی الدلائل النقلیہ من الکتاب والسنہ وفیہا مباحث	۲۸
المبحث الاول	فی اسماء التی خص فی الذکر فی القرآن	۲۸
المبحث الثانی	المیزان الکلی فی تفسیر الاسماء والصفات	۳۳
المبحث الثالث	فی کون الکمالات الاسمائیہ ذاتیہ...	۳۵
المبحث الرابع	فی الاعتبارات وحیثیات الاسماء	۳۸
	۳۔ الرسالہ الثالثہ من کتاب التوحید وفیہا فصول	
فصل ۱	فی انہ لا فعل فی الخارج الا فعلہ سبحانہ	۵۵
فصل ۲	فی الدلائل النقلیہ من الکتاب والسنہ...	۵۶
فصل ۳	فی ان نظام کل سافل ثبت فی ما فوقہا ثبتا...	۶۰
فصل ۴	فی الدلائل النقلیہ علی ما مر فی الفصل الثالث	۶۳
فصل ۵	فی ان النفوس المجردہ فی اول وجودہا...	۶۶
فصل ۶	فی الدلائل النقلیہ من الکتاب والسنہ...	۷۲
فصل ۷	فی ارتفاع التوہم من ان سبق القضاء والقدر...	۸۹
فصل ۸	فی الدلائل النقلیہ من السنۃ علی ما مر فی الفصل..	۹۲
فصل ۹	فی انتزاع المشیۃ من الموجود الصادر منہ سبحانہ	۹۳

89-B5369

موضوع		صفحه
فصل ۱۰	فی الدلائل النقلیه من الکتاب والسنه علی ما مر ...	۶۵
	۴- رساله الوسائط وفیها فصول	
فصل ۱	فی ان الوجود فیه اربعه عوالم کلیه مترتبهٌ بحسب ...	۱۰۲
فصل ۲	فی الدلائل النقلیه من الکتاب والسنه علی ...	۱۰۴
فصل ۳	فی الخاتمه لما مر فی الفصلین	۱۱۳
	۵- رساله الانسان قبل الدنیا وفیها فصلان وخاتمه	
فصل ۱	فی ان الانسان بجمیع خصوصیات ذاته وصفاته وافعاله	۱۶۵
فصل ۲	فی الدلائل النقلیه من الکتاب والسنه علی ما مر ...	۱۶۶
خاتمه	فی ان الملائکهٌ قایسوا خلافه الارضیه علی خلافتهم ...	۱۷۹
	۶- رساله الانسان فی الدنیا وفیها ایضاً فصلان	
فصل ۱	فی ان صور علومنا الذهنیه علی قسمین	۱۸۹
فصل ۲	فی ان الانسان لاحیوهٌ له فی غیر ظرف نفسه ولامعاش له ...	۱۹۷
	۷- رساله الانسان بعد الدنیا وفیها فصول	
فصل ۱	فی الموت والاجل	۲۰۴
فصل ۲	فی البرزخ	۲۱۷
فصل ۳	فی نفخ الصور	۲۲۷
فصل ۴	فی صفات یوم القیامه	۲۳۵
فصل ۵	فی قیام الانسان الی فصل القضاء	۲۴۳
فصل ۶	فی الصراط	۲۴۶
فصل ۷	فی المیزان	۲۴۹
فصل ۸	فی الکتب	۲۵۲
فصل ۹	فی الشهداء	۲۵۹
فصل ۱۰	فی الحساب	۲۷۰
فصل ۱۱	فی الجزاء	۲۷۷
فصل ۱۲	فی الشفاعه	۲۸۳
فصل ۱۳	فی الاعراف	۲۹۳
فصل ۱۴	فی الجنه	۳۰۰
فصل ۱۵	فی النار (اعاذنا الله تعالی منها)	۳۰۶

رسالة التوحيد

هو الله عز اسمه ، رسالة في التوحيد وهي الرسالة الاولى من كتاب التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلوة و السلام على اوليائه المقربين محمد وآله الطاهرين. ان في الوجود موجود اواحدا واجب الوجود مستجمعا لجميع صفات الكمال .

اقول وقداقام على وجوده وصفاته المليون من المسلمين وغيرهم براهين حجة تامة معروفة و نحن نثبت هيهنا مبلغ فهمنا من حقيقة هذا المعنى الى فصول .

فصل ١

ليتامل فيما يقوله السوفسطائية من ان العالم موهوم و ما يقوله الفيلسوف من ثبوت الحقايق في الخارج ، وهذا المعنى و ان لم يكن له تفسير و بيان تام غير انا ندرى ما نقوله و ما يقولون فمرادنا من لفظ الاصيل والواقع ومافي الواقع والحقيقة والوجود ومنشأ الاثار هو الذى نثبته في قبالهم .

فصل ٢

فحيث ان الوجود حقيقة اصيلة ولاغيره له فى الخارج لبطلانه فهو صرف فكل مافرضناه ثانيا له فهو هو اذلو كان غيره او امتاز بغيره كان باطلا فالثانى ممتنع الفرض فهو واحد بالوحدة الحقة على ماتقدم.

و من هنا يظهر انه مشتمل على كل كمال حقيقى فى ذاته بنحو العينية.

و حيث ان الوجود بذاته يناقض العدم و يطارده فهو بذاته غير قابل لطرو العدم وحمله عليه فهو حقيقة واجبة الوجود بذاتها.

فحقيقة الوجود حقيقة واجبة الوجود بالذات ومن جميع الجهات مستجمعة لجميع صفات الكمال منزهة عن جميع صفات النقص والعدميات

فصل ٣

حيث ان كل مفهوم منعزل بالذات عن المفهوم الاخر بالضرورة فوقوع المفهوم على المصداق لايخ عن تحديد ماللمصداق بالضرورة وهذا ضرورى للمتأمل وينعكس الى ان المصداق الغير المحدود فى ذاته وقوع المفهوم عليه متاخر عن مرتبة ذاته نوعا من التاخر و هو تاخر التعين عن الاطلاق.

ومن المعلوم ايضاً ان مرتبة المحمول متاخر عن مرتبة الموضوع و حيث ان الوجود الواجبى صرف فهو غير محدود فهو ارفع من كل تعين اسمى و وصفى وكل تقييد مفهومى حتى من نفس هذا الحكم

فلهذه الحقيقة المقدسة اطلاق بالنسبة الى كل تعين مفروض حتى بالنسبة الى نفس هذا الاطلاق فافهم .

فصل ۴

ومعنى ماذكرناه فى الفصول السابقة متكرر فى الكتاب و السنة فمنها الايات الكثيرة الدالة على ان لله ما فى السموات و الارض و لله ملك السموات والارض و له ماسكن فى الليل و النهار اذ من الواضح ان هذا الملك ليس هو الملك الاعتبارى الموهوم المعتبر عند العقلاء لغرض التمدن بل هو نسبة حقيقية والنسب الحقيقية لاتتم الابقيام المنسوب بالمنسوب اليه وجودا و ذاتا ولعمرى لولم يكن فى كتاب الله الا آيتان وهما قوله عزاسمه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما الابالحق ولكن اكثرهم لايعلمون لكان فيهما كفاية ان يفهم الانسان الحر حقايق هذه المعانى .

فالانسان اذا انتزع عن زخارف هذه الدنيا و اعرض عن عرض هذه الادنى و وحد الهمّ و وجه الوجه نحو الرب الاعلى واشرف نحو عالم القدس شاهد عيانا ان هذه الامور التى دارت بين ابناء الدنيا من المطالب والمقاصد والاغراض والامال والاثار من الملك والامر والعظم والرياسة والتقدم والعزة والنسب والانساب والاحساب ومقابلاتها وآلاف من انحائها انما هى امور موهومة و ملاعب و ملاهى و امتعة الغرور و كذلك انواع اللذايذ والنعم والاستفادات التى يتنافس فيها المتنافسون و يعمل لها العاملون و يلتقى دونها المنون انما هى اوهام سخر الله

سبحانه عليها ارباب الحيوة ليبلغ الكتاب اجله ولله امر هو بالغه .

فاذا راى هذا الانسان ان الحق عز اسمه فى كتابه و لسان رسوله والسنة اوليائه ينسب الى نفسه انه رحمن رحيم خالق مالك عزيز حكيم غفور شكور ، وان له كل اسم احسن وانه منزه عن كل قبيح و نقص و هذا الانسان يعلم ان هذه معان حقيقية ونسب واضافات ثابتة ايقن بلطف القريحة و سلامة الذوق ان هذه النسب انحاء قيام ذوات الموجودات بالحق عز اسمه وقيامه سبحانه بذاته .

ثم اكد له ذلك شهود الحق سبحانه على كل شيء بحسب خصوص ذاته اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد .

ثم قرره على ذلك البرهان فان النسبة الحقيقية الثابتة بحسب ذات الشيء كخلق الحق سبحانه و ملكه لذات الشيء يجب ان تتحقق فى مقام الذات و حيث انها وجودات رابطة فلا تتحقق الا مع طرفيها فالمنسوب اليه متحقق هناك بالضرورة فبالضرورة احدى الذاتين قائمة بالاخرى والالزم وحدة الاثنين وهو محال فملك الحق سبحانه للموجودات نحو قيام ذاتها به سبحانه وكذلك ساير النسب والمعانى فافهم .

و منها الاخبار الكثيرة المستفيضة فى انه تعالى واحد لا بالعدد فقد روى الصدوق ره فى التوحيد والخصال والمعانى مسندا عن شريح بن هانى قال :

ان اعرابيا قام يوم الجمل الى امير المؤمنين (ع) فقال يا امير المؤمنين اتقول ان الله واحد قال فحمل الناس عليه ، و قالوا : يا اعرابى اما ترى

مافيه امير المؤمنين من تقسم القلب ؟ فقال امير المؤمنين : دعوه فان الذى يريده الاعرابى هو الذى تريده من القوم .

ثم قال (ع) ياعرابى ان القول فى ان الله واحد على اربعة اقسام فوجهان منها لايجوزان على الله عز وجل ووجهان يثبتان فيه .

فاما اللذان لايجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الاعداد فهذا مالايجوز لان مالاثانى له لايدخل فى باب الاعداد اما ترى انه كفر من قال انه ثالث ثلاثة .

وقول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا مالايجوز لانه تشبيه وجل ربنا وتعالى عن ذلك .

واما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له فى الاشياء شبه كذلك ربنا .

و قول القائل انه عزوجل احدىّ المعنى يعنى به انه لاينقسم فى وجود ولاعقل ولاوهم كذلك ربنا عزوجل .

وفى التوحيد مسندا عن هرون بن عبد الملك قال: سئل الصادق(ع) عن التوحيد فقال هو عزوجل مثبت موجود لامبطل ولا معدود الخبر .

وفى نهج البلاغة فى خطبة له(ع) واحد لا بعدد .

وفى خطبة اخرى له واحد لامن عدد .

وفى خطبة اخرى له ومن حده فقد عده .

و بالجملة الاخبار و الخطب مستفيضة فى هذا المعنى و هذا كالصريح فى ان وجوده تعالى صرف الحقيقة لا يعزب عنه وجود اذ

لو كان مع وجوده وجود بحقيقة معنى الموجود عرض عليهما العد بالضرورة فهذا واحد و ذاك ثان فلا وجود مع وجوده سبحانه الا قائم الذات بوجوده كما فى حديث موسى بن جعفر (ع) كان الله و لا شيء معه وهو الان كما كان .

وفى التوحيد و المعانى والاحتجاج عن هشام عن الصادق (ع) قال للزنديق حين ساله عن الله ماهو قال هو شيء بخلاف الاشياء ارجع بقوله شيء الى اثبات معنى و انه بحقيقة الشيئية غير انه لا جسم و لا صورة الخبر .

و منها اخبار اخر فى التوحيد ففى التوحيد و الامالى و غيرهما مسندا عن الرضا (ع) فى خطبته احد لا بتاويل عدد ظاهر لا بتاويل المباشرة متجل لاباستهلال رؤية باطن لابمزايلة الخطبة .

وفى التوحيد مسندا عن عمار بن عمرو النصيبى قال سئلت جعفر بن محمد عن التوحيد فقال واحد صمد ازلى صمدى لا ظل له يمسكه و هو يمسك الاشياء باظلتها ، عارف بالمجهول معروف عند كل جاهل فردانى لاهو فى خلقه ولاخلقه فيه .

و الاخذ بالاظلة هو تقويم الحق عز اسمه الاشياء بالمهيات و التعينات وبعبارة اخرى ظهور الحق سبحانه فى المظاهر بالتعينات الماهوية واطلاقه سبحانه فى نفسه .

وقد ورد تفسير الظل فى بعض اخبار الطينة ففى خبر عبدالله بن محمد الجعفى و عقبة المروى فى تفسيرى على بن ابراهيم و العياشى

عن ابی جعفر (ع) ثم بعثهم ای الخلق فی الظلال قلت وای شیء الظلال قال الم تر الی ظلك فی الشمس شیء و لیس بشیء الخبر و هذا هو المهیات اوالوجودات المستعارة بالعرض.

و فی بعض خطب علی(ع) دلیله آیاته و وجوده اثباته و معرفته توحیده و توحیده تمییزه عن خلقه و حکم التمیز بینونة صفة لا بینونة عزلة الخطبه.

وهذه الکلمة انفس کلمة واوجزها فی التوحید ولها کمال الدلالة علی ذلك.

وفی نهج البلاغة وفی التوحید مسندا عن الصادق(ع) عن علی(ع) فی خطبة خطابا لذعلب هو فی الاشیاء کلها غیر متمازج بها و لا بائن عنها الخطبه.

و فی التوحید مسندا عن مسلم بن اوس عن علی(ع) بل هو فی الاشیاء بلا کیفیة الخطبة وهذا المعنی وما یقرب منه متواتر فی الخطب والاخبار.

ومنها الاخبار النافیة للصفات وهی فی معنی الفصل الثالث ففی نهج البلاغة فی خطبة له (ع) : اول الدین معرفته و کمال معرفته التصدیق به و کمال التصدیق به توحیده و کمال توحیده الاخلاص له و کمال الاخلاص له نفی الصفات عنه.

و فی خطبة اخری له (ع) : اول عبادة الله معرفته و اصل معرفته توحیده ونظام توحیده نفی الصفات عنه.

وفى هذا المعنى اخبار اخر ايضا و هذه الاخبار يفسرها اخبار اخر ان المراد من الصفات المنفية ليست هى الصفات المحدثة بل اصل الوصف المفيد للتحديد و المغاير للذات .

ففى اثبات الوصية للمسعودى عن على (ع) فى خطبة فسبحانك ملات كلشىء وباينت كلشىء فانت لايفقدك شىء و انت الفعال لما تشاء تباركت يا من كل مدرك من خلقه و كل محدود من صنعه الخطبة .

وخطب على و الرضا (ع) وكلمات سائر الائمة (ع) مملوة من هذا المعنى و من المعلوم ان نفس الصفة تحديد وتعيين ونفس المفهوم مدرك فافهم .

وفى التوحيد مسندا عن عبدالاعلى عن الصادق (ع) تسمى باسمائه فهو غير اسمائه والاسماء غيره والموصوف غير الوصف الحديث .

وقوله الموصوف غير الوصف اشارة الى ان المراد بالغيرية الغيرية التى يستدعيها مفهوم الوصف المحدّد مصداقا لاان الفاظ الاسماء غيره سبحانه وهو ظاهر .

ومن هذا الباب ماورد فى الحديث من ان معنى الله اكبر الله اكبر من ان يوصف رواه الصدوق فى المعانى بطريقين .

ومنها مافى الكافى والتوحيد عن ابراهيم بن عمر عن الصادق (ع) قال : ان الله تبارك و تعالى خلق اسماء بالحروف غير متصوت و باللفظ غير منطق و بالشخص غير مجسّد وبالتشبيه غير موصوف و باللون غير مصبوغ منفى عنه الاقطار مبعد عنه الحدود محجوب عنه حس كل متوهم

مستتر غير مستور فجعله كلمة تامة على اربعة اجزاء معاليس واحد منها قبل الاخر فاظهر منها ثلثة اشياء لفاقة الخلق اليها و حجب واحدا منها وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلثة التى اظهرت فالظاهر هوالله و تبارك و سبحان لكل اسم من هذه اربعة اركان فذلك اثناعشر ركنا ثم خلق لكل ركن منها ثلثين اسما فعلا منسوبا اليها فهو الرحمن الرحيم الملك القدوس الخالق البارى المصور الحى القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم العليم الخبير السميع البصير العزيز الجبار المتكبر العلى العظيم المقتدر القادر السلام المؤمن المهيمن البارىء المنشئى البديع الرفيع الجليل الكريم الرازق المحيى المميت الباعث الوارث فهذه الاسماء وماكان من الاسماء الحسنى حتى تتم ثلثماة و ستين اسما فهى نسبة لهذه الاسماء الثلثة وهذه الاسماء الثلثة اركان وحجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلثة وذلك قوله عزوجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى .

و هذه الرواية الشريفة فى دلالتها على تأخر الاسماء عن مقام اطلاق الذات لاتحتاج الى تقريب و هى على نفاستها تدل على اصول جمة من علم الاسماء و تنزل الاسم من الاسم وتفرع الخلق عليها :

ومنها مافى الارشاد وغيره عن امير المؤمنين (ع) فى كلام له ان الله اجل من ان يحتجب عن شيء او يحتجب عنه شيء و ما عن التوحيد مسندا عن يعقوب بن جعفر الجعفرى عن موسى بن جعفر (ع) فى كلام له ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه احتجب بغير حجاب محجوب

واستتر بغير ستر مستور الخبر وقد جمع هذا الخبر بين ظهوره تعالى بالاشياء واستتاره بها بعينها وهو معنى لطيف مرجعه الى خفائه من شدة ظهوره .

قدظهر انالتوحيد الاطلاقى ارفع واجل من انيوصف بوصف وفى الحديث من سئل عن التوحيد فهو جاهل ومن اجابه فهو مشرك .

فصل ٥

و هذا المعنى من التوحيد اعنى الاطلاقى مما انفرد باثباته الملة المقدسة الاسلامية وفاقت بهالملك والشرايع السالفة فظاهر مابلغنامنهم فى التوحيد هو مقام الواحدية و انه تعالى الذات الواجبة المستجمعة لصفات الكمال فغاية ماوصل الينا من معنى التوحيد من الملل السابقين وكلمات الحكماء المتألهين هى ما مر فى الفصل الثانى والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

تم والحمد لله والسلام على محمد وآله

بسمه تعالى

مقالة ملحقة بالرسالة نبين فيهاان ماندب اليه دين الاسلام المقدس آخر درجة من التوحيد و نبين فيها ثمرة ذلك فى فصول ثلثة ليعلم ان التوحيد حيث ان له اضافة الى ما وحد فيه يختلف باختلاف المضاف اليه والمتصور من ذلك ثلثة الذات والاسم وهوالذات ماخوذا بوصف

والفعل فالتوحيد ايضاثلث توحيدذاتى وتوحيد اسمائى وتوحيدافعالى اى انكل شيء قائم الذات و قائم الاسم و قائم الفعل به سبحانه .

فصل ١

قد عرفت ان مقتضى البرهان المذكور فى الفصل الثالث ارتفاع كل تعين مفهومى و تحديد مصداقى عن الذات و انحاء كل تميز هناك حتى هذا الحكم بعينه .

ومن هنا يظهر ان استعمال لفظ المقام و المرتبة و نحوهما هناك مجاز من باب ضيق التعبير .

و من هنا يظهر ان التوحيد الذاتى بمعنى معرفة الذات بما هو ذات مستحيل فان المعرفة نسبة بين العارف و المعروف وقد عرفت ان النسب ساقطة هناك وكل ماتعلق من المعرفة به فانما بالاسم دون الذات ولايحيطون به علما و اليه يرجع ماذكروا ان المعرفة على قدر العارف مثال ذلك الاغتراف من البحر فان القدح مثلا لايريد الا البحر لكن الذى ياخذه على قدر سعته .

و يظهر ايضا انه خارج عن حيطة البيان ايضا .

من هنا يتبين ان التوحيد الذاتى اخر درجات التوحيد فان كمال التوحيد بحسب اطلاق الموحد فيه و ارساله و هو هيهنا كل تعين حقيقى او اعتبارى حتى نفس التوحيد قال سبحانه خطابا لنبيه و ان الى ربك المنتهى .

فصل ۲

قد عرفت ان مقتضى البرهان المذكور فى الفصل الثانى من الرسالة ان الله عز اسمه ذات مستجمع لجميع صفات الكمال منفى عنه جميع صفات النقص و ان جميع صفاته عين ذاته و هذا هو الموروث عن الشرايع السابقة المندوب اليه بدعوة المرسلين و الانبياء الماضين عليهم السلام و هو الذى يظهر من تعاليم الحكماء المتالهين من حكماء مصر و يونان والفرس و غيرهم و هو الذى شرحه الاعاظم من فلاسفة الاسلام مثل المعلم الثانى ابى نصر ورئيس العقلاء الشيخ ابى على وعليه صدر المتالهين فى كتبه و اسس ان الوجود حقيقة واحدة مشككة ذات مراتب مختلفة فى الشدة والضعف وان اضعفها الهيولى الاولى و اقويها واشدها الوجود غير المتناهى قوة وكمالا وهو المرتبة الواجبية ، وان جميع المراتب موجودة غيرانها بالنسبة الى المرتبة الواجبية وجودات رابطة غير مستقلة فى نفسها لايحكم عليها وبها مستهلكة تحت لمعان نوره واشراق بهائه .

و قد ظهر مما تقدم ان اثبات اكمل مراتب توحيد الحق سبحانه هو الذى اختص به شريعة الاسلام المقدسة و هذا هو المقام المحمدى الذى اختص به محمد والطاهرون من آله صلى الله عليهم و الاولياء من امته على نحو الوراثة .

فصل ۳

و الذى ذكرناه من التوحيد الذاتى هو المشهود بالشهود التام

الساذج الموجود فان الانسان بحسب اصل فطرته يدرك بذاته وجوده وان كل تعين فهو عن اطلاق وارسال اذ شهود المتعين لايخ عن شهود المطلق .

ويشاهد ايضا ان كل تعين فى نفسه وغيره فهو قائم الذات بالاطلاق فمطلق التعين قائم الذات بالاطلاق التام .

ويجد ايضا من نفسه لزوم الخضوع و الكدح من تعينه لاطلاقه وحسن الحسن وقبح القبيح وان التكليف محتاج الى البيان وهذه المعانى الثلثة هى التوحيد الذاتى والولاية المطلقة والنبوة العامة و هذه الشريعة الاسلامية هى القائمة على هذه الامور بتمامها وكمالها قال الله واقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله .

وفى التوحيد مسندا عن العلاء بن الفضيل عن ابيعبدالله (ع) قال سئلته عن قول الله عزوجل فطرة الله التى فطر الناس عليها قال التوحيد .

و فى تفسير على بن ابراهيم مسندا عن الرضا عن ابيه عن جده محمد بن على بن الحسين (ع) فى قوله تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها قال هو لااله الا الله محمد رسول الله على امير المؤمنين الى هيهنا التوحيد .

وقال رسول الله (ص) بعثت لاتمم مكارم الاخلاق .

وقال تعالى يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث .

والاثار كثيره فى ان تشريع الشريعة يحوم حول الامور الثلثة .

وقد انتج استعمال الفطرة الساذجة فى هذه الشريعة المقدسة فى

كل من مرتبتى الملكات و الافعال نتيجته عجيبة لم يسبقها اليها شيء من الشرايع السالفة .

اما فى مرتبة الملكات فالملكة علم والانسان الكامل لايرى الا الحق سبحانه و الانسان المستكمل لا ينبغى ان يتوجه الى غير الحق سبحانه فلا يبقى موضوع للاخلاق الرذيلة كالعجب و الكبر و الرياء و السمعة والجبن والبخل وحب الجاه والركون الى الدنيا وغير ذلك فيقع الاخلاق الفاضلة ح بالله ولله فافهم ذلك .

ولعمرى كم من الفرق بين ان يزيل الانسان رذيلة الجبن مثلا عن نفسه تارة بان لايتوجه الى غير الحق سبحانه فلا شيء حتى يخاف منه و تارة بان يتكل على الله فى دفع المكروه المخوف عنه كما فى ظاهر الشرايع .

وتارة بان يعتقدان وقوع المكروه المخوف عنه امر ممكن مساوى الطرفين والخوف و الجبن بترجيح جانب الوجود ترجيح بلا مرجح وهو قبيح اوان الجبن رذيلة عند الناس لايقع الثناء عليه كما يقوله الحكيم الاخلاقى وعلى ذلك فقس ومع ذلك فقد استعملت الشريعة المقدسة فى تعليمه جميع الوجوه .

والى نحو هذا المعنى يشير ما فى تفسير القمى فى حديث المعراج فقال رسول الله (ص) يارب اعطيت انبيائك فضائل فاعطنى فقال الله وقد اعطيتك فيما اعطيتك كلمتين من تحت عرشى لاحول و لا قوة الا بالله ولامنجى منك الا اليك .

و اما فى رتبة الافعال فقد قصرت الاباحة فى ضروريات الحيوة على ماتقتضيه الفطرة ثم حاصر ذلك بالتوجيه الى الله عزوجل فى صغير الافعال و كبيرها ثم طرد استعمال ذلك فى جميع جزئيات اطراف الحيوة من الامكنة والازمنة والصحة والمرض والغنى والفقر والموت والحيوة و سايرالحالات و جميع الافعال فصارت شريعة حافظة للتوحيد على وحدته فهذه الكثرة و حافظة لهذه الكثرة على كثرتها فى التوحيد فاغتنم فهذه لعمرالله نعمة لاتوزن بالسبع الشداد و الارض ذات المهاد والجبال الاوتاد.

تم والحمدلله ليلة الاحد خامس ذى الحجة من سنة الف و ثلثماة
وست وخمسين قمرية هجرية و تم الاستنساخ ليلة
الاثنين لاثنين وعشرين خلت من شهر
محرم الحرام لسنه ١٣٦١

رسالة الاسماء

رسالة فی اسماءالله سبحانه و تعالی وهی الرسالة الثانية من کتاب التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلوة و السلام على اوليائه المقربين سيما محمد و آله الطاهرين. قدذكرنا فی رسالةالتوحيد انالتوحيد منه ذاتی ومنه اسمی ومنه فعلی.

اما التوحيد الذاتی فقد ذكرهناك انه خارج عن حيطةالتوصيف و دائرة البيان.

واما الاسماء والافعال فاذ لم نستوف البيان فيهما هناك اردنا ان ناتی هيهنا بعض البيان فی الاسم و نشرحه بعض الشرح بالجمع بين البرهان العقلی والبيان النقلی بمايلايم ذوق هذه الرسائل.

و اما التفصيل التام لهذه الابحاث فموكول الی مطولات كتب القوم رضوان الله عليهم و نعنی بها الكتب التی المعمولة على الجمع بين الذوق والبرهان والتشفيع بين العقل والنقل.

واما الكتب التی شأنها ان تضع قضايا ساذجه يحكم بها الافهام

العاميه وضعا ثم تدافع بالدفاع الجدلى عنها بالغاً مابلغ فلايهمنا الرجوع اليها ولاالركون اليها ولالهذه الابحاث مساس بها ولالنا شغل بمن هذا طرز بحثه وطور مطالبه والله المعين .

فصل ١

قد عرفت فى رسالة التوحيد ان الله سبحانه هو الوجود الصرف الذى له كل كمال وجودى .

فكل مافرض هناك غيره عادعينه فله وحدة عينية يستحيل معه فرض ثان له فلاتعدد ولااختلاف ولاتعين هناك بمعنى المحدودية بحد مفروض لامصداقا و لا مفهوما بل كل مافرض تعينا مفهوما اومصداقا كان متاخرا عن هذه المرحلة المفروضة .

ثم انه لاشتماله على حقايق جميع الكمالات الوجودية متصف بجميعها فهو مسمى بها و هى اسمائه اذ ليس الاسم الا الذات مأخوذا ببعض اوصافه فهو فى نفسه و بذاته سبحانه متصف بها و مسمى بها و مفاهيمها تنتزع عن ذاته بذاته .

و اذا لو حظ معه الوجودات الفائضة منه المترشحة عنه ظهرت بينها و بين اسمائه الذاتية جلت اسمائه نسب هى كالروابط تربطها بها دون الذات فانه مبرى عن التعينات و النسب كما عرفت .

وبالجملة فهناك تظهر تعينات واوصاف اخر وتنتزع مفاهيم اخرى تلحق بالقسم الاول وذلك كالخلق والرزق و الرحمة و الكرم و اللطف

والاعادة والبدء والاحياء والاماتة والبعث و الحشر والنشر و غير ذلك و هذه هى اسماء الافعال المتاخرة عن الذات و اسمائها و تنتزع عن مقام الفعل .

بقى هنا شيء و هو ان هذه الاسماء لو انتزعت عن مقام الفعل فانما انتزعت عنه بماان بينه و بين الذات نسبة ما ورابطة ما والالم يصدق هذه الاسماء على الذات البتة فيؤل الاتصاف الى اعتبار الحيثية بمعنى ان الذات بحيث لوفرض خلق مثلا فهو خالقه ولوفرض رزق فهو رازقه فاذن سبيل الاسماء الفعلية سبيل الاسماء الذاتية فى ان الجميع موجودة للذات حقيقة نعم الاسماء الذاتية لا تحتاج فى انتزاعنا اياها الى ازيد من الذات بذاته و الاسماء الفعلية تحتاج فى مرحلة الانتزاع الى فعل متحقق فى الخارج فافهم ذلك .

ثم انك تعلم ان الكمالات الوجودية حيث كانت موجودة للذات و النواقص العدميه مرتفعة عنه كانت هناك اوصاف سلبية على سبيل الاوصاف الايجابية الا انها حيث كانت اعداما فهى غير متحققة هناك و انما هى منتزعة من غيره انتزاعا و مدلولها سلب السلب و يرجع الى اثبات الوجود .

و قد تبين من جميع ما مر ان اسمائه سبحانه على كثرتها تنقسم اولا الى اسماء ذاتية و فعلية ، و ثانيا الى اسماء ثبوتية و سلبية و هكذا الى اسماء خاصة وعامة .

فصل ۲

و النقل ایضا یدل علی ما مر اما ما تدل علی الاسماء الذاتیة و الفعلیة و الثبوتیة و السلبیة فغیر ضروری الایراد لبلوغها من الکتاب و السنة فی الکثرة فوق حد الاحصاء علی ان بعضها سیورد انشاءالله سبحانه فی طی الفصول الاتیة .

فصل ۳

قد عرفت فی الفصل الاول ان ذاته المقدسة ذات صرافة و اطلاق مبراة من جمیع التعینات مفهومیة و مصداقیة حتی عن نفس الاطلاق و حیث کان هذا بعینه تعینا مایمحق عنده التعینات و یطوی بساط جمیع الکثرات کان هذا اول الاسماء و اول التعینات و هو المسمی بمقام الاحدیة، ثم یظهر التعینات الاثباتیة و اول تلك نفس الاثبات و ذلك انه هو و هو الهویة، ثم یظهر بقیة التعینات : فمن حیث ان هذه الحقیقة التامة حاضرة عند نفسها واجدة لها یظهر تعین العلم و حیث انها المبدء التام لکل کمال وجودی یظهر تعین القدرة و یظهر من تالف القدرة مع العلم تعین الحیوة ، ثم تظهر بقیة التعینات من تالیف بسائطها .

فقد تبین ان الاسماء بینها ترتب مایتفرع به بعضها علی بعض آخر

ثم نقول فی بیان اسمائه سبحانه قد عرفت ان الوجود هو الحقیقة الخارجیة فحسب و غیره کالمهیات امور منتزعة ذهنیة لاخارجیة لها الا بعرض الوجود و اما مع قطع النظر عنها فهی باطلة الذات هالکة

العين و هذه الحقيقة الخارجية حيث انها يطرد العدم بذاتها يستحيل طريان العدم عليها لامتناع اجتماع النقيضين فاذن هى واجبة الوجود بذاتها .

و من هنا يظهر ان للوجود الحقيقى وحدة و صرافة لايمكن معه فرض ثان له وهو احديته كما مر فهو وحده لاشريك له .

ومن هنا يظهر امتناع فرض قوة اوامكان او تغير او تحول هناك اذ هو لصرافته حاو لكل كمال وجودى فرض فهو صريح الفعلية فكما انه واجب الوجود بالذات فهو واجب الوجود من جميع الجهات هذا و من الواجب ان تعلم ان هذا البيان انما يجرى فى الوجود الواجبى الصرف المستقل بذاته دون الوجود الامكانى فانه لمعلوليته رابط موجود فى غيره يستحيل انيوضع فيحكم عليه بشىء كوجوب الوجود والقيام بنفسه ونحو ذلك .

فما نشاهده من المهية الموجودة انما نشاهد الوجود الحقيقى الواجبى بمقدار ماتقوم به هذه المهية وهوالمراد بقولنا وجود الممكن ظهور ما للواجب فيه و ان الممكن مظهر للواجب فهو نور .

ومن هنايظهر ايضا ان كل مافرض ذامهية متساوية النسبة الى الوجود والعدم فهو فى تحقق ذاته ووجوده يحتاج الى الواجب سبحانه و آثاره الذاتية كائنة ماكانت محتاجة اليه سبحانه ايضا و ان كانت بحيث اذا نظر العقل اليها حكم باقتضائه اياها وهو الوساطة فكما ان الاربعة وهى عدد ماتحتاج فى وجودها اليه سبحانه فكك كونها زوجا وضعف الاثنين

و مجذورا له و ساير آثاره محتاجة اليه سبحانه و ان كان كلها بوساطة الاربعة واقتضائها فذاته سبحانه بذاته هو المبدء لكل وجود ممكن وهذا هو القدرة الواجبية اذالقدرة بمعنى صحة الفعل و الترك اى امكان الطرفين مستحيلةفى حقهسبحانه لكونه واجب الوجود من جميع الجهات فهو سبحانه مبدء بذاته لكل موجود بحسب مايليق بذات ذلك الموجود فهو مبدء بالفعل لكل موجود بالفعل و مبدء بالفعل لكل موجود بالقوة ولنفس القوة والامكان فهو المفيض لكل شيء وآثاره بفيوضات الوجود وبركات الظهور و البروز .

ومن هناك يظهر ايضا انذاته موجودة لذاته وحاضرة لها لاحجاب بينه و بين ذاته و جميع الكمالات الموجودة لذاته فهو فى مقام ذاته عالم بذاته وصفاته و بجميع الموجودات المترشحة عن ذاته وهو العلم الذاتى .

وايضا كل موجود حاضر بذاته عنده سبحانه كيف وبعرض وجوده سبحانه وجد وبنوره استشرق فهو سبحانه كما يشهدها عزذاته المقدسة بذاته فى مرتبة ذاته يشهدها فى مرتبة وجوداتها الخارجية و مواطنها الواقعية كلا فى ظرفه وموطنه و هو العلم الفعلى ، على ان كل علم منحقق عند الموجودات فهو له ايضا.

و حيث ثبت له سبحانه العلم و القدرة ثبت له الحيوة اذالمحى هو الدراك الفعال .

و حيث ثبت ان ايجاده للموجودات بنحو الظهور فى مواطن

ذواتها وظروف هوياتها ثبت ان كل كمال وجمال وحسن فهو له سبحانه ثابتة فيه والحسن و الجمال تمامية وجود الشيء وكمالاته و آثاره فهو سبحانه متصف بكل صفة حسن و جمال .

وحيث كان كل منقصة ورذيلة ومحدودية وقبح وسوء منحلا بالتامل التام الى عدم كمال مطلوب ولاسبيل للاعدام الى ساحته المقدسة كانت النقايص الامكانية طرا والكدورات الماهوية جميعا راجعة الى المهيات الامكانية ومن لوازمها و توابعها فهو سبحانه طاهر من كل دنس قدوس من كل نقص وخبث فهو المستجمع لجميع صفات الجمال والجلال .

ومن هنا يظهر ان الائتلاف والاجتماع بين صفات الجمال والجلال هو المقتضى لفيضان الوجود على الموجودات و لمعان النور و انبثاثه فى هذه الظلمات فلولا صفات الجلال لم يكن وجود ولولا صفات الجمال لم يكن ايجاد فافهم .

ثم ان هذه الاسماء الحسنى والصفات العليا وان تكثرت مفاهيمها الا انه ليس لها الا مصداق واحد وهو الذات المقدسة اذ من المستحيل كما عرفت فرض اثنينية ماهناك فكل حيثية فى الذات عين الحيثية الاخرى والكل عين الذات فهو تعالى موجود من حيث انه عالم وعالم من حيث انه موجود وقادر بعين حيوته وحى بعين قدرته وهكذا وهذا هو واحد بيّة الذات فهو سبحانه واحد كما انه احد .

فتبين من جميع ما مر انه سبحانه باحدية ذاته يمحق ويطمس جميع الكثرات ثم يتنزل الى مقام الاسماء على وحدتها فينبعث بذلك الكثرات

المفهومية دون المصداقية ثم يتنزل الى مراتب الموجودات الامكانية بظهورها فى مظاهرها و اظهارها لمكامنها فينبعث حينئذ الكثرات المصداقية .

مثل ذلك انك اذا رجعت الى صفاتك وجدتك انك عالم وانت انت وقادر وانت انت وسميع وبصير وذائق وشام ولامس و انت انت فشيء من صفاتك لايخلو ولايخرج منك انت فهذا واحدية صفاتك فى ذاتك ثم اذا رجعت الى نفسك وجدت انهاانت ليس هناك الاانت مع انك صاحب صفات كثيرة غيرانها قداستهلكت وانمحت فى هذه المرحلة و هذا مقام احدية ذاتك.

ثم انك اذازدت على ذلك وتصورت مرتبة خيالك المنبسط على صور خيالاتك الجزئية ثم جزئيات متخيلاتك ثم تنزلت الى افعالك واعتبرت نفسك معها علمت ان الجميع قائمة بك لاتخلو عنك فلو امعنت و اتقنت فى تاملك فى هذا المثل صح لك تعقل ما تنتجه هذه البراهين التى اسلفناها.

فصل ۴

والنقل مطابق للعقل فيمامر من المعانى ولبيان ذلك اجمالا وتضع مباحث .

المبحث الاول

ان الاسماء التى خص بالذكر فى القرآن المجيد وهى التى فى معنى الوصف هى: ا ـ الله احد اول آخر اعلى اكرم اعلم ارحم الراحمين

احكم الحاكمين احسن الخالقين اهل التقوى اهل المغفرة

ب ـ بارىء باطن بديع بر بصير بديع

ت ـ تواب

ج ـ جبار جامع

ح ـ حكيم حليم حى حق حميد حسيب حفيظ حفى

خ ـ خبير خالق خلاق خير الماكرين خير الرازقين خير الفاصلين خير الحاكمين خير الفاتحين خير الغافرين خير الوارثين خير الراحمين

ذ ـ ذو العرش ذو الطول ذو انتقام ذو الفضل العظيم ذو الرحمة ذو القوة ذو الجلال والاكرام

ر ـ رحمن رحيم رؤف رب رفيع الدرجات رزاق رقيب

س ـ سميع سلام سريع الحساب سريع العقاب

ش ـ شهيد شاكر شكور شديد العقاب شديد المحال

ص ـ صمد

ظ ـ ظاهر

ع ـ عليم عزيز عفو على عظيم علام الغيوب عالم الغيب والشهادة

غ ـ غنى غفور غالب غافر الذنب غفار

ف ـ فالق الاصباح فالق الحب والنوى فاطر فتاح

ق ـ قوى قدوس قيوم قاهر قهار قريب قادر قدير قابل التوب

ك ـ كريم كبير

ل ـ لطيف

م ـ ملك مؤمن مهيمن متكبر مصور مجيد مجيب مبين مولى محيط مقيت متعال محيى متين مقتدر مستعان

ن ـ نصير نور

و ـ وهاب واحد ولى واسع وكيل ودود

هذه هى الاسماء الوارده فى الكتاب الالهى بلسان التوصيف و هى مأة و سبعة عشر اسما و هنا موارد آخر بلسان قريب من لسانها قال تعالى

و انا له لحافظون

وقال تعالى : انا كنا فاعلين

وقال تعالى : فعال لما يريد

وقال تعالى : قائما بالقسط

وقال تعالى : انا له كاتبون

وقال تعالى : و نحن الوارثون

وقال تعالى : انا منتقمون

وقال وما لهم من دون الله من ولى ولاشفيع

وقال تعالى : ومالهم من دونه من والٍ

وقال تعالى : هوالذى يحيى ويميت

وقال تعالى : فلاكاشف له الا هو

فربما يستخرج الحافظ و الفاعل و فعال مايريد و القائم بالقسط والكاتب والوارث و المنتقم و الشفيع والوالى والمميت وكاشف الضر

من هذه الايات واما ماورد بلسان الفعل فكثير

واما الاحاديث ففي التوحيد و الخصال مسندا عن سليمان بن مهران عن جعفربن محمد عن ابائه عن علي(ع) قال قال رسول‌الله(ص) ان لله تسعة وتسعين اسما ماة الا واحدا من احصاها دخل‌الجنة وهى الله الاله الواحد الاحد الصمد الاول الاخر السميع البصير القدير القاهر العلى الاعلى الباقى البديع البارى الاكرم الظاهرالباطن الحى‌الحكيم العليم الحليم الحفيظ الحق الحسيب الحميد الحفى الرب الرحمن الرحيم الذارىء الرازق الرقيب الرؤف‌الرائى السلام المؤمن المهيمن العزيزالجبار المتكبرالسيد سبوح‌الشهيد الصادق الصانع الطاهرالعدل العفو الغفور الغنى الغياث الفاطر الفرد الفتاح الفالق القديم الملك القدوس القوى القريب القيوم القابض الباسط قاضى الحاجات‌المجيد المولى المنان المحيط المبين المقيت المصور الكريم الكبير الكافى كاشف‌الضر الوتر النور الوهاب الناصر الواسع الودود الهادى‌الوفى الوكيل الوارث البر الباعث التواب الجليل الجواد الخبير الخالق خيرالناصرين الديان الشكور العظيم اللطيف الشافى الخبر.

قال‌الصدوق فى‌الخصال وقد رويت هذا الخبر من طرق مختلفة والفاظ مختلفة.

و فى التوحيد مسندا عن الهروى عن الرضا (ع) عن آبائه عن على(ع) قال‌قال رسول‌الله انالله تسعةوتسعين‌اسما من‌دعاالله بهااستجاب له ومن احصاها دخل الجنة.

وفى التوحيد ايضا مسندا عن ابى هريرة ان رسول الله (ص) قال ان لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماءة الا واحدا انه وتر يحب الوتر من احصاها دخل الجنة فبلغنا ان غير واحد من اهل العلم قال ان اولها يفتتح بلا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك و له الحمد بيده الخير و هو على كل شيء قدير لا اله الا الله له الاسماء الحسنى الله الواحد الصمد الاول الاخر الظاهر الباطن الخالق البارء المصور الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الرحمن الرحيم اللطيف الخبير السميع البصير العلى العظيم البار المتعالى الجليل الجميل الحى القيوم القادر القاهر الحكيم القريب المجيب الغنى الوهاب الودود الشكور الماجد الاحد الولى الرشيد الغفور الكريم الحليم التواب الرب المجيد الحميد الوفى الشهيد المبين البرهان الرؤف المبدىء المعيد الباعث الوارث القوى الشديد الضار النافع الوافى الحافظ الرافع القابض الباسط المعز المذل الرازق ذوالقوة المتين القائم الوكيل العادل الجامع المعطى المجتبى المحيى المميت الكافى الهادى الابد الصادق النور القديم الحق الفرد الوتر الواسع المحصى المقتدر المقدم المؤخر المنتقم البديع الحديث .

اقول و الروايتان المحصيتان لاسمائه تعالى على انهما اشتملتا على بعض الاسماء الغير الواردة فى القرآن مثل السيد والصانع والجميل والقديم وغيرها .

وعلى انهما اهملتا بعض الاسماء الواردة فى القرآن مثل ذى الجلال

و الاكرام و ذوالطول و رفيع بينهما اختلاف فى الاسماء المحصاة هذا اولا .

و ثانياً لفظ الجلالة احد الاسماء فى الثانية و غيرها فى الاولى وهو فيها تمام المأة .

وثالثاً ظاهر الرواية الثانية ان احصاء الاسماء خارج عن الرواية ولا يبعد ان يستظهر من الرواية الاولى ايضاً كونها خارجة عن الرواية حيث قال فيها وهى الله الاله الخ و عدماة اسم .

واما قوله (ص) ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة فقداستفاض بهالروايات ورواه الخاصة والعامة لكنه فى غير مقام الحصر على ماسيظهر و لهذا خصصنا الكلام بما ورد فى القرآن الكريم على ان غيرها ينشرح بشرح معانيها وبيان مبانيها .

المبحث الثانى

ان المعانى التى قداستعملت فيها هذه الاسماء الشريفة فى القرآن الكريم و بقية الاستعمالات تتبعها لامح لاشك فى انها تطابق المصاديق التى لها فى نفس الامر و لاشك ان للحق سبحانه كمالات و صفات موجودة حقيقية كشف عنها او عن بعضها بهذه البيانات القرآنية التى تشتمل على هذه الاسماء بطريق الافراد تارة و عن اعيان هذه المعانى بجمل و تركيبات كلامية تارة اخرى كل ذلك فى مقام الثناء و الحمد و ابداء الكمال فحمل ذلك كله على نفى النواقص على انه يوجب رجوع كل كمال ذاتى الى عدم وخلو الذات عن كمال موجود مع تراكم

البراهين عليه اولا ، وعلى انه مع الغضّ عن الكمال الوجودى لايوجب كمالا و مزية كما ان المعدوم المطلق ايضا كك ثانيا بعيد عن الانصاف و اعتاف يكذبه الوجدان هذا فالاسماء جلها تشتمل على معان ثبوتية غير سلبية .

ثم ان هذه المعانى ليست من غير جنس المعانى التى نفهمها و نعقلها كما ذكره بعضهم و التزم ان هذه الاسماء كلها اما مجازات مفردة و اما استعارات تمثيلية بيانية اذالذى نفهمه من قولنا علم زيد و قولنا علم الله معنى واحد وهو انكشاف ما للمعلوم عند العالم غير انا نعلم ان علم زيد انما هو بالصورة الذهنية التى عنده و ان الله سبحانه يستحيل فى حقه ذلك اذلاذهن هناك وهذا ليس الا خصوصية فى المصداق وهى لا توجب تغيرا فى ناحية المعنى بالضرورة فاذن المفهوم مفهوم واحد واما خصوصيات المصاديق فغير دخيلة فى المفهوم البة و هذا هو الحق الذى عليه اهل الحق .

فاذن الميزان الكلى فى تفسير اسمائه سبحانه و صفاته تخلية مفاهيمها عن الخصوصيات المصداقية وبعبارة اخرى عن الجهات العدمية و النقص .

و هذا هو الذى يظهر من تفاسير الائمة عليهم السلام فى خطبهم و بياناتهم فعن التوحيد و نهج البلاغة فى خطبة له (ع) ان ربى لطيف اللطافة فلايوصف باللطف عظيم العظمة لايوصف بالعظم كبير الكبرياء لايوصف بالكبر جليل الجلالة لايوصف بالغلظ قبل كلشىء لايقال شىء

قبله وبعد كلشيء لايقال له بعد شاءالاشياء لابهمة دراك لابخديعة هو فى الاشياء كلها غير متمازج بها ولاباين عنهاظاهر لابتاويل المباشرة متجل لاباستهلال رؤية باين لابمسافة قريب لابمداناة لطيف لابتجسم موجود لابعد عدم فاعل لاباضطرار مقدر لابحركة مريد لا بهمامة سميع لا بآلة بصير لاباداة الخطبة وبياناتهم (ع) مشحونة بهذاالنوع من التفسير وفى كثير من الاخبار النهى عن التعطيل والتشبيه.

المبحث الثالث

قد عرفت ان صفاته سبحانه هو االبحث من كل كمال وجودى بنحو الحقيقة و اما صفات غيره فحيث ان ذاته موجودة بعرض وجوده فكك صفاته فكل صفة وجودية حقيقيه خالية من النقص فهى له سبحانه بنحو الانحصار وكل صفة فى غيره فهى عرضية .

ويظهر ذلك من معظم موارد هذه الاسماء فى القرآن كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ، وقوله تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، وقوله تعالى وهو السميع البصير ، وقوله تعالى وهو الرحمن الرحيم وقوله تعالى و هو العليم القدير ، وقوله تعالى وهو الحكيم الخبير و قوله تعالى وهو العلى العظيم الى غير ذلك من الايات فكل ذلك للحصر دون التاكيد كما يزعمه الزاعمون وقد بلغ الامر فى بعضها الى التصريح : قال تعالى له مافى السموات و ما فى الارض من ذاالذى يشفع عنده الا باذنه ، وقال تعالى يعلم ما بين ايديهم و ما خلفهم ولايحيطون بشيء من علمه الا بماشاء وقال تعالى ايبتغون عندهم ان

العزة لله جميعا ، وقال تعالى ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا ، وقال تعالى مالكم من دون الله من ولي ولا نصير الى غير ذلك .

ثم بين سبحانه تبعية هذه الاسماء اعنى الكمالات الوجودية الحقيقية فى غيره فقال تعالى قل اللهم مالك الملك الايات ، و قال تعالى وانه هو اضحك وابكى ، و انه هو امات واحيى و انه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وان عليه النشأة الاخرى و انه هو اغنى و اقنى الايات ، وقال تعالى و ربك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله و تعالى عما يشركون الاية .

والدليل على انه يثبت فى هذه الايات حقايق هذه المعانى بالحصر على نفسه وبالتبع الى غيره انه تعالى يثبت مع ذلك هذه المعانى لغيره فى آيات آخر كقوله واذ تخلق من الطين كهيئة الطير وقوله واختار موسى الى غير ذلك .

واصرح من ذلك كله مابينه سبحانه فى آيات الحشر اذ قال سبحانه وراوا العذاب و تقطعت بهم الاسباب فبين ان الاسباب متقطعة مزيلة يومئذ و مع تقطع الاسباب و بطلان الروابط لايبقى موضوع لكمال وجودى مستفاد من غيره كما هو المظنون اليوم فلا يبقى الا الله وحده ولانسبة لاحد الا معه وبطلت بقية النسب فابطل حقيقية كمالاتهم واثبت تبعيتها فقال تعالى يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شىء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ، و قال تعالى و الامر يومئذ لله ،

وقال تعالى ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا و راوا العذاب و تقطعت بهم الاسباب ، و قال تعالى ثم قيل لهم اين ماكنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ، و قال تعالى يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم وقال تعالى هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ماكانوا يشركون ، وقال تعالى ما اغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ، و قال تعالى ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم و شركائكم فزيلنا بينهم و قال شركائهم ماكنتم ايانا تعبدون ، وقال تعالى تبرأنا اليك ماكانوا ايانا يعبدون الاية .

فكل ذلك بيان لكون كمالات الاسماء فيه سبحانه بالاستقلال و فى غيره بالتبع هذا .

نعم ربما قارن سبحانه بين وصف نفسه ووصف خلقه مما افاضه عليهم فسبكهما وصفا واحدا و لامح يراد ح من الوصف المعنى الاعم الشامل لما بالاستقلال وما بالتبع و ذلك بصيغة التفضيل فى اربعة عشر اسما فى القرآن و هى اعلى واكرم و اعلم و ارحم الراحمين و احكم الحاكمين واحسن الخالقين وخير الماكرين وخير الرازقين وخير الفاصلين و خير الحاكمين و خير الفاتحين و خير الغافرين و خير الوارثين و خير الراحمين .

لكنه سبحانه اثبت بها مزية لنفسه وافضلية فانه سبحانه يزيد على خلقه فى ان هذه الاوصاف بعد كونها مشتركا فيها له سبحانه بنحو الاستقلال

ولغيره بالتبع فهو سبحانه احق بالعلو والعلم والكرامة واشد فى رحمته واصدق فى حكمه واحسن فى خلقه وخير مكرا وغير ذلك بخلاف غيره فان هذه الاوصاف فيهم عارضة متزلزلة البنيان مشوبة بنواقص الاعدام مكدرة بكدورات الامكان هذا و يمكن ان يستشم هذا المعنى و هو تلميح الاشتراك مما وقع من الاسماء بصيغة المبالغة فى عشرة اسماء وهى التواب والجبار والخلاق والرزاق وعلام الغيوب والغفار والقدوس والقيوم والقهار والوهاب وقد يعد منها مثل الشكور و الغفور والقدير والمتعالى والرحمن وذلك بالاشارة الى شدة هذه الاوصاف فيه سبحانه وشمولها بكثرة مواردها لجميع الموجودات هذا .

واما بقية الاسماء وهى ثمان وثمانون اسما فهى واردة بنحو الافراد او الاضافة غير ان ثمانية عشر منها بنحو الاضافة وقريب من سبعين منها بنحو الافراد وهناك معان وصفية مبنية بجمل كلامية كقوله ليس كمثله شىء وقوله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد وقوله تعالى ليس له صاحبة الايات.

المبحث الرابع

و جل هذه الاسماء مشتملة على معان ثبوتية غير ان بينها ترتباً كما مر اجماله فهو تعالى من حيث ان ذاته المقدسة غير متالفة من اجزاء عقلية ولا وهمية ولا خارجية فهو بسيط الذات احد وهذه اللفظة لايستعمل فى الاثبات من غير اضافة الافيه سبحانه قال تعالى قل هو الله احد و لا يقال جائنى احد البته ، و يقال ما رايت احدا فينتفى ح الواحد و الاثنان و الجماعة ، بخلاف ما رايت واحدا فانه لاينتفى ح الا الواحد دون الاثنين والجماعة فيظهر ان الاحد فى اللغة وحدة لاتابى

عن الاجتماع مع الكثرة بخلاف الواحد فهما كاللا بشرط و بشرط لا فالاحد وحدة صرفة لايقع فى قبالها كثرة لا اثنان و لا جمع فهو بسيط الذات ولذلك لم يصح استعماله فى الاثبات الافيه سبحانه لصرافة وجوده وبساطته وتركب وجود غيره فغيره تعالى اذا اخذ واحدا لم يكن كثرة ذاته منظورا فيه واذا اخذ جزء الكثرة انمحت وحدته واما هو تعالى فلا يتصور فى ذاته كثرة البته هذا .

ومن هنا يصح استعمال احد فى الاثبات اذا اضيف نحو هو احد القوم فافهم .

و هو سبحانه من حيث انه ليس له شريك و لا صاحبة و لا ولد ، ومن حيث ان جميع اسمائه شيء واحد هو الذات وان تعددت مفاهيمها فهو واحد .

ومن حيث ان ذاته ثابتة بذاته وفى ذاته وعلى جميع التقادير حق .

و هو تعالى من حيث حضور ذاته لذاته و انكشافه له و حضور الموجودات عنده عالم وعليم .

والعليم من حيث كونه موجودا عند جميع جهات ذات المعلوم محيط .

ومن حيث كونه حاضرا هناك شهيد .

و اذا نسبه الى الغيب علام الغيوب .

و اذا انتسب الى جميع الغيب و الشهادة فهو عالم الغيب و الشهادة .

واذالوحظت نسبته الى المبصرات فهو بصير اوالى المسموعات فهو سميع .

ومن حيث تحفظه على المشهودات حفيظ .

والعليم من حيث احصائه المعلومات حسيب .

ومن حيث تعلقه بالدقايق خبير .

ومن حيث اتقانه معلوماته حكيم .

و هو تعالى من حيث مبدئيته لغيره و هى كون وجود ذاته عين الوجود وصرفه يبتدى منه وينتهى اليه كلما فرض غيره قادر وقدير .

و القادر من حيث ان افاضته الوجود من غير اقتضاء من الغير وايجاب رحمن .

وهو من حيث انه مفيض لذات الغير بارى .

ومن حيث انه جامع بافاضته لخلق ذاته واجزائها خالق .

ومن حيث رحمته الخاصة وهوالسعادة رحيم .

والرحيم من حيث افاضته لكل دقيق لطيف .

ومن حيث انه رحيم و لطيف رؤف .

ومن حيث يحب ماتعلق به رحمته ودود .

ومن حيث عدم توقعه فى ايصال الرحمة الجزاء كريم .

والكريم من حيث يجازى بالجميل من يثنى عليه شاكر وشكور .

ومن حيث لايجازى من اساء عليه بتعجيل العقوبة حليم .

ومن حيث ستره موانع الافاضة عفو و غفور كل باعتبار .

و من حيث قبوله و عدم رده من به ذلك و قد آب اليه تواب و قابل التوب .

ومن حيث اجابته لما يسئله الغير مجيب .

و القادر الخالق من حيث ان ما لمقدوره الممكن فله و هو معه محيط والمحيط من حيث قربه قريب .

ومن حيث انه محيط لايخلومنه شيء اول يبتدى منه الشيء و آخر ينتهى اليه الشيء وظاهر يظهر به الشيء وباطن يقوم به الشيء .

والقادر الخالق المحيط من حيث انه يمحو مايتصور من المقاومة ويستهلك المحاط المقدور عليه ولاتبطل قدرته فيما تتعلق به ولا تزلزل قدرته واحاطته غالب قاهر قوى متين كل باعتبار .

و ما هذا صفته اذا نسب اليه المقدور بحقارته فهو عظيم كبير او نسب اليه بدنائته فهو على اعلى متعال .

و اذا توهم من المقدور مقاومة و منه اعمال مقدرة و احاطة فهو مقتدر .

واذا زيد على ذلك المجازاة فهو ذوانتقام .

ومن هذا كله وصفه فهو مجيد .

واذا انعكس وصفه الكذائى لذاته فهو متكبر .

واذا لوحظ القادر الخالق الرحمن من حيث انه يوصل كلا الى كماله برحمته فهو رب .

والرب من حيث انه يفطر الوجود من العدم فاطر .

ومن حيث ان امره اعجب الامور بديع .

ثم فالق الحب والنوى وفالق الاصباح اى الصبح اذاطلع وهو اسم جزئى .

ومن حيث انه يفيض الامن عن وحشة ظلمات العدم و كل نقيصة و محذور مؤمن .

ومن حيث انه يفيض مالايسوء سلام .

ومن حيث ان مايفيضه عطية من غير غرض فهو وهاب .

و من حيث انه يفيض مايدوم به بقاء الموجودات بعد احداثها فهو رزاق .

ومن حيث ان عطائه لايوجب نقصا فيه فهو واسع .

ومن حيث انه هوالمؤجل لعطياته فهو مقيت .

ومن حيث ان اعظم الثناء عليه هو مايفيضه من رحمته فهوحميد .

ومن حيث انه يجبر كل كسير ويتم كل منقصة فى خلقه فهوجبار .

ومن حيث انه يقوى كل مغلوب فهو نصير .

ومن حيث انه يلى امر مخلوقه الذى لايقدر ولايملك لنفسه نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حيوة ولانشورا فهو ولى و مولى و وكيل كل من وجه .

و من حيث انه يفيض الحيوة فهو محيى .

ومن حيث انه يفيض الصور فهو مصور .

ومن حيث ان ذلك كله منه احسان فهو بر .

و من حيث ان الرب به يظهر كل ما فى الوجود فهو نور ثم هو مبين .

ومن حيث ان له كل شيء و هو يدبره فهو ملك ذوالعرش .

ومن حيث ان عنده ماعند كل شيء من غير عكس فهو عزيز .

ومن حيث انه لايحتاج الى شيء ولا الى ماعند شيء فهوغنى .

ومن حيث انالرب ملك ذوالعرش ليس غيره فهواحكم الحاكمين خير الفاصلين والحاكمين و الفاتحين .

ومن حيث انالرب يصمد ويرجع اليه المربوبون فى حوائجهم فهو صمد .

و الصمد من حيث يطلب منه الراجعون عونه و اعانتهم فهو مستعان .

والرب من حيث يعبد بالتوجه اليه اله .

ثم ان ما مر من الاسماء غير ثلثة منها و هو الواحد الاحد الحق واقعة تحت الاسمين القادر العليم و هما اذا نسبا معا الى الغير كانت القيومية فهما تحت الاسم القيوم و هو تعالى بما انه عليم قدير فى ذاته فهو حى : فسيطرة الاسمين الحى القيوم واقعة على جميع الاسماء الثبوتية غير الوحدة قال تعالى الله لااله الاهوالحى القيوم الاية فبالتوحيد فى الاية يتم شمولها لجميع الاسماء الثبوتية .

واماالسلوب وانتفاء النواقص والاعدام فيجمعها الاسم القدوس .

ويجمع الكل اعنى الاسماء الثبوتية والسلبية والجلال والجمال

و الذاتية و الفعلية جميعا الاسم ذوالجلال و الاكرام تبارك اسم ربك ذوالجلال والاكرام.

فهذا نوع تفرع الاسماء بعضها على بعض والترتب والتنزل الذى بينها و ربما امكنك بالتدبر والتامل ان تجد بينها مناسبات معنوية اخرى غير ماذكرناه توجب تفرعات اخرى وهاك فيما مر شجرة.

واجمع خبر لجميع معانى المباحث السابقة مافى الكافى مسندا عن ابراهيم بن عمر عن الصادق (ع) ان الله تبارك و تعالى خلق اسما بالحروف غير متصوت و باللفظ غير منطق و بالشخص غير مجسد و بالتشبيه غير موصوف و باللون غير مصبوغ منفى عنه الاقطار مبعد عنه الحدود محجوب عنه حس كل متوهم مستتر غير مستور فجعله كلمة تامة على اربعة اجزاء معاليس واحد منها قبل الاخر فاظهر منها ثلثة اشياء لفاقة الخلق اليها وحجب واحدا منها وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلثة التى اظهرت فالظاهر هو الله و تبارك و سبحان لكل اسم من هذه اربعة اركان فذلك اثناعشر ركنا ثم خلق لكل ركن منها ثلثين اسما فعلا منسوبا اليها فهو الرحمن الرحيم الملك القدوس الخالق البارى المصور الحى القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم العليم الخبير السميع البصير العزيز الجبار المتكبر العلى العظيم المقتدر القادر السلام المؤمن المهيمن البارىء المنشىء البديع الرفيع الجليل الكريم الرازق المحيى المميت الباعث الوارث فهذه الاسماء وماكان من الاسماء الحسنى حتى تتم ثلثماة وستين اسما فهى نسبة لهذه الاسماء الثلثة وهذه الاسماء الثلثة

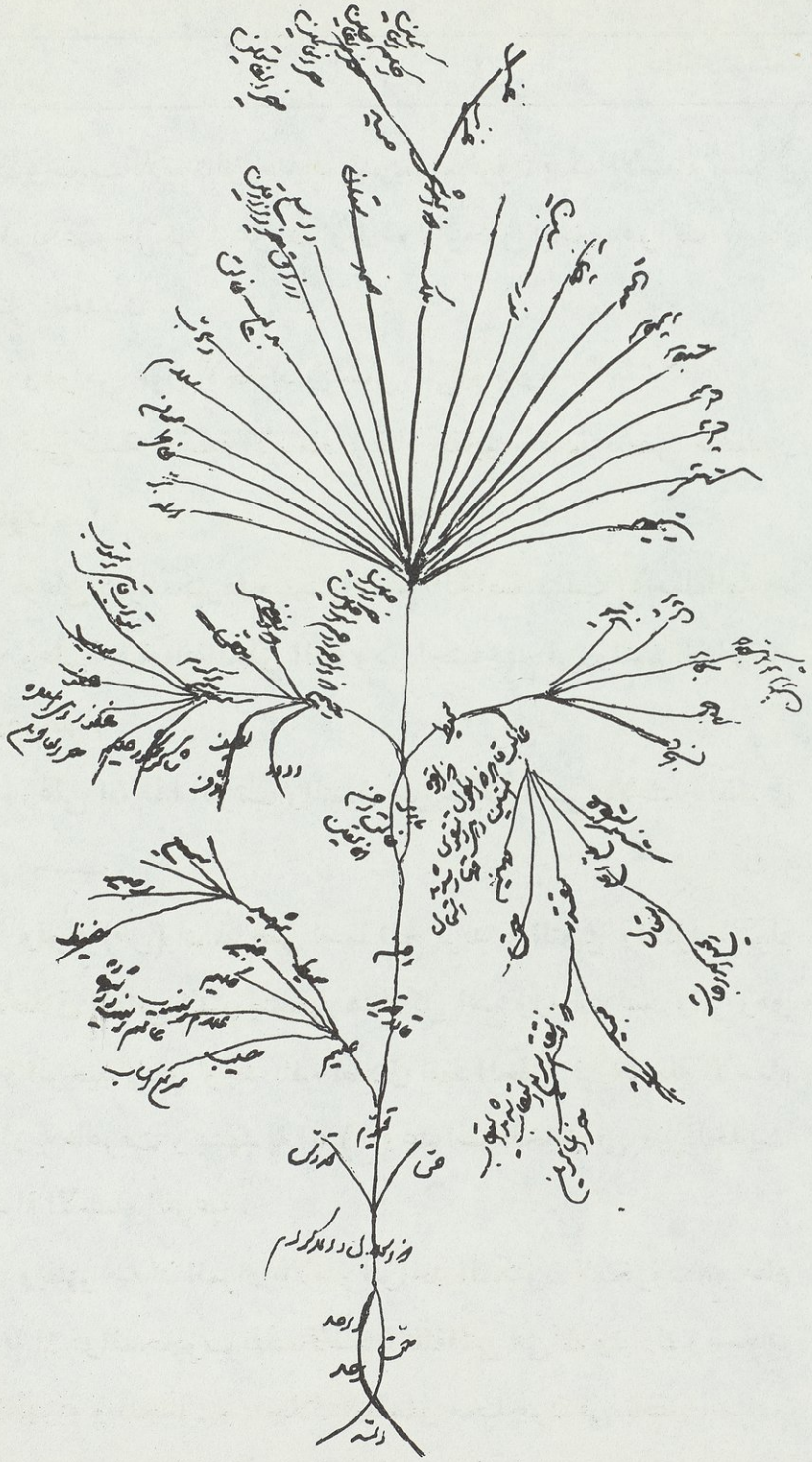

اركان وحجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلثة و ذلك قوله عزوجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى الحديث .

وهو من غرر الاحاديث يشتمل على وجازته .

على كيفية حقيقية الاسماء و قيام حقايق بعضها ببعض بالظهور و البطون .

وعلى كيفية تكثّرها و تكثر الاسماء الخاصة بنسب الاسماء العامة .

وعلى كيفية فاقة الخلق اليها وهو احتياجهم فى ذواتهم اليها وقيام وجودهم بها .

وعلى ان هذا الترتب والتنزل امر حقيقى ليس بالاعتبار اللغوى الادبى فحسب .

وقوله (ص) ان الله خلق اسما الخ يريد به التعين والتنزل الاول عن الاطلاق الذاتى الذى ينمحى هناك كل اسم ورسم وعين واثر وهو المورد الوحيد الذى وجد نافيه اطلاق لفظ الخلق فى مرحلة الاسماء والمراد به ماعرفت و يشهد به انه (ع) عد اسم الخالق فى ذيل الحديث من جملة الأسماء الفرعية .

ويظهر منه ان المراد بالاسم الواحد المكنون المخزون هو مقام الاحدية اذ هو المحجوب بهذه الاسماء الثلثة التى هى الله وتبارك وسبحان و هى الهوية و الجمال و الجلال اذ الخلق محتاجون فى تحقق اعيانهم وصفاتهم وافعالهم الى هذه الجهات الثلث من الهوية و صفات الثبوت

و صفات السلب و اما اذا لو حظ الخلق بالنسبة الى مقام الاحدية ففيه ارتفاع موضوعهم من الاعيان و آثارها كما لا يخفى و قد عبر (ع) فى مبتدء كلامه عنه سبحانه بهذه الاسماء الثلثة ايضا فقال ان الله تبارك وتعالى آه ثم فسر (ع) قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى الاية بما ذكره من احتجاب الاسم الواحد بالاسماء الثلثة وتفرع باقى الاسماء على الثلثة الحجب وهو ظاهر فى ان الضمير فى قوله تعالى فله الاسماء الحسنى آه راجع الى هذا الاسم المكنون المخزون اى راجع اليه سبحانه من حيث انه متعين بهذا التعين الاحدى اذ الدعا توجه ما و هو لايكون الا الى متعين متبين و اذ بين سبحانه ان جميع الاسماء الحسنى له وباى دعى دعى فالدعاء بجميع الاسماء التى لها تعين ما والمدعو هو الذات من حيث تسميته بها اى هذه الاسماء وهى قائمة بالذات والذات لانسبة له مع شىء الامع تعين ما وقد فرض جميع التعينات فى ناحية الدعاء فلم يبق الا تعين هو عين الاطلاق و هو مقام الاحدية اليه ينتهى السائرون بعد طى مراحل الاسماء وعنده تحل الرحال فافهم .

الى ذلك يشير ما فى بعض الادعية قال (ع) باسمك المكنون المخزون الحى القيوم الدعاء .

وانت بعد التدبر فيما مر من الكلام يمكنك ان تستخرج معانى آخر من هذا الحديث الشريف والله الهادى .

المبحث الخامس

قد عرفت ان ذاته سبحانه هى الهوية الحقيقية العينية التى تقوم و تظهر به كل هوية فى الاعيان ، و من هنا يظهر ان الاسماء الثلثة التى للخطاب والتكلم و الغيبة وهى انت وانا وهو ثابتة اسماء له تعالى فانها اسماء للهوية باعتبار الخطاب والتكلم والخلو عنهما وقدقال سبحانه **لا اله الا انت سبحانك** وقال تعالى **لااله الا انا فاعبدونى** و قال تعالى **الله لااله الا هو** و قال تعالى **اياك نعبد و اياك نستعين** و قال تعالى **و اليه ترجعون** الايات .

واما اسم الاشارة والموصول فقد ورد الاطلاق لكن لم يتعرض احد بالاسمية فيها قال تعالى **ذلكم الله ربكم** و قال تعالى **هوالله الذى لااله الا هو** وقال **امن يجيب المضطر اذا دعاه** الايات .

المبحث السادس

قد شاع فى الالسن ان اسماء الله تعالى توقيفية وقد ارسلوه ارسال المسلمات وليس المراد بالاسم هيهنا حقيقته وهو الذات الماخوذ بوصف ما لعدم رجوعه ح الى معنى محصل بل المراد به الاسم اللفظى وهو اسم الاسم حقيقة و ح فالمراد من التوقيف اما التوقيف على الرخصة الشرعية الكلية او الشخصية فيمكن توجيه القاعدة بوجهين :

احدهما ان معانى الالفاظ على المتداول المفهوم عندنا حيث لم تخل عن جهات النقص والاعدام وان كانت مختلفة من هذه الجهات ايضا وذلك مثل الاغواء والمكر والحيلة والاضلال ومثل الكبير والجسيم

و نحوهماونحن لاتفى عقولنا بادراك ما هو اللايق بحضرته المقدسة و و تشخيصه و تمييزه عما لا يليق احتيج الى ورود رخصة ما فى الايقاع والاطلاق ولضعف العقول عن الشرح والتفصيل فى كل مورد مورد احتيج الى ورود كل اسم اريد اطلاقه بنحو الاسمية عليه تعالى .

والثانى ان الامر كك لكن مجرد ضرب القاعدة بقوله تعالى و لله الاسماء الحسنى فادعوه بها و ذروا الذين يلحدون فى اسمائه الايه يكفى فى مقام التعليم وان نحذر عن اطلاق ما لايليق بساحته المقدسة بحسب المعانى المفهومة من الالفاظ الدائرة فى لغاتنا هذا .

وهذان وجهان مختلفان بحسب النتيجة فعلى الاول لايجوز اطلاق الاسم مالم يرد شرعا وان علمنا خلوّه عن جهات النقص والاعدام .

وعلى الثانى يجوز ذلك سواء ورد بالخصوص شرعا ام لا .

والظاهر ان مراد اكثر المتمسكين بهذه القاعدة هو المعنى الاول وهو عليل لقوله تعالى و لله الاسماء الحسنى وقوله تعالى الله لااله الاهو له الاسماء الحسنى و قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وغير ذلك من الايات التى تابى سياقها عن الحمل على العهد الذهنى بل ظاهرها لام الجنس وقد حل بالجمع فتفيد الاستغراق وان كل اسم احسن فله تعالى وقد مر تقريبه فى الفصول السابقة مع ان مقتضى الاستدلال لزوم التوقف فى كل معنى يطلق بلفظ ما عليه تعالى اعم من ان يكون بنحو الافراد والتسمية او بنحو التوصيف اوالحكاية بجملة اوكلام تام كما لايخفى .

و اما ماورد من الروايات ان لله سبحانه تسعة و تسعين اسما كما مر نقلها فليس فى مقام الحصر من حيث العدد .

و يشهد بذلك ان الاسماء التى درجت فيها و ذلك فى روايتين منها مختلفة متفاوتة و قد اهمل فيهما شيء كثير من الاسماء الواردة فى القرآن كما مر .

و يشهد بذلك ايضا ان الرواية الاخرى و هى رواية الكافى فى خلق الاسماء المنقولة سابقا تثبت من الاسماء الحسنى ثلثماة وستين اسما بل ظاهر هذه الرواية ان الاسماء الحسنى غير مقصورة على مجرد مايفيد التسمية من الاسماء كالرحمن الرحيم الملك بل يعم الجمل التى تفيد بمجموع الفاظها بمعنى لايقاله تعالى فانها عدت من الاسماء الحسنى لفظة تبارك وسبحان ولا تاخذه سنة ولانوم واذاصح عد مثل هذه الجمل من الاسماء الحسنى صح فى ساير الجمل التى اطلق عليه سبحانه فى الروايات و الخطب و المواعظ و الادعية و هى على اختلاف مواردها بحيث لايشك المتتبع فيها ان هذا النحو من الاطلاق و التوصيف غير موقوف على ورود تحديد شرعى شخصى البته وانما اللازم فى مواردها خلوها عن اثبات النواقص ومنافيات الكمال هذا .

فصل ٥

قد عرفت ان الاسماء هى حقايق الكمالات الوجودية وانها مترتبة متفرعة نشاء بعضها من بعض وظاهر ان الاسم الذى ينتشاء منه آخر فهو اوسع دائرة وارفع محلا واعظم اثرا منه ولايذهب هذا الترتب والتنزل

اخذا من تحت الى فوق الى غير النهاية فما ينتهى اليه جميع الاسماء هو اعظم الاسماء و اليه ينتهى جميع الاثار الوجودية التى لها فى دار الوجود .

فصل ٦

وقدتواترت الاثار من الاخبار والادعية الصحيحة الواردة عنهم (ع) فى وجود الاسم الاعظم و هى على كثرتها لاتحتاج الى النقل فى هذا المختصر وانما المهم بيان شيء آخر وهو انك اذا تاملت الاخبار والادعية و ما يثبت فيها من الاثار للاسم الاعظم علمت انه الاسم الذى يترتب عليه كل اثر متصور من الايجاد والاعدام من الابداء و الاعادة و الخلق والرزق والاحياء والاماتة والحشر والنشر و الجمع و الفرق و بالجملة كل تحويل وتحول جزئى وكلى ومن الواضح ان هذه التاثيرات غير مترتبة على اسم لفظى و هو صوت مسموع عرضى قائم بمخارج الفم فان بل صادرة من ناحية المعنى و هذا المعنى ايضا غير مؤثر بما انه صورة ذهنية خيالية مثلا بالضرورة فانها مثل اللفظ ، على انها فانية فى المصداق الخارجى ، على ان هذا المؤثر كائنا ما كان فهو مؤثر بوجوده العينى ومن المستحيل دخول مثل هذا الوجود فى الذهن فليس الاسم المزبور الا اسما خارجيا حقيقيا وهو الذات ماخوذا بوصف فهو بعض مراتب الذات المقدسة نعم هو ارفع المراتب واعلاها وهذا هو المراد من اسم الله الاعظم الواردة فى الاثار هذا .

وفى البصاير مسندا عن عمار الساباطى قال قلت لابى عبدالله (ع)

جعلت فداك احب ان تخبرنى باسم الله الاعظم فقال انك لا تقوى على ذلك قال فلما الححت قال فكانك اذا ثم قام فدخل البيت هنيئة ثم صاح بى ادخل فدخلت فقال لى ما ذلك فقلت اخبرنى به جعلت فداك قال فوضع يده على الارض فنظرت الى البيت يدور بى واخذنى امر عظيم كدت اهلك فضحك عليه السلام فقلت جعلت فداك حسبى لا اريد الرواية.

وروى فى البصاير ايضا شبيه القضية عن عمر بن حنظلة وابى جعفر عليه السلام .

و روى فى البصاير ايضا مسندا عن جابر عن ابى جعفر (ع) قال ان اسم الله الاعظم على ثلثة وسبعين حرفا وانما عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالارض مابينه وبين سرير بلقيس ثم تناول السرير بيده ثم عادت الارض كما كانت اسرع من طرفة عين و عندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفا وحرف عندالله استاثر به فى علم الغيب عنده ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم .

وفى البصاير ايضا مسندا عن البرقى يرفعه الى ابيعبدالله قال ان الله جعل اسمه الاعظم على ثلثه وسبعين حرفا فاعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفا واعطى منها ابرهيم ثمانية احرف واعطى موسى منها اربعة احرف و اعطى عيسى منها حرفين يحيى بهما الموتى و يبرىء بهما الاكمه والابرص و اعطى محمدا اثنين وسبعين حرفا واحتجب حرفا لئلا يعلم ما فى نفسه ويعلم ما فى نفس العباد الخبر .

وانت بعد معرفتك ان للنفس الانسانية ان تقفى فى مرتبة من مراتب

الذات ولايبقى ح الا تلك المرتبة تعرف معنى هذه الاخبار ولو كان هناك فى الحقيقة لفظ كان حاله حال ساير الفاظ الدعاء بالنسبة الى الاستجابة.

ومن هنا يظهر ان المراد من الحروف فى الرواية ليس هو حروف الهجاء وهو كك قطعا فان الاحتجاب ح غير معقول.

ويؤيده ما فى الخبر ان احرف الاسم الاعظم متفرقة فى القرآن والامام يؤلفها ويدعو بها الخبر.

و فى العيون و تفسير العياشى ان بسم الله الرحمن الرحيم اقرب الى اسم الله الاعظم من ناظر العين الى بياضها الخبر.

ومن هنا يظهر معنى ماورد عن ائمة اهل البيت انهم (ع) الاسماء الحسنى وانهم اسم الله الاعظم ويظهر ذلك ايضا من رواية الكافى السابقة.

و اذا تذكرت تلك الرواية وما ورد فى روايات الحجب علمت ان محجوبية الاسم الاعظم و استيثاره فى علم الغيب انما هو يكونه مسلوب التعينات فلاتصل اليه الايدى الا بمسئلة الفناء ولاخلق ح والملك يومئذ لله و لعل هذا هو المراد باستيثار الحرف الواحد والله العالم.

تم الكلام و الحمد لله رب العالمين و الصلوة على
محمد وآله اجمعين فى العشر الاخير من شهر
المحرم سنة احدى و ستين و ثلثماة
بعد الالف الهجرية القمرية

رسالة الافعال

هو الله رسالة فی افعال الله سبحانه وهی الرسالة الثالثه
من کتاب التوحید وهی آخر الرسائل

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله رب العالمین و الصلوة و السلام علی اولیائه المقربین سیما محمد و آله الطاهرین .

هذه رسالة وضعنا فیه اجمال القول فی افعال الله سبحانه ومایتفرع علیها من القول فی القضاء والقدر والبداء و السعادة و الشقاوة و الجبر و التفویض و سایر ما یشبهها من الهدایة و الاضلال و المشیة و الارادة والتمحیص والاستدراج والغضب والاسف ونحوها والله المستعان .

فصل ۱

قد بر هنا فی رسالة الاسماء الحسنی علی ان کل فعل متحقق فی دار الوجود مع اسقاط جهات النقص عنه و تطهیره من ادناس المادة والقوة والامکان وبالجملة کل جهة عدمیة فهو فعله سبحانه بل حیث کان العدم وکل عدمی بما هو عدمی مرفوعا عن الخارج حقیقة اذ لیس فیه

الاالوجود واطواره و رشحاته فلافعل فى الخارج الافعله سبحانه وتعالى وهذا امر يدل عليه البرهان والذوق ايضا .

فصل ٢

ويدل على مامر النقل ايضا قال تعالى **ذلكم الله ربكم خالق كل شىء** وقال تعالى **الله خالق كل شىء** وفيهذا المعنى آيات كثيرة .

وقال تعالى **الذى احسن كل شىء** خلقه فاخبر سبحانه بان كل شىء من خلقه وانه حسن .

ثم قال تعالى **ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك.**

و بهذه الاية يتم ان السيئات من حيث انها سيئات امور عدمية ، و انما اخذنا الحيثية لمكان ماقبل الاية و هو قوله تعالى **وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله و ان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهولاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا.**

وفى الكافى وغيره مستفيضا عن الرضا (ع) قال الله ابن آدم بمشيتى كنت انت الذى تشاء لنفسك ما تشاء و بقوتى اديت فرائضى و بنعمتى قويت على معصيتى جعلتك سميعا بصيرا قويا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وذلك انى اولى بحسناتك منك وانت اولى من سيئاتك منى وذلك انى لااسئل عما افعل وهم يسئلون .

و هذا الحديث القدسى من جوامع الكلم يتضمن بيان جميع

ماذكر و بالجملة فالفعل كلها من الله كما مر و مع الغض عن ذلك النظر فالافعال كلها من حيث حسنها له سبحانه .

ثم ان الذي خصه سبحانه بالذكر في كلامه او في السنة اوليائه بعض هذه الافعال وهي مع ذلك كثيرة الا انها بجملتها على قسمين :

احدهما افعاله سبحانه في تفاصيل خلقه و قيمومته و هي قيامه بلوازم الخلقة وشئونها كقوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين و تجعلون له اندادا ذلك رب العالمين و جعل فيها رواسي من فوقها و بارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء و هي دخان فقال لها و للارض ائتيا طوعا اوكرها قالتا اتينا طائعين فقضيهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها و زينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم و قوله تعالى ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار و قوله تعالى انزل من السماء ماءً فاحيي به الارض بعد موتها الى غير ذلك من الايات المشتملة على انحاء الافعال من القول والكلام والتصوير والتسخير والكتابة والتوصية والانبات والسوق والسقاية وامثالها .

وثانيهما افعاله تعالى في باب السعادة و الشقاوة و ما يلحق بهما قال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء

وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً الايات ، وهى تدل على اجمال القول الكلى فى افاضته على كلتا الطائفتين و امداده لكلا الجانبين .

ثم شرح سبحانه الحال فى جانب الشقاء فى آيات آخر فقال سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون و املى لهم ان كيدى متين و قال تعالى انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا و قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل و يحسبون انهم مهتدون حتى اذا جائنا قال ياليت بينى و بينك بعد المشرقين فبئس القرين .

و قال تعالى وكذلك زينا لكل امة عملهم الى ان قال و نقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون .

و قال تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون .

و قال تعالى انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون .

الى غير ذلك من الايات التى تنبىء عن انه سبحانه يخرجهم من النور ويتركهم فى ظلمات موحشة متراكمة ويزين لهم سراب الخبائث و السيئات بصور جميلة حسنة و يجعل الاغلال فى اعناقهم و السد من

بين ايديهم ومن خلفهم ويعميهم ويصمهم و يبكمهم و يقلب افئدتهم و ابصارهم و يجرح قلوبهم و يضيقها فلا تسع الحق و يلازمهم بقرناء الشياطين و رفقاء الابالسة و يستدرجهم ويملى لهم ثم يحلهم دارالبوار جهنم يصلونها و بئس القرار وامثال هذه الايات واردة فى جانب السعداء ايضا .

و من هذا الباب آيات اخر تدل على لزوم الامر كقوله تعالى قال الحق و الحق اقول لاملأن جهنم منك و ممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها ولكن حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين .

و قوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون .

ومن هذا الباب مايدل من الايات على ان الامر مقضى و القضاء الحتم مفروغ عنه مكتوب فى اللوح المحفوظ وقد جف القلم قال تعالى و اذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ثم قال تعالى وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذاباً شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا .

وقال تعالى ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وقال ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير .

وهذا القسم الثانى من الافعال التى نسبها الحق سبحانه الى نفسه يوجب بحسب ظاهر الايات السابقة تاثيرا ما للحق سبحانه فى جميع الافعال حتى السيئات من حيث هى سيئات و قد عرفت قيام البرهان و نهوض النقل والبيان على خلاف ذلك وهذا هو الموجب لتكلم القوم فى القضاء والقدر والسعادة والشقاوة ونحوها ولامح يتبعها النظر الظاهرى من حيث نظام التكليف و الجزاء و الثواب والعقاب والشكر والعتاب كما ستعرف .

فصل ٣

حيث ان الموجودات بعد الحق سبحانه واسمائه وصفاته ذو مراتب ثلث وهى بنحو الكلية على مايقطع به البرهان المذكور فى رسالة الوسائط ثلثة عوالم عالم العقل المجرد وعالم المثال و عالم المادة وهى مترتبة ترتب العلة والمعلول والكمال والنقص وقد فرغنا عن ذلك هنالك فكل ما يوجد فى عالم المادة و الجسم فصورته مطابقة لما فى عالم المثال من الصور وهى مطابقة لصور عالم العقل المجرد و ينتج ذلك ان نظام كل سافل منها مثبت فى ما فوقها ثبتا متقنا لا يتطرق اليه التغير و التبدل اذ ثبوت وجود فى عالم سافل يحتاج الى علة فى مافوقه وهى اذا تحققت لم تتغير اذ الواقع لايتغير عما هو عليه فما يقبل التغير من حيث هو واقع فليس بواقع فقبول العلة للتغير مع تحقق المعلول و وجوده و وقوعه مستلزم لخلاف الفرض او الانقلاب المحال فنظام الوجود فى كل عالم

موجود مثبت فی سابقه ومافوقه بنحو ثابت غیر متغیر.

ثم ان الحوادث التی فی عالم الاجسام حیث انها انما تتم وجودها بالمادة فهی کائنة ماکانت محتاجة الوجود الی استعداد سابق تحمله مادة وتتکثر الاستعدادات والامکانات بتکثر جهات المستعد له ویتسلسل فی ضمن موجودات جسمیة سابقة بالزمان کلما بعد حامل الاستعداد عن المستعد له قل تخصصه وتعینه فی ضمن المستعد وزاد ابهامه واشتد اجماله وکثرت نسبته الی امور یمکن وجودها فیه وکلما قرب من المستعد له کثر تخصص المستعد له و تعینه حتی یتم الاستعداد و یتصف بصفة الوجود وح یتم تعینه وتشخصه و امتنع تبدله لعدم ابهام فیه و استحال تغیره عما هو علیه.

مثال ذلک الانسان مثلا فانه قبل تمامیة صورته الانسانیة علقة ونطفة مثلا وقبل ذلک مرکب غذائی وقبل ذلک مرکب نباتی مثلا و قبل ذلک مرکب عنصری و قبل ذلک عنصرا و عناصر بسیطة و هو حین کونه فی مرتبة العنصر یمکن ان یصیر واحدا من الوف من المحتملات حتی یتخصص بالوف من الاستعدادات و الفعلیات فیصیر مرکبا عنصریا مخصوصا یبطل غیره من الممکنات والمحتملات جمیعا و لا یبقی غیر ماهو صار کک ویمتنع تغیره عنه الی غیره اذ المفروض بطلان استعداده و لا یزال کلما قرب من افق الانسان بطلت عدة من الاستعدادات و سد طریق جمع من المحتملات حتی یصیر انسانا ویبطل ح جمیع مایمکن ان یکون هو الا الانسانیة وامتنع ان لایکون انسانا ویتغیر عنها الی غیرها

اذالغير باطل زايل كل ذلك مما لا شك فيه .

و قد تبين ان المانع فى مرتبة تمامية الوجود عن التغير كما مر انما هوالوجود التام الذى يترتب به على الشيء آثاره اذ وجود الشيء نفس الشيء ومع فرض نفس الشيء كالانسان مثلا يمتنع تغيره عن نفسه اى فرض الانسان ووقوع الانسان موقعه فافهم ذلك .

واعلم ان هذا غير التغيرات و التبدلات التى فى هذا العالم فان تغير الانسان مثلا الى التراب وغيره ليس تغيرا فى وجود الصورة الانسانية وانما هو ارتفاع وجود الانسان عن المادة و نزول صورة التراب اليها فالتغير انما هو فى المادة الغير التامة الا بصورتها و اما وجود الصورة فليس فيه تغير و انما هو البطلان وفى الحقيقة انما هو انتهاء امد وجود وابتداء امد وجود آخر.

وبالجملة فالوجود الخارجى مانع عن طروق التغير و التبدل و هو الذى يلزمه آخر التفاصيل الواقعية للشيء فى ذانه و آثاره و نسبة الخارجية مع ارتفاع ابهامه من كل وجه و اذاكان ذلك كك و جميع استعدادات الوجودات المادية و الحوادث الامكانية و حوامل تلك الاستعدادات ايضا موجودة فى الخارج فهى ايضا ممتنعة التغير عما هى عليها فجميع الوجودات التى يتركب منها عالم الاجسام ويستقر عليها نظامه امور ثابتة بهذا النظر غير قابلة للتغير وانما تقبل التغير لافى انفسها بل بقياس بعضها الى بعض ونسبته فالنطفة من حيث انها نطفة غير قابلة التغير عما هى عليها ولااستعدادها لان يكون انسانا اوجسما آخر بماهو

استعداد موجود قابل للتغير ولامادتها الحاملة للاستعداد فى انها مادة قابلة للتغير وانما المادة اذا اضيفت الى الصور الحاصلة فيها تقبل ان تتحصل باحديها و اقربها مثلا صورة الانسان و بالجملة فهذا النظام الجسمانى باجزائها نظام غير قابل للتغير مثل النظام فى عالمى المثال والعقل المجرد غير ان فى ضمنه نظاما آخر لقبول التغير غير مؤثر قوته فى فعليته .

وحيث ثبت بالبرهان اشتمال عالم المثال لنظام هذا العالم بجميع تفاصيلها و اشتمال عالم العقل المجرد لتفاصيل عالم المثال ففيهما من تفاصيل نظام هذا العالم المادى قسم يقبل التغير فى مرتبة وقوعه فى عالم المادة وقسم لايقبل التغير بتاتا وحيث ان عالم المثال شبح ومثال لعالم العقل المجرد كان ثبوت الحكم بقسميه بالحقيقة هناك فافهم واحسن التامل فيه .

فتبين من جميع مامر ان لوجود الحوادث مرتبتين سابقتين عليها مرتبة لا تقبل التخلف عن الوقوع و التغير عن ذلك و هو التى نسميه بالقضاء الحتم و مرتبة تقبل التخلف و التغير كمرتبة مقتضياتها و عللها الناقصة والاستعدادات وهى التى نسميها بالقدر وهو القابل لوقوع المحو والاثبات و هو البداء .

وتبين ايضا ان هذا التقسيم فيما يقبل التركيب فى وجوده و اما مالايقبله كالمجردات المحضة فليس فيها الا القضاء فحسب .

فصل ۴

ويدل على ما مر النقل ايضا وقد مر بعض الايات فى ذلك و فى

المحاسن مسندا عن هشام بن سالم قال قال ابوعبدالله (ع) ان الله اذا اراد شيئا قدره فاذا قدره قضاه فاذا قضاه امضاه و فيه مسندا عن محمد بن اسحق قال قال ابوالحسن (ع) ليونس مولى على بن يقطين يا يونس لا تتكلم بالقدر قال لااتكلم بالقدر و لكن اقول لا يكون الا ما اراد الله وشاء وقضى وقدر فقال ليس هكذا اقول ولكن اقول لايكون الا ماشاء الله و اراد و قدر وقضى ثم قال اتدرى ماالمشية فقال لافقال همه بالشيء او تدرى ما اراد قال لا قال اتمامه بالمشية فقال او تدرى ما قدر قال لا قال هوالهندسة بالطول والعرض والبقاء ثم قال ان الله اذا شاء شيئا اراده واذا اراد قدره واذا قدره قضاه واذا قضاه امضاه الخبر وفى خبر آخر فذلك الذى لامرد له .

وفى التوحيد مسندا عن زرارة عن عبدالله بن سليمان عن ابيعبدالله (ع) قال سمعته يقول ان القضاء والقدر خلقان من خلق الله والله يزيد فى الخلق ما يشاء .

اقول و ذيل الخبر اشارة الى البداء و صدره اشارة الى ما بيناه من كونهما مرتبتين من الوجود وان كانا من مراتب العلم من جهة اخرى كما يشير اليه اخبار اخر .

ففى التوحيد عن المفسر باسناده الى العسكرى (ع) فيما يصف به الرب لايجور فى قضيته الخلق الى ماعلم منقادون و على ماسطر فى كتابه ماضون لايعملون خلاف ماعلم منهم ولاغيره يريدون الخبر.

و فى المحاسن مسندا عن داود بن سليمان الجمال قال سمعت

اباعبدالله (ع) وذكر عنده القدر وكلام الاستطاعة فقال هذا كلام خبيث انا على دين آبائى لاارجع عنه القدر حلوه ومره من الله والخير والشر كله من الله .

اقول و الاخبار بهذا اللسان ايضا مستفيضة و فى علل الشرايع مسندا عن عمرو بشر البزاز عن الباقر (ع) فى حديث و الله لقد خلق الله آدم للدنيا واسكنه الجنة ليعصيه فيرده الى ماخلقه له .

اقول و الاخبار فيهذا المساق ايضا مستفيضة على تعلق القضاء والقدر بالمعاصى ايضا و ان لم يتعلقا بهما من حيث انها كك .

واجمع خبر فى ذلك مااستفاض نقله عن على(ع) انه جاء رجل الى امير المؤمنين (ع) فقال ياامير المؤمنين اخبرنى عن القدر فقال بحر عميق فلا تلجه فقال يا امير المؤمنين اخبرنى عن القدر قال طريق مظلم فلاتسلكه قال ياامير المؤمنين اخبرنى عن القدر قال سر الله فلاتتكلفه قال يا امير المؤمنين اخبرنى عن القدر فقال امير المؤمنين (ع) اما اذا ابيت فانى سائلك اخبرنى اكانت رحمة الله للعباد قبل اعمال العباد ام كانت اعمال العباد قبل رحمة الله قال فقال له الرجل بل كانت رحمة الله للعباد قبل اعمال العباد فقال امير المؤمنين (ع) قوموا فسلموا على اخيكم فقد اسلم وقد كان كافرا قال وانطلق غير بعيد ثم انصرف اليه فقال له ياامير المؤمنين ابا لمشية الاولى نقوم ونقعد ونقبض ونبسط فقال له امير المؤمنين (ع) وانك لبعد فى المشية اما انى سائلك عن ثلث لا يجعل الله لك فى شىء منها مخرجا اخبرنى اخلق الله العباد كما شاء او كما شائوا فقال كما شاء

قال فخلق الله العباد لماشاء او لماشائوا فقال لماشاء قال ياتونه يوم القيمة كماشاء او كماشائو اقال ياتونه كماشاء قال قم فليس اليك من المشية شيء.

اقول استدل صلوات الله عليه بثبوت القدر وهو تأثير الحق سبحانه فى تفاصيل الموجودات وصدور افعالها ومنها الانسان بالصفات وسبقها على الافعال فان سبق الرحمة يقتضى ايجاد مقتضاها وهى تقتضى مرحوما كما ان سبق صفة المغفرة يقتضى ذنبا يقع عليه المغفرة كما فى الخبر لولا انكم تذنبون لذهب بكم وجاء بقوم يذنبون.

واما ذيل الخبر فيشير الى ان مشية الحق سبحانه هى الغالبة القاهرة على كل حال وهو (ع) وان لم يصرح الا ان فحوى الكلام يدل على انه يقول فيه على صفات الحق سبحانه المناسبة له كالقدرة و القهر والملك كمايفسره قوله (ع) فى خبر آخر وقد سئل عن القدر فقال (ع) مايفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها ومايمسك فلامرسل لها فقيل ياامير المؤمنين انما سئلناك عن الاستطاعة التى بها نقوم و نقعد و نقبض و نبسط فقال استطاعة تملك مع الله ام دون الله فسكت القوم ولم يحروا جوابا فقال (ع) ان قلتم انكم تملكونها مع الله قتلتكم وان قلتم دون الله قتلتكم فقالوا كيف نقول ياامير المؤمنين قال تملكونها بالذى يملكها دونكم فان امدكم بها كان ذلك من عطائه و ان سلبها كان ذلك من بلائه انما هو المالك لما ملككم و القادر لما عليه اقدركم اما تسمعون ما يقول العباد و يسئلونه الحول والقوة حيث يقولون لاحول ولاقوة الا بالله الخبر.

و فى التوحيد مسندا عن زرارة قال سمعت اباعبدالله (ع) يقول

كما ان بادىء النعم من الله وقد نحلكموه كذلك الشر من انفسكم و ان جرى به قدره .

اقول وهذا الخبر فى معنى سابقه وجملة المعنى ان الايجاد كالوجود له سبحانه بالاستقلال ولغيره سبحانه بالتبع وبه سبحانه ويدل عليه ايضا ما فى التوحيد مسندا عن الزهرى قال قال رجل لعلى بن الحسين (ع) جعلنى الله فداك ابقدر يصيب الناس ما اصابهم ام بعمل فقال ان القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد فالروح بغير جسد لايحس والجسد بغير روح صورة لاحراك بها فاذا اجتمعا قويا و صلحا كذلك العمل و القدر فلولم يكن القدر واقعا على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق وكان القدر شيئا لم يحس ولولم يكن العمل بموافقته من القدر لم يمض ولم يتم ولكنهما باجتماعهما قويا الخبر.

وفى الكافى والتوحيد مسندا عن المعلى قال سئل العالم (ع) كيف علم الله قال علم وشاء واراد وقدر وقضى وامضى فامضى ماقضى وقضى ماقدر وقدر ماراد فبعلمه كانت المشية و بمشيته كانت الارادة و بارادته كان التقدير و بتقديره كان القضاء و بقضائه كان الامضاء فالعلم متقدم المشية والمشية ثانية والارادة ثالثة والتقدير واقع على القضاء بالامضاء فلله تبارك و تعالى البداء فيما علم متى شاء و فيما اراد لتقدير الاشياء فاذا وقع القضاء بالامضاء فلابداء فالعلم فى المعلوم قبل كونه و المشية فى المنشأ قبل عينه والارادة فى المراد قبل قيامه والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها و توصيلها اعيانا و قياما و القضاء بالامضاء هو المبرم من

المفعولات ذوات الاجسام المدركات بالحواس من ذى لون و ريح و وزن و كيل وما دب ومادرج من انس وجن و طير و سباع و غير ذلك مما يدرك بالحواس فلله تبارك و تعالى فيه البداء مما لاعين له فاذا وقع العين المفهوم المدرك فلابداء والله يفعل مايشاء وبالعلم علم الاشياء قبل كونها وبالمشية عرف صفاتها وحدودها وانشائها قبل اظهارها وبالارادة ميز انفسها فى الوانها وصفاتها وحدودها وبالتقدير قدر اقواتها و عرف اولها و آخرها و بالقضاء ابان للناس اماكنها و دلهم عليها و بالامضاء شرح عللها وابان امرها ذلك تقدير العزيز العليم .

اقول ويستفاد من هذه الرواية جل مابيناه فى الفصل السابق .

وقد تبين به مورد القضاء والقدر كما مر و ان البداء مورده القدر على انه المصحح له ايضا .

و قد روى العياشى عن الباقر انه قال كان على بن الحسين (ع) يقول لولا آية فى كتاب الله لحدثتكم بما يكون الى يوم القيمة فقلت له اية آية قال قول الله يمحوالله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب .

و مثله فى التوحيد عن امير المؤمنين (ع) و الاخبار الواردة فى ثبوت البداء فوق حد الاستفاضة تركنا نقلها ايثارا للاختصار .

و فى المحاسن مسندا عن حريز او عبدالله بن مسكان قال قال ابوجعفر (ع) لايكون شيء فى الارض ولا فى السماء الا بهذه الخصال السبعة بمشية وارادة وقدر وقضاء واذن وكتاب واجل فمن زعم انه يقدر على نقض واحدة منهن فقد كفر .

اقول وهى اشارة الى قوله تعالى **ويفعل الله ما يشاء** وقوله تعالى **انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون** و قوله تعالى **انا كل شيء خلقناه بقدر** وقوله تعالى **له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم** وقوله تعالى **ما اصاب من مصيبة الا باذن الله** و قوله **ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق و اجل مسمى** و قوله تعالى **لكل اجل كتاب** وامثال هذه الايات .

واعلم ان اخبار هذا الباب مثل باب السعادة و الشقاوة و الجبر والتفويض على ثلثة اقسام قسم منها متعرض لحقايق الامور و قسم منها يكتفى ويجرى مع الناس بحسب ظاهرها لهم و قسم ينهى عن التعرض لهذه الابحاث كما مر فى الخبر عن امير المؤمنين (ع) طريق مظلم فلا تسلكه الخ .

وفى تفسير القمى وفى حديث آخر سئل يعنى الصادق (ع) هل بين الجبر والقدر منزلة قال نعم فقيل ماهو فقال سر من اسرار الله الخبر ومن المعلوم ان جواباتهم (ع) على قدر افهام السائلين والسامعين على اختلاف مراتبهم .

فصل ٥

الانواع التى لها نفوس مجردة تجرد اما هى فى اول وجودها انواع مادية محضة ثم تتحرك ذواتها بالحركة الجوهرية وتصير مجردة تجردا خياليا و تقف هناك او تتجاوز عنه بالحركة الجوهرية فتصير مجردة تجردا عقليا كليا وذلك فى بعض افراد الانسان فهذه الانواع جميعا

جسمانية الحدوث روحانية البقاء فهذه الانواع ذوات النفوس انواع متوسطة خلافا لجميع الفلاسفة المتقدمين من حكماء مصر ويونان وغيرهم وقدماء حكماء الاسلام .

والانسان من بينها خاصة و يمكن ان يلحقه بعض الحيوان نوع متوسط تحته انواع كثيرة تتصور بعد تجرده بصورها و يقف دونها او يتجاوزها الى صور عقلية ويقف دونها .

و حيث ان العود مثل البدؤ اوعينه بوجه فالنوعية الاخيرة التى يرتقى اليها و يقف دونها الانسان هى المرتبة التى منها نزل و ان كان بين المرتبتين اعنى البدء والعود فرق وسيجئى الاشارة اليه هذه اصول تفرد بوصفها و البرهنة عليها صدر المتالهين قدس سره .

وبعد وضعها نقول التجارب التام يفيد ان بين خصوصيات ابنية الابدان وامزجتها وبين الاخلاق ارتباطا تاما والاخلاق ملكات اى علوم راسخة تتلبس بها النفس بواسطة الاحوال وتكررها حتى ترسخ وتثبت ثبوتا غير جايز الزوال والتجارب ايضا حاكم بتاثير التربية وخاصة التربية التعليمية بالتلقين وهذا يفيد ان تاثير اوضاع الابدان فى باب انتشاء الاخلاق ليس على حد الايجاب بل بنحو الاستعداد الشديد غير ان للخلق حدا يستحيل معه زواله هذا .

فالنفس اول ماتحدث بحركة البدن الجوهرية حيث ياخذ الخيال فى الفعل وهى ح متلونة بلون البدن تلونا قويا الا انه غير بالغ بعد مرتبة اللزوم ، ثم تخلى هى ومابين يديها ومن نوع التربية والعلوم والاعتقادات

و الحوادث المرتبطة بها المتماسة معها فلا تزال تسلك سبيلا بعد سبيل وتتراكم عليها الاحوال والاعتقادات وينتج بعضها بعضا حتى ترسخ فيها رسوخا غير مفارق و هذه صورة نفسانية تفرق بها نفس عن نفس وهو تنوع النفس فان كانت صورة سعادة فتقع فى البرزخ فى سبيل السعادة وان كانت صورة شقاوة ففى سبيل الشقاوة وانكان تجردها تجردا برزخيا وقفت دونه وان تجاوزته تجاوزته هذا .

بقى هنا شيء وهو ان كمال كل معلول و غاية وجوده هو وجود علته ومن المستحيل ان يتكامل معلول فيتجاوز كمال علة وجوده والمرتبة التى فيها وجودها و من المستحيل ان يتكامل معلول و يطوى جميع مراتب كماله الوجودى فلاينتهى الى مرتبة علته اى لايتصل الى حد بعده علته والالزم خلاف الفرض و من المستحيل ايضا ان يلغى غاية علة من العلل الطولية المجردة من فعلها اذ المفروض انها مجردة ثابتة غير متغيره ومعلولاتها انما صدرت عنها بهذه الحيثية وهى غير متغيرة ففرض تخلف غاياتها او غايات معاليلها محال .

ومن هذه المقدمات يستنتج ان الشيء فى عوده انما يستقر فى مرتبة تعينت منها ذاته وفوقه علته فكل شيء يعود الى مابدء منه غير ان بين البدو والعود فرقا من حيث ان العود ينشعب الى دار سعادة ودار شقاوة والبدو لم ينشعب اليها بل هى دار سعادة فحسب لكن يجب ان يعلم ان السعادة فى البدؤ انما هى السعادة العامة دون السعادة الخاصة التى يقابلها الشقاوة فلامنافاة بين سعادة البدء وتعين ذات الشقى منها وعوده الى تلك المرتبة

وهو شقى والبده والعود مع ذلك واحد فافهم ان كنت من اهله انشاءالله تعالى .

وقد تقدم ان النظام العقلى فى عالم المجردات و النظام المثالى فى عالم المثال واحد وجهى النظام الجسمانى فى عالم الاجسام نظام ثابت غير متغير فكيفماكان تعين النوع الجسمانى و منها الانسان الذى هو جسمانى الحدوث من سعادة و شقاوة فكك يعود هكذا ينبغى ان يفسر السعادة و الشقاوة الذاتيتان دون مايترائى من ظاهر لفظهما حتى يلزمه بطلان تأثير التربية و لغوية التكاليف و اختلال نظام التشريع وبالجملة بطلان المجازاة والثواب والعقاب والله الهادى .

واعلم ان ماذكرناه فى هذا الفصل كله مبرهن عليه غير انا اشرنا الى برهان بعض واضربنا عن بعض لطول مقدماتها وترتبها على اخرى من ارادها فليراجع المطولات .

فصل ٦

و النقل ايضا يدل على ما مر فان الايات المذكورة فى الفصل الثانى وان دلت على انواع مقت الله للاشقياء و اضلالهم عن طريق الهداية والمكر معهم واقسام التصرف فى باطنهم الا انا اذا رجعنا اليها و تاملنا فيها وجدنا ان افعال الحق و تصرفاته فيهم معلل بالشرور التى فى انفسهم ومترتب على فسوقهم و كفرهم وطغيانهم **والله لا يهدى القوم الفاسقين و الله لا يهدى القوم الظالمين و ما ظلمهم الله و لكن كانوا انفسهم يظلمون .**

وقطع نوال الهداية عمن اعرض عنها وتخليته و ضلالته لاينافى عموم عدله سبحانه وشمول رحمته فارسال هذه النقمات وتلبيسهم باقسام ملابس الشقاء معلل بانفسهم و اما ابليس و اغوائه للاشقياء فليس ذلك لتسلطه الذاتى عليهم بل لتسليطهم اياه على انفسهم باتباعهم اياه لغيهم فى ذاتهم قال تعالى حكاية عن ابليس **ولاغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين قال هذا صراط على مستقيم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين** وقال تعالى ايضا حكاية عنه لع فيما يخاطبهم به يوم القيمة **وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى و لوموا انفسكم ما انا بمصرخكم و ما انتم بمصرخى انى كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم** الاية .

فحمل ابليس ايضا الذنب عليهم انفسهم و علل العذاب بالظلم دون الاتباع و استجابة الدعوة وكل ذلك احالة الى الذات و حكى سبحانه الاعتراف بذلك منهم انفسهم و هم معذبون **ربنا غلبت علينا شقوتنا** وقال تعالى **قل كل يعمل على شاكلته** الايه فذات سعيدة و ذات شقية و حيث رجع الشقاء الى الذات و هى و ان وقعت افعالها فى خارج عنها وانفعالاتها عن الخارج عنها لكن من المعلوم ان افعالها و انفعالاتها و خاصة ما يرجع الى باطنها منها لا يخرج عن نفسها و دائرة ذاتها و قد قال تعالى **من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها** وقال تعالى **يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم** وقال تعالى **وما يمكرون**

الا بانفسهم وقال تعالى و ما يخدعون الا انفسهم و مايشعرون الاية .

واذا كان كذلك فكلما قصدت فعلا اوارادت غاية لم يخرج ذلك عن نفسها وانما قصدت صورة حسنة اوسيئة من صور نفسها وهذه حقيقة فالغاية كمال للفاعل والفعل من شئونه و جهاته و اطواره على مابين فى محله و اذا كان كذلك فهذه الصور السيئة التى تكتسبها الذات الشقية تزيد وتنمو وتتراكم عليها حتى تعميها و تصمها و تقلب افئدتهم و تزين لهم كلما يصدعن سبيل الله و يجعل الرجس على قلوبهم و تجعلها ماوى للقرين من الشياطين الى آخرما اوعدهم الله سبحانه كل ذلك بسيرذواتهم فى هذه الظلمات و تلبسها بملابسها قال تعالى وان للذين كفروا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم الايه فهم بشقائهم الذاتى يسلكون سبيل النار ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا الايه ولايزالون يقطعون مرحلة قد هيؤها بسابق اعمالهم بعد مرحلة حتى يحلوا دارالبوار جهنم يصلونها و بئس القرار .

و يؤيد ما مر طوائف من الاخبار منها اخبار السعادة و الشقاوة ففى الامالى مسندا عن الصادق (ع) قال قال رسول الله (ص) الشقى من شقى فى بطن امه والسعيد من سعد فى بطن امه الخبر وهو خبر مستفيض رواه جمع بطرق مختلفة من الخاصة والعامة .

وفى قرب الاسناد عن ابن عيسى عن البزنطى عن الرضا (ع) فى حديث ثم قال ان النطفة تكون فى الرحم ثلثين يوما وتكون علقة ثلثين يوما و تكون مضغة ثلثين يوما و تكون مخلقة و غير مخلقة ثلثين يوما و اذا

تمت الاربعة اشهر بعث الله تبارك وتعالى اليها ملكين خلاقين يصور انه ويكتبان رزقه واجله وشقيا او سعيدا الخبر .

وهذا المعنى وارد في روايات آخر ايضا .

وفي التوحيد والمحاسن مسندا عن ابن حازم عن ابيعبدالله (ع) قال ان الله خلق السعادة والشقاوة قبل ان يخلق خلقه فمن علمه الله سعيدا لم يبغضه ابدا وان عمل شرا ابغض عمله ولم يبغضه و ان علمه شقيا لم يحبه ابدا وان عمل صالحا احب عمله وابغضه لمايصيره اليه فاذا احب الله شيئا لم يبغضه ابدا واذا ابغض شيئا لم يحبه ابدا الخبر .

و في البصائر مسندا عن محمد بن عبدالله قال سمعت جعفر بن محمد (ع) يقول خطب رسول الله الناس ثم رفع يده اليمنى قابضا على كفه فقال اتدرون مافي كفي قالوا الله ورسوله اعلم فقال فيها اسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وقبائلهم الى يوم القيمة ثم رفع يده اليسرى فقال ايها الناس اتدرون ما في يدي قالوا الله و رسوله اعلم فقال اسماء اهل النار و اسماء آبائهم وقبائلهم الى يوم القيمة ثم قال حكم الله و عدل و حكم الله وعدل فريق في الجنة وفريق في السعير الخبر وروى هذا المعنى في المحاسن ايضا .

ومنها مايدل على ان العود الى ماكان منه البدوّ ففي العلل مسندا عن ابي اسحق الليثي عن الباقر (ع) في حديث طويل ثم قال اخبرني يا ابراهيم عن الشمس اذا طلعت وبداشعاعها في البلدان اهو بائن من القرص قلت في حال طلوعه بائن قال اليس اذا غابت الشمس اتصل ذلك الشعاع

بالقرص حتى يعود اليه قلت نعم قال كك يعود كلشيء الى سنخه وجوهره واصله الخبر .

و هذا المعنى مع التمثيل متكرر فى احاديث الطينة وفيه لطائف من المعانى .

و فى الامالى و تفسير القمى فى حديث قال خلقهم حين خلقهم مؤمنا وكافرا وشقيا و سعيدا وكك يعودون يوم القيمة مهتد وضال الى ان قال كما بداكم تعودون من خلقه الله شقيا يوم خلقه كك يعود اليه ومن خلقه سعيدا يوم خلقه كك يعود اليه سعيدا قال رسول الله (ص) الشقى من شقى فى بطن امه والسعيد من سعد فى بطن امه الخبر .

اقول و فى اوله اشارة الى قوله تعالى **هو الذى خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن** .

و منها اخبار الطينة وهى اخبار كثيرة جدا تدل على اختلاف ما فى مضامينها على ان سنخ السعداء و الاشقياء و اصلهم الذى خلقوا منه وبدؤا عنه وهو المعبر عنه فيها بالطينة مختلف فطينة السعداء من عالم النور والجنة وعليين والارض الطيبة والماء العذب الفرات ومأل الجميع واحد كما سنشير اليه انشاء الله وطينة الاشقياء من عالم الظلمة والنار و سجين والارض السبخة الخبيثة والماء الاجاج ومأل الكل واحد وان جميع ما يستقبلهم من انواع السعادة و الشقاوة و الخير و الشر من حين اخذوا فى السير عن موطنهم الاصلى الى ان يعودوا اليه ويحلوا محلهم من آثار الطينة التى منها خلقوا ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وهذا الذى تفيده هذه الروايات مستفادة من القرآن الكريم قال تعالى كما بدئكم تعودون فريقا هدى و فريقا حق عليهم الضلالة فاخبر سبحانه انهم كما يعودون فريقين فقد بدئوا فريقين ثم قال سبحانه كلا ان كتاب الفجار لفى سجين وما ادريك ماسجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الى ان قال كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وما ادريك ماعليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفى نعيم الى آخر الايات وقد قال تعالى كل امة تدعى الى كتابها الايه .

وقد بينا فى رسالة الوسائط ان كتاب كل موجود انما هو سلسلة من امور وجودية هى ذاته و تبعات ذاته و آثاره و لواحقه و اذنابه و انه بنحو الاستنساخ من اصل ثم اصل حتى ينتهى الى الاصل الواحد وهو ام الكتاب واذا تاملت فى هذه الايات وجدت ان عليين و سجين كتابان كليان فيهما كتاب الابرار والفجار وانهما هى الجنة والنار ومن هما طينتا البر و الفاجر و قال تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور فاخبر بان اعمال السعداء يصعد اليه و يرفعه و اعمال الاشقياء تهلك و تبور ثم قال سبحانه والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير الايه فاخبر بان خلقهم واطواره ومقاديرها محفوظ عنده مكتوب قبل وجودهم وبرئهم ثم قال سبحانه وما يستوى

البحر ان هذا عذب فرات سائغ شرابه و هذا ملح اجاج و من كل تاكلون لحما طريا و تستخرجون حلية تلبسونها و ترى الفلك فيه مواخر الاية .

فبين سبحانه سبب اختلاف مجارى افعال السعداء و الاشقياء فافعال احد الفريقين يصعد اليه سبحانه و افعال الاخر تهلك مع انهم جميعا مخلوقون من تراب ثم من نطفة و هم ازواج بان الاشتراك فى بعض الجهات العارضة والفوايد المترتبة لايوجب الاستواء بعدما كانت الذوات مختلفة الاصول فبعضها من البحر العذب وبعضها من البحر المالح و يستشم هذا المعنى من قوله تعالى و هو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا الايتان وقال تعالى والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب و يجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم اولئك هم الخاسرون الايتان .

فاخبر سبحانه بان المشتركات من الافعال التى يوجد فى جميع الموارد كما ذكره فيما سبق من الايات ستميز وتجمع كل الى مايشاكله و يلحق باصله بعد ما خلطت و مزجت فى هذه الدنيا و قد قال تعالى الخبيثات للخبيثين و الخبيثون للخبيثات و الطيبات للطيبين و الطيبون للطيبات .

ثم قال تعالى حكاية عن اهل الجنة و قالوا الحمد لله الذى

صدقنا وعده و اورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء الايه وقال سبحانه ومساكن طيبة فى جنات عدن الايه فاخبر بانه يورثهم ارضا ومساكن طيبة هى الجنة وقال سبحانه وهوالذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لايخرج الا نكداً كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون الايتان .

فاخبر بان التفاوت العظيم الذى بين ثمرات السعادة و الشقاوة فى خلال تصريفاتهم الى الاحياء والمحشر يرجع الى تفاوت الاراضى التى منها تكوّنوا وعليها احيوا وعاشوا وارتزقوا فمن ارض طيبة يطلع منها كل الثمرات بماء رحمته سبحانه و من ارض خبيثة سبخة لا يخرج الا نكدا عديم النفع فارجع الامر الى الطينة بالاخرة و قد قال سبحانه انا خلقناكم من طين لازب وقال انى خالق بشرا من طين وقال سبحانه منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فتامل فيما قدمناه وتدبر فى جهات الكلام و خصوصيات القول .

واعلم ان كلامه سبحانه واحد ومايبدل القول لديه وهويقول الحق و يهدى السبيل فعلى هذا الاصل الواحد ندور ونجرى والحمدلله .

و فى العلل مسندا عن ابى بصير قال دخلت على ابى عبدالله (ع) و معى رجل من اصحابنا فقلت جعلت فداك يابن رسول الله انى لاغتم واحزن من غير ان اعرف لذلك سببا فقال ابوعبدالله (ع) ان ذلك الحزن

والفرح يصل اليكم منا لانا اذا دخل علينا حزن او سرور كان ذلك داخلا عليكم ولانا واياكم من نور الله عزوجل فجعلنا وطينتنا واحدة ولو تركت طينتكم كما اخذت لكنا وانتم سواء ولكن مزجت طينتكم بطينة اعدائكم فلولا ذلك ما اذنبتم ذنبا ابدا قال قلت جعلت فداك فتعود طينتنا و نورنا كما بدء فقال اى والله ياعبدالله اخبرنى عن هذا الشعاع الزاخر من القرص اذا طلع اهو متصل به او بائن منه فقلت جعلت فداك بل هو بائن منه فقال افليس اذا غابت الشمس وسقط القرص عاد اليه فاتصل به كما بدا منه فقلت له نعم فقال كذلك والله شيعتنا من نور الله خلقوا واليه يعودون والله انكم لملحقون بنا يوم القيمة الخبر .

و فى امالى الشيخ مسندا عن يحيى بن عبدالله بن الحسن عن ابيه وعن جعفر بن محمد عن ابيهما عن جدهما قالا قال رسول الله (ص) ان فى الفردوس لعينا احلى من الشهد والين من الزبد و ابرد من الثلج و اطيب من المسك فيها طينة خلقنا الله عزوجل منها و خلق منها شيعتنا فمن لم تكن من تلك الطينة فليس منا ولا من شيعتنا وهى الميثاق الذى اخذ الله عزوجل عليه ولاية على بن ابيطالب (ع) قال عبيد فذكرت لمحمد بن على بن الحسين بن على هذا الحديث فقال صدقك يحيى بن عبدالله هكذا اخبرنى ابى عن جدى عن النبى (ص) .

و فى العلل عن زيد الشحام عن ابيعبدالله (ع) قال ان الله تبارك وتعالى خلقنا من نور مبتدع من نور سنخ ذلك النور فى طينة من اعلى عليين و خلق قلوب شيعتنا مما خلق منه ابداننا و خلق ابدانهم من طينة

دون ذلك فقلوبهم تهوى الينا لانها خلقت مما خلقنا منه ثم قرا كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون وان الله تبارك وتعالى خلق قلوب اعدائنا من طينة من سجين وخلق ابدانهم من دون ذلك وخلق قلوب شيعتهم مما خلق منه ابدانهم فقلوبهم تهوى اليهم ثم قرا كلا ان كتاب الفجار لفى سجين وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين .

وفى العلل مسندا عن حبة العرنى عن على (ع) قال ان الله عزوجل خلق آدم (ع) من اديم الارض فمنه السباخ و منه الملح و منه الطيب فكك فى ذريته الصالح والطالح الخبر .

اقول وهذا المضمون وامثاله يمكن ان ينزل على الارتباط الذى بين تركيب الابدان وامزجتها وبين الاخلاق والافعال كما يؤيده ما فى النهج من كلامه (ع) وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال (ع) انما فرق بينهم مبادىء طينهم وذلك انهم كانوا فلقة من سبخ ارض وعذبها وحزن تربة وسهلها فهم على حسب قرب ارضهم يتقاربون وعلى قدر اختلافها يتفاوتون فتام الروا ناقص العقل ومادالقامة قصير الهمة وزاكى العمل قبيح المنظر و قريب القعر بعيد السبر و معروف الضريبة منكر الجليبة وتائه العقل متفرق اللب وطليق اللسان حديد الجنان الخطبه .

وفى المحاسن عن على بن الحكم عن ابان عن زرارة عن ابيجعفر فى حديث فقال ان الله تبارك و تعالى قبل ان يخلق الخلق قال كن مائا عذبا اخلق منك جنتى و اهل طاعتى و قال كن مائا ملحا اجاجا اخلق

منك نارى واهل معصيتى ثم امرهما فامتزجا فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر مؤمنا ثم اخذ طين آدم من اديم الارض فعركه عركا شديدا فاذاهم كالذر يدبون فقال لاصحاب اليمين الى الجنة بسلام وقال لاصحاب النار الى النار ولاابالى الخبر .

فهذه انموذجة من اخبار الطينة و هى تشتمل على خمسة انواع من البيان حسب ماوردناه كل واحد من هذه الاصناف مستفيض والكل واحد كما عرفت .

ومنها اخبار الذر و الميثاق وهى على كثرتها تبين ان الله سبحانه اخذ الميثاق بعد ما عرضه على السعيد و الشقى معا فاخذ اقرارهم على ربوبيته و حقيقة الحق و بطلان الباطل كما يومى اليه آيات من القرآن قال تعالى **واذاخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون** الايات .

بين سبحانه انه اخذ ذرية بنى آدم من ظهورهم واخذ منهم الاقرار على ربوبيته ومن المعلوم ان اباهم آدم غير معفو عن هذا الامر فهو معهم فهو فى الحقيقة اشهاد له ولذريته جميعا فيكون قوله من بنى آدم من ظهورهم المراد به آدم ومايخرج من ظهره ومايخرج من ظهر كل من ذريته الخارجة من ظهره تغليبا ولذلك اطلق فيما يفسره من الاخبار ان الله اخرج من ظهر آدم ذريته الى يوم القيمة ونكتة التغليب الاشارة الى اعتبار وساطة الناس

بعضهم فى توليد بعض وعدم تاثير هذه الاختلافات فى تمام الحجة عليهم واقرارهم اذ قالوا بلى شهدنا فيكون كالتوطئة لقوله تعالى بعد او تقولوا انما اشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم الاية فافهم .

ثم ان هذا الاخذ و الاشهاد لو كان موطنه هذه النشأة الدنيوية كان قوله قالوا بلى شهدنا حكاية عن لسان الحال و يكون المراد من اخذهم ايجادهم بالتوليد والتناسل واشهادهم على انفسهم الست بربكم ارائتهم انفسهم بما يشتمل على الايات الانفسية التى تدل على وجود الحق ووحدانيته فيترتب عليه اعترافهم بلسان الحال بتوحيده سبحانه فيكون جملة المراد ان الله سبحانه خلق بنى آدم فى هذه الدنيا و نشرهم فيها واشهدهم على انفسهم بارائة آياتها واحتياجاتها الى رب مدبر فاعترفت بهذه الايات ودلالتها قلوبهم وقالوا بلسان حالهم بلى شهدنا الان سياق هذه الايات يعطى ان هذا الاخذ العمومى والاشهاد انما كان قطعا لحجتين يمكن ان يحتجوا بهما يوم القيمة اذ راوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وهما انا كنا عن هذا غافلين او انا وان لم نغفل لكن الذنب انما هو من آبائنا من قبل ونحن اذ كنا ذريتهم تبعناهم فى شركهم افتهلكنا بفعل فعله هؤلاء المبطلون .

ويؤل المراد الى ان هذا الاخذ و الاشهاد انما هو ليرتفع الغفلة نفسها او يبطل اثرها وليبطل اثر التبعية بالولادة وان لم يغفل التابع ومن الواضح ان الغاية الثانية لاتترتب على هذا الاخذ والاشهاد فارتفاع الغفلة يقطع العذر كائنا ما كان و لا قاطع غيره فاضافة غاية اخرى الى الاولى

كائنة ماكانت توجب ردائة الكلام و سماجته و حاشا كلامه سبحانه .
ولو جعل قوله تعالى ان تقولوا الخ غاية لقوله تعالى و اشهدهم و قوله اوتقولوا الخ غاية لقوله واذاخذ الخ يصير الكلام اردى واسمج اذيصير المعنى ان ربك اخذ ذرية بنى آدم من ظهورهم و فكك بين الجميع لئلايقع بعضهم تحت تبعية بعض لعدم انفصالهم عنهم فيقولوا يوم القيمة ان الفاعلين للشرك انما هم آبائنا فلما ذاتعذبنا هذا اذلاباء ولاذرية بعد فرض عدم الانفصال .

فهذا الموطن لايجوز ان يكون هو موطن الحيوة الدنيا بل الاية الشريفة او تقولوا انما اشرك آبائنا الايه تفيد ان هناك كان موطنا لولا تفكيك الذرية من آبائهم لاثرت التبعية المحضة و لم يكن فعل الشرك الا فعلا واحدا صادرا من آبائهم دون الذرية حتى كانت الذرية تقول يوم القيمة اناكنا متصلين بآبائنا و موجودين بتبعيتهم و الشرك كان من فعلهم فبما ذا تستوجب عذابنا بعد اذ فصلتنا منهم و ميزت وجودنا من وجودهم فاخبر سبحانه انه فرق بينهم اذ ذاك لينقطع حجتهم و يكون قولهم تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين الايه احتجاجا بالغفلة عن الاشهاد الذى فى هذا الموطن فلابد ح ان يكون حكمه بحيث لايقبل التغير اى راجعا الى الذات و نحو الوجود حتى تجرى على وتيرته وحسب اقتضائه الحيوة الدنيوية التى اوجبت شقاوتهم فيها فيكون هذه الغفلة غفلة ذاتية لهم عن ربوبيته سبحانه و شهادتهم شهادة ذاتية و ابصارا وجوديا و اشهادهم على انفسهم اشهادا و كشفا ذاتيا عن حقيقة

انفسهم وهي ليست الا باطلة الذات في نفسها وقائمة الذات بالحق ولهذا اردف سبحانه قوله و اشهدهم على انفسهم بقوله الست بربكم فوضع سبحانه كلمة الرب وهو المالك المدبر و لم يقل قال الست بربكم لان الكلامين اعني قوله واشهدهم على انفسهم و قوله الست بربكم بمعنى واحد بالمعنى الذى ذكر فعاد معنى الايات والله العالم الى ان هناك موطنا غير موطن الدنيا فرق فيها بين اشخاص الانسان وكثرهم بعد جمعهم و وحدتهم و عرفهم و اراهم نفسه بتعريفهم و اراتهم انفسهم فشهدوه واعترفوا بربوبيته ولولا ذلك لشملتهم الغفلة في هذه الدنيا ولم يوحدوه في هذه الدنيا فافهم .

لان من اسلم ووحد في ذلك الموطن لاسبيل له الى الشرك ومن اشرك هناك لم يجد بدا الا ان يشرك في هذه الدنيا كما يشير اليه سبحانه بقوله تعالى ١ وما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل الايه و ما بعد هذه الايات واذا خذ الخ الى ستة آيات في سياق مامر من المعنى وسادستها قوله تعالى و لقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن و الانس لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم اعين لا يبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون الايه .

١ـ و ذلك ان هذا التركيب لا يفيد مجرد النفى بل يفيد معنى الانتظار و الترقب في قولنا نصحت لفلان ينتهى عن الملاهى و ماكان ليقبل نصيحتي وقد اعتادبها فماتمحله صاحب الكشاف من ان المعنى فما كانوا ليؤمنوا بعد مجيء الرسل بماكذبوا به من قبل على انه يوجب تجوزا آخر في قوله كذبوا في غير محله منه .

وفى آخر الاية عطف الى اول الايات و تحديد للغفلة بانها انما يكون وتتحقق فى تفقهات القلوب ومبصرات العيون ومسموعات الاذان واما شهادة النفس لنفسها ولربها فلايحتجب بحجاب.

ثم ان فى الايات واذاخذ الخ اشارة كما علمت الى ان هذا الموطن و ان اوجب منهم شهادة بالربوبية لكنها لم يخل مع ذلك عن موحد و مشرك فقد انشعب عن هناك توحيد و شرك و فى تعبيره عن المشركين بالمبطلين فى آخر الايات اشارة الى وجه انشعابهما فالابطال مع شهادة نفوسهم هو الموجب لشركهم مع توحيدهم[1] ولذلك لعله سبحانه عبر عن

١- و يستفاد هذا المعنى من قوله تعالى **انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا** الاية ذكر سبحانه ان الانسان حمل امانة لم يتحملها السموات وغيرها وذلك انه كان ظلوما جهولا ثم ذكر غاية هذا العرض و الحمل بقوله سبحانه **ليعذب الله المنافقين والمنافقات و يتوب الله على المؤمنين و المؤمنات وكان الله غفوراً رحيما** الايه قسم تعالى الانسان فى غاية هذا العرض الى قسمين المنافق والمؤمن اشعارا بان لا كافر هناك لعموم الحمل فلارد وهو الميثاق وقوله ويتوب الله الخ دليل على ان السعادة من الله والتوبة منه وقوله وكان الله الخ فى مقام تعليل العرض وان المقتضى له صفة الغفران والرحمة واما صفة التعذيب والانتقام ونحوهما فبعرض المغفرة و الرحمة الخاصة اذ ظهور النجاة فى العالم يستدعى وجود هالكين و مستحقين فيهم النجاة كما لا يخفى واذا تدبرت فى هذه الاية وجدتها من آيات الشفاعة والله الهادى.

هذين الامرين بالطوع والكره فى قوله سبحانه **وله اسلم من فى السموات والارض طوعاً وكرهاً واليه يرجعون** الايه وقوله تعالى **ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا آتينا طائعين فقضيهن سبع سموات** الايه .

وهذا الاخذ والاشهاد هو الذى يعبر عنه سبحانه بالميثاق فى قوله **واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسئل الصادقين عن صدقهم** الايه فذيل الايه يفيد ان اخذ الميثاق ١ ليطلب الصدق عن الصادقين فموطنه الدنيا دون الاخرة فموطن الميثاق قبل الدنيا فافهم والايات التى يستفاد منها هذا المعنى كثيرة وقد فسرتها بذلك روايات مستفيضة كثيرة او فوق حد الاستفاضة .

١ـ ولو كان المراد بهذه الغاية يسئل هو السؤال يوم القيمة لكان المراد بالسؤال المحاسبة والحساب لكن المفهوم من هذا النظم والتركيب هو الطلب دون المحاسبة كما فى نظايره يقال سئلت الغنى عن غناه وسئلت الجواد عن جوده وسئلت الفقيه عن فقهه والشاعر عن شعره ونظاير ذلك والمفهوم فى كل ذلك هو الطلب دون الحساب نعم لو كان النظم مثل قولنا يسئل الصادقين عن صدقهم فيما صرفوا مثل سئلت الغنى عن غناه فيما انفق افاد معنى الحساب والوجه ان فرض الصدق فى المسئول يجعل السؤال لغوا ركيكا و يوضح لك ذلك ان ترجع الى التفاسير و تشاهد تمحلات المفسرين فى تفسير هذه الاية منه .

ففى تفسير القمى عن ابيه عن ابن ابيعمر عن عبدالله بن مسكان عن ابيعبدالله (ع) فى قوله و اذ اخذ ربك الاية قلت معاينة كان هذا قال نعم فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه ولولا ذلك لم يدر احد من خالقه ورازقه فمنهم من اقر بلسانه فى الذر و لم يؤمن بقلبه فقال الله وماكانوا ليؤمنوا بماكذبوا به من قبل الحديث .

اقول و مضمون هذه الرواية مروية فى كتاب المحاسن و العلل والتوحيد وتفسير القمى و تفسير العياشى و غيرها بطرق واسانيد كثيرة جدا .

وفى العلل مسندا عن حبيب عن ابيعبدالله قال : ان الله تعالى اخذ ميثاق العباد وهم اظلة قبل الميعاد فما تعارف من الارواح ايتلف وماتناكر منها اختلف .

وفى تفسير العياشى مسندا عن عبدالله الجعفى و فى العلل مسندا عن عبدالله الجعفى و عقبة جميعا عن ابيجعفر (ع) قال ان الله عزوجل خلق الخلق فخلق من احب مما احب وكان ما احب ان خلقه من طينة الجنة وخلق من ابغض مما ابغض وكان مما ابغض ان خلقه من طينة النار ثم بعثهم فى الظلال قلت واى شيء الظلال فقال الم تر الى ظلك فى الشمس شيء وليس بشيء ثم بعث منهم النبيين فدعوهم الى الاقرار بالله و هو قوله عزوجل ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولن الله ثم دعوهم الى الاقرار بالنبيين فانكر بعض واقر بعض ثم دعوهم الى ولايتنا فاقر بها والله من احب وانكرها من ابغض وهو قوله تعالى وماكانوا ليؤمنوا بماكذبوا به من قبل الخبر .

و هو ايضا مستفيض المعنى و الاصول السابقة تكفى فى تفسيره فلا نعيد .

تنبيه

حيث ان بين الحسنات بعضها مع بعض ترتبا وسببية يتفرع بذلك بعضها على بعض وكك بين السيئات و النوعان من الاعمال كلاهما ينتهيان الى الذوات السعيدة والشقية بنفسها تعين هناك طريقان من الاستدلال على الجزاء والثواب والعقاب والطريقان معامستعملان فى كلامه سبحانه كقوله تعالى وماكانوا ليؤمنوا بماكذبوا به من قبل الايه ، وقوله تعالى ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا و غرتكم الحيوة الدنيا الايه ، كما ان الطريقين بعينهما مستعملان فى كلام العقلاء فى تعليل الافعال حسنها و قبيحها .

فصل ٧

قد عرفت ان النظام نظامان نظام ثابت غير متغير الاجزاء و نظام متبدل متغير الاجزاء وان وجود احد النظامين لايبطل وجود الاخر ولا يزاحمه فارتفع توهم ان سبق القضاء و القدر ووجوب تحقق ماكتبه الله فى اللوح المحفوظ المصون عن التغير والانمحاء و وجوب انتهاء كل موجود الى ما يقتضيه سعادته او شقاوته الذاتيتان ينافى صحة التكليف و ترتب الثواب و العقاب عليه اذ التكليف الحقيقى يحتاج الى اختيار حقيقى يصح معه الفعل و الترك جميعا و مع وجوب وجود الحوادث

التى يبتدىء منه سبحانه وينتهى الى الفعل ومنها الفعل وهى سلسلة متصلة واحدة مترتبة الاجزاء واجب وجود جميعها لايبقى للاختيار اثر بصحة ترتب الفعل اوالترك عليه وامكانهما بالنسبة الى الفاعل لوجوب وجود احد الجانبين بالضرورة فلابد من اختيار احد الامرين و نفى الاخر .

احدهما بطلان القدر و هو تأثير سابق للحق فى الافعال و انما يسبق الفعل منه سبحانه علم غير مؤثر فيها فالافعال مخلوقة للعباد وانكانت الاسباب و القوى التى تولدها مخلوقة له سبحانه و هو المصطلح عليه بالتفويض وعليه جماعة المعتزلة .

و ثانيهما الالتزام بالقدر و القول ببطلان تأثير الاختيار و لغوية التكليف الحقيقى و من لوازمه تصحيح التكليف بما لا يطاق و الجبر فى الافعال ونفى الحسن والقبح العقليين ونفى الاغراض والغايات وامثال ذلك و هذا هو المصطلح عليه بالجبر و عليه الجبّرة هذا وقد عرفت ان لامنافاة بين المرحلتين و ان القدر لايزاحم الاختيار فلكل وعاء .

و هؤلاء لم يستطيعوا ان يجمعوا بين المعارف الالهية الحقيقية وبين ماتقتضيه الاسباب الطبيعية المادية مع ان مصحح التكليف عند العقلاء من البشر هو وجود الاختيار و القدرة الفاعلية التى لا ريب فيه عندهم للفرق الضرورى بين حركة الصحيح و حركة المرتعش و بين سكون الصحيح الاعضاء و سكون الفالج و مع ذلك لاريب عندهم ان جميع الاسباب المتوقفة عليها وجود الفعل اذاتمت كان الفعل ضرورى الوقوع .

وقد تبين فيمامر ان النظام نظامان نظام ثابت ذواجزاء ثابتة لايتطرق

اليها التغير بوجه ما ونظام مادى متقوم بالامكان والقوة والاستعداد متغير متبدل غير ثابت والانسان من جملة اجزائه ونسبته الى افعاله بصحة الفعل والترك وهو الاختيار يختارها بالحسن والقبح و الغايات و الاغراض و يحتاج افعاله فى تحققها الى ذلك وهو ظاهر كما ان المواد باستعدادها يمكن ان تصير الى هذه الغاية او الى تلك الغاية و انما يتعين فيها ولها احدى الغايتين بواسطة اكتناف نوع الاستعدادات الملائمة لتلك الغاية و ابطالها استعدادات الغاية الاخرى و ربما تم احد الجانبين فراحمه جانب آخر بتضاده و ابطله بقوته ولافرق بين الانسان و بينها الا بالعلم فاختيار الانسان لاحد الجانبين بعد تمام ساير الاسباب بالعلم و تعين احد الجانبين فيها بغيره من المقتضيات المعينة والعلم من حيث هو ذو هذا الاثر احد تلك المقتضيات و اى فرق بين مبدء الاحراق الذى فى النار وبين مبدء الفعل الذى فى الانسان وهو الارادة التامة واى فرق بين الحطب الذى يحرق بعد اشتعاله بالنار مثلا وبين الانسان الذى يضحك بالارادة و مع ذلك لايبطل نسبة الانسان الى الفعل والترك بامكانهما له و صحتهما و هو الملاك فى صحة التكليف و ترتب الجزاء بالثواب والعقاب وهذا فى غاية الوضوح ولهذا لم نطلب فيهذا الباب اكثر من هذا المقدار .

و اعلم ان هناك نظرا آخر يرتفع به موضوع هذه الابحاث و المشاجرات و هو نظر التوحيد الذى مر فى هذه الرسائل فالافعال كلها له كما ان الاسماء والذوات له سبحانه فلافعل يملكه فاعل غيره سبحانه

حتى يتحقق موضوع لجبر او تفويض فافهم .

فصل ٨

والنقل ايضا يدل على مامر فقد روى عنهم(ع) لاجبرولاتفويض بل امربين امرين وهذا اللفظ وارد عنهم على حدالاستفاضة بطرق كثيرة .

و فى التوحيد مسندا عن يونس عن غير واحد عن ابى جعفر و ابيعبدالله (ع) قالا ان الله عزوجل ارحم بخلقه من ان يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم عليها و الله اعز من ان يريد امرا فلا يكون قال فسئلا(ع) هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة قالانعم اوسع مما بين السماء و الارض .

وفى التوحيد مسندا عن هشام بن سالم عن ابيعبدالله (ع) قال الله اكرم من ان يكلف الناس مالايطيقون والله اعز من ان يكون فى سلطانه مالا يريد الخبر ومثله ماورد عنهم (ع) مساكين القدرية ارادو ان يصفوا الله بعدله فاخرجوه من سلطانه .

و فى الطرائف ان رجلا سال جعفر بن محمد الصادق (ع) عن القضاء والقدر فقال مااستطعت ان تلوم العبد عليه فهو فعل العبد و ما لم تستطع ان تلوم العبد عليه فهو من فعل الله يقول الله للعبد لم عصيت لم نسقت لم شربت الخمر لم زنيت فهذا فعل العبد ولايقول له لم مرضت لم قصرت لم ابيضضت لم اسوددت لانه من فعل الله تعالى .

وفى الطرايف ايضا روى ان الفضل بن سهل سال الرضا عليه السلام

بين يدى المأمون فقال يا اباالحسن الخلق مجبورون فقال الله اعدل من ان يجبر خلقه ثم يعذبهم قال فمطلقون قال الله احكم من ان يهمل عبده ويكله الى نفسه الخبر .

والاخبار فى هذا الباب متواتره فى المعنى وهى على كثرتها ترجع الى نوع البيانات التى اوردنا هذه الانموذجات منها و انت تشاهد منها انهم عليهم السلام اوردوا فيها طريقين من البيان و الاستدلال : احدهما الاستدلال باقتضاء الاسماء الالهية و صفاته كالرحم و العزة و الكرامة والعدل والقهر وكك بالقضاء و القدر .

و ثانيهما الاستدلال بما يقتضيه العقل و سيرة العقلاء من الحسن و القبح و غيرذلك و فى بعض الاخبار سكتوا عن البيان ففى التوحيد مسندا عن مهزم قال قال ابوعبدالله (ع) اخبرنى عما اختلف فيه من خلفت من موالينا قال فقلت فى الجبر والتفويض قال فاسئلنى قلت اجبر الله العباد على المعاصى قال الله اقهر لهم من ذلك قال قلت ففوض اليهم قال الله اقدر عليهم من ذلك قلت فاى شىء هذا اصلحك الله قال فقلب يده مرتين اوثلاثا ثم قال لواجبتك فيه لكفرت الخبر و ذلك منه (ع) ارفاقا بحال الراوى والله المعين .

فصل ٩

و اما سايرالافعال التى نسبها الحق سبحانه الى نفسه من المشية والارادة والهداية والاضلال والتمحيص والاستدراج والغضب والاسف

ونحوذلك فقد اتضح من تضاعيف ما مر سنخ الكلام فيها وفى تفسيرها فهذه افعال منتزعة من انحاء وجودات الموجودات التى هى افعاله و و افاضاته سبحانه فالموجود الصادر منه سبحانه حيث انه غير صادر بالاضطرار و الجهل و الغفلة تعالى عن ذلك ينتزع منه ان هناك مشية وارادة له سبحانه وهومشيء وجوده ومراد خلقه .

والامور التى يتفرع عليها اهتداء جمع الى صراط السعادة ينتزع منها هدايته سبحانه او ضلال آخرين عن الصراط ينتزع منها الاضلال لكن بمعنى لايوجب عليه سبحانه النقص ووجود الامر بعدالامر بحيث يلايم اللاحق السابق ويكمل السابق باللاحق ينتزع منه التوفيق اوبخلافه بحيث يعقم اللاحق اثرا يتوقع من السابق ينتزع منه الخذلان و ايجاد الشيء او ابقائه بحيث يلايم السعادة وينتجها ينتزع منه البركة

والامور التى يوجب تميز الشقى عن السعيد والخبيث عن الطيب ينتزع منها التمحيص و الامتحان و نحوهما لكن لا بمعنى يوجب عليه سبحانه الجهل بل بمعنى اتمام الحجة و اعلام الحكمة و الامور التى يوجب تشدد شقاوة الشقى وتكاملها من انحاء النعمة بعدالمعصية ينتزع منها الاستدراج والكيد ونحوهما والبلايا التى تستتبعها المعاصى ينتزع منها الغضب والاصرار على الذنب والطغيان ينتزع عن موردها الاسف وفى كل ذلك انما يعتبر المعنى خاليا عن جهات النقص وقد ذكرنا فى رسالة الاسماء الحسنى ان لافعاله سبحانه انسلاكا ما في سلك صفاته الذاتية بنظر آخر برهانى غير هذا النظر .

فصل ١٠

واما الايات والاخبار الواردة فى هذه المعانى فهى اكثر من ان تحصى .

اما المشية فهناك آيات كثيرة فى ان مشيته سبحانه هى الغالبة على مشية غيره بل ان مشيتهم فرع مشيته :

قال تعالى و ما تشائون الا ان يشاءالله و فى التوحيد مسندا عن ابى سعيد القماط قال قال ابيعبدالله (ع) خلق الله المشية قبل الاشياء ثم خلق الاشياء بالمشية.

وفيه ايضا مسندا عن ابى اذينة عن ابيعبدالله (ع) قال خلق الله المشية بنفسها ثم خلق الاشياء بالمشية .

وفيه ايضا مسندا عن محمدبن مسلم عن ابيعبدالله (ع) قال المشية محدثة .

اقول والروايات فى حدوث المشية وانها من صفات الفعل كثيرة .

واما الارادة فكثير الورود فى القرآن وظاهر آياته كونه من صفات الفعل قال واذا اردنا ان نهلك اه وقال انما امره اذا اراد شيئا الايه وامثال ذلك من الايات .

وروى الصدوق فى التوحيد والعيون مسندا عن صفوان قال قلت لابى الحسن (ع) اخبرنى عن الارادة من الله ومن الخلق فقال الارادة من المخلوق الضمير ومايبدوله بعدذلك من الفعل واما من الله عزوجل فارادته

احداثه لاغير ذلك لانه لايروى و لايهم ولا يتفكر و هذه الصفات منفية عنه وهى من صفات الخلق فارادة الله هى الفعل لاغير ذلك يقول له كن فيكون بلالفظ ولانطق بلسان ولاهمة ولاتفكر ولاكيف كما انه بلاكيف الحديث .

اقول و الاخبار فى كون الارادة من صفات الفعل مستفيضة او متواترة .

واما الكلام والكلمة فهى المعنى التام من حيث يدل عليه باللفظ او غيره من اسباب الافهام كما عرفت و لذلك ورد فى القرآن بوجوه مختلفة قال تعالى وكلم الله موسى تكليما وقال تعالى و تكلمنا ايديهم و ارجلهم الاية وقال وكك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار و قال تعالى وكلمته القاها الى مريم و روح منه الى غير ذلك من الايات و جملة الامر ان الوجود المفاض من الحق سبحانه حيث ينبىء عن خصوصيات صفات الحق المتوسطة فى افاضته او عن الغاية التى ارادها الحق سبحانه من ايجاده فهو دال على المقصود و ما فى الضمير فهو كلمة دالة او كلام وحديث وقول ونحو ذلك وهو ظاهر فكلمة الله وكلامه هو الفعل والايجاد لاغير وهو الوجود .

وفى امالى الشيخ مسندا عن ابى بصير عن ابيعبدالله (ع) ابى بصير قال سئلت اباعبدالله جعفر بن محمد (ع) لم يزل الله جل اسمه عالما بذاته ولا معلوم و لم يزل قادرا بذاته و لامقدور قلت له جعلت فداك فلم يزل متكلما قال الكلام محدث كان الله و ليس بمتكلم ثم احدث الكلام

الحديث وقد روى هذا المعنى فى روايات آخر ايضا .

وبالجملة فالاحاديث على كثرتها مصرة فى كون الارادة والكلام من اسماء الافعال ونفى كونهما من اسماء الذات و هذه الاحاديث و ان كانت لاتنفى امكان تصحيح معنى للارادة و الكلام يوجب رجوعهما الى الصفات الذاتية كما اهتم به صدرالمتألهين قده و اقام البرهان على ان ماتصوره من معنى حقيقة الارادة والكلام من صفات الذات .

لكن الانصاف ان ما اقامه من البرهان فى موردهاتين الصفتين الفعليتين جار فى بقية الصفات الفعلية فلاوجه لتخصيص الكلام بالارادة والكلام بخصوصهما .

وقد مر فى الفصول السابقة ان الصفات الفعلية يمكن ان تلاحظ بلحاظ يوجب حلولها محل الصفات الذاتية بوجه .

واما الرضا و الغضب ونحو ذلك ففى التوحيد و الامالى مسندا عن محمد بن عمارة عن ابيه قال سئلت الصادق جعفر بن محمد فقلت له يابن رسول الله اخبرنى عن الله هل له رضى و سخط فقال نعم وليس ذلك على حد مايوجد فى المخلوقين ولكن غضب الله عقابه ورضاه ثوابه الخبر ومعناه مروى مستفيضا.

واما الهداية و الاضلال ففى المحاسن عن عبدالله عن هشام عن سليمان قال قال لى ابوعبدالله ياسليمان ان لك قلبا ومسامع و ان الله اذا اراد ان يهدى عبدا فتح مسامع قلبه و اذا اراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه فلايصلح ابدا وهو قول الله عزوجل ام على قلوب اقفالها .

واما الاخلاء والاستدراج ففي الكافي مسندا عن سماعة قال سئلت اباعبدالله (ع) عن قول الله عزوجل سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال (ع) هو العبد يذنب الذنب فيجدد له النعمة معه تلهيه تلك النعمة عن الاستغفار من ذلك الذنب الخبر وهو مستفيض و الاحاديث في صفات الفعل كثيرة جدا اقتصرنا على هذا المقدار منها ايثارا للاختصار وجريا على نحو الفصول السابقة .

تتمة

روى في التوحيد والمعاني عن الصادق (ع) في قول الله عزوجل فلما آسفونا انتقمنا منهم قال ان الله عزوجل لا ياسف كاسفنا ولكنه خلق اولياء لنفسه ياسفون و يرضون و هم مخلوقون مدبرون فجعل رضاهم لنفسه رضى وسخطهم لنفسه سخطا وذلك لانه جعلهم الدعاة اليه والادلاء عليه ولذلك صاروا كك و ليس ان ذلك يصل الى الله عزوجل كما يصل الى خلقه ولكن هذا معنى ماقال من ذلك ، وقال ايضا من اعان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة و دعاني اليها ، و قال ايضا من يطع الرسول فقد اطاع الله ، وقال ايضا ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله و كل هذا وشبهه على ماذكرت لك وهكذا الرضا والغضب وغير هذا من الاشياء ممايشاكل ذلك الخبر .

وهو من جوامع الاخبار يفيد ضابطاً كليا في نوع آخر من افعال الله سبحانه و هو ان كل فعل من كل فاعل اذا لم يلاحظ فاعله لفناء فعله في

فعله سبحانه كافعال الانبياء و الاولياء المخلصين و كذا اذافنى عن بصر الانسان فاعل فعل ولم يبق لفعله الاالله سبحانه كما فى قضية موسى (ع) مع شجرة الطور وبالجملة كل فعل لافاعل له فهو فعل الله سبحانه وهذا هوالذى يستنتج من الاصول السابقة فى اول الرسالة وينحل به كثير من امهات الاشكالات و فروعها و الله الهادى.

تم الكلام والحمد لله رب العالمين و الصلوة على محمد
وآله الطاهرين فى العشر الاخير من شهر المحرم
سنة ١٣٦١ هجرية قمرية و تمت الكتابة
في قرية شاذآباد من اعمال تبريز

رسالة الوسائط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلوة و السلام على اوليائه المقربين سيما محمد و آله الطاهرين .

هذا ملخص الكلام فى الوسائط الموجودة بين الله سبحانه وبين نشأة الطبيعة التى اوجدها الله سبحانه واحدة بعد واحدة على مايتحصل بالبرهان ويؤيده الكشف ويفهم من ظواهر التعاليم الدينية من الكتاب والسنة والله المعين .

فصل ١

قد ثبت فى رسالة التوحيد ان الموجودات الخارجية الامكانية جميعا معاليل ومظاهر للوجود الواجبى الذى هو حقيقة صرفة فهى جميعا قائمة به فهى موجودة فى مرتبة صرافته بنحو اعلى واشرف من غير شائبة من النقائص والاعدام و اذ كانت الحقيقة صرفة فهذه الوجودات اسماء لها متميزة مفهوما واحدة مصداقا وهذه هى الاسماء والصفات وثبت ان الاسماء و الصفات مياد فى ثبوت الموجودات على جهاتها المختلفة وحيثياتها المتشتتة .

هذا بالنسبة الى نسبة الاسماء مع مادونها وفى مرتبتها ايضا ترتب ما على نسب المفاهيم اذ من الضرورى ان الخلق مثلا فرع القدرة والقدرة فرع العلم والحيوة وهكذا ومن حيث ان الوجود الصرف الغير المحدود من جميع الجهات يرتفع عنه الصفات فى حد نفسه وجودا وعدما على ماتبين فى رسالة التوحيد والاتصاف تعين ما فهذا المعنى اسبق بالنسبة الى ساير التعينات .

فتحقق به ان اقدم التعينات اعنى الاسماء هو التعين بعدم التعين وهو مقام الاحدية باصطلاح العرفاء ويليه بقية التعينات .

و تحقق ايضا ان لا فرق فى ذلك بين الاسماء الذاتية و الاسماء الفعلية التى تنتزع عن مقام الفعل وانكان بين القسمين فرق فى ان الاسم الذاتى موجود فى مقام الذات قولا مطلقا و الاسم الفعلى موجود على نحو وجود ماانتزع عنه فليفهم .

ثم نقول ان كل موجود من الجواهر الطبيعية طبيعة ذات افعال جزئية مستندة الى صورتها النوعية وانفعالات جزئية مستندة الى مادتها على مابرهن عليه فى الامور العامة كالانسان الفرد الموجود خارجا مثلا ذاافعال انسانية وانفعالات مادية بدنية .

فمن الضرورى ان الانسان و هو المطلق لابقيد الاطلاق موجود فى الانسان الفرد و هو طبيعة اذا لو حظت فى نفسها كانت كلية مرسلة تصدق على كل انسان فرد مفروض نسبتها الى جميع الافعال والانفعالات الانسانية على السواء .

و من الضرورى ايضا ان الانسان ذاالافعال الانسانية موجود فى الانسان الفرد وهو طبيعة اذا لوحظت كك لم تعرضها الكلية بل الجزئية لكنها خالية عن المادة و انفعالاتها غير ان معها الافعال الموجودة فى الانسان الفرد المادى .

فاذافرضنا موجودا جوهريا ماديا طبيعيا تحقق هناك جهات ثلث الوجود الجوهرى مجردا عن التقيد بالمادة والاحكام التى عند المادة و الوجود الجوهرى مجردا عن المادة دون الاحكام التى عند المادة و الوجود الجوهرى المادى و هذه الثلث هى التى تسميها الحكماء بالوجود المجرد والوجود المثالى والوجود المادى .

ثم ان من الضرورى ان فى مرتبة الوجود المثالى من الانسان مثلاً جواز الاتصاف بالافعال الصادرة عنه فى مرتبة الوجود المادى والا امتنع الاتصاف بها هناك فلتلك المرتبة نسبة ما مع تلك الافعال و حيث ان الماخوذ هو الوجود ووجود النسبة و النسبة غير مستقلة بذاتها لاتتحقق الا بتحقق الطرفين فلتلك الافعال وجود ما فى مرتبة الوجود المثالى كالعكس و حيث ان لمرتبة الوجود المثالى تقدما فى نفسه على مرتبة الافعال بالضرورة فبينهما تقدما و تاخرا بالوجود فبين الوجود المثالى ومرتبة الافعال ترتبا بحسب المرتبة وعلية ومعلولية و ظاهرية و مظهرية فهما مرتبتان من مراتب ظهور الوجود .

وبمثل البيان يظهر ان مثل هذه النسبة بعينها موجودة بين الوجود المجرد والوجود المثالى .

هذا كله فى الامور الموجودة فى مرتبة الطبيعة المختصة بكل نوع نوع ومثل الكلام يجرى فى الامور الموجودة فى ازيد من نوع او فى جميع الانواع والموجودات الطبيعية فظهر ان فوق مرتبة الطبيعة مرتبتين آخريين مرتبة التجرد و مرتبة المثال .

فظهر من جميع مامر ان فى الوجود اربعة عوالم كلية مترتبة بحسب قوة الوجود كل على طبق الاخر :

الاول عالم الاسماء والصفات ويسمى عالم اللاهوت .

الثانى عالم التجرد التام ويسمى عالم العقل والروح والجبروت .

الثالث عالم المثال ويسمى بعالم الخيال والمثل المعلقة والبرزخ والملكوت .

الرابع عالم الطبيعة ويسمى عالم الناسوت و غير ذلك هذا وقد اقيم فى العلم الالهى براهين كثيرة على ما مر عموما و خصوصا و فيما اقمناه من البرهان كفاية للمتامل انشاءالله .

فصل ٢

اما ما سمعت من كون الاسماء الالهية وسائط فى تنزل الوجود فمن الثابت فى الكتاب والسنة فانك اذا تاملت و تدبرت الكتاب الالهى وجدت ان الله سبحانه فى آيات التوحيد يعلل اسمائه الخاصة باسمائه العامة كما فى سور الرعد والحديد والحشر و غيرها و آية السخرة ان ربكم الله ، و آية الكرسى ، و آيات فى القرآن كثيرة ووجدت انه سبحانه

عند بيان الخلق و القيمومة وساير انحاء الافاضة جميعا وكذا فى مرحلة العود كالموت والبرزخ والحشر وغيرذلك يعلل ذلك كله باسماء مناسبة فى المفهوم ولعلك تظفر بذلك فى ازيد من خمسماة آية حتى ان ذلك موجود فى مرحلة الاعتبار كالتكليف .

واذا تاملت فى روابط الاسماء و ما دونها اهتديت بخصوصيات الاسماء على كثير من شئون التنزلات وكذا العكس فتظفر بعلوم لانقدر قدرها ان كنت ممن اتاك الله كفلين من رحمته وجعل لك نورا تمشى به .

و هذا اعنى علم الاسماء من مختصات هذا الكتاب الالهى و لم نظفر فيما ينقل الينا من الكتب السماوية على شيء من ذلك .

وكك السنة فان الادعية المائورة عن النبى (ص) و اهل بيته (ع) على كثرتها مملوة بالاسماء والصفات وقليل من الادعية المفصلة لايوجد فيه اللهم انى اسئلك باسمك الذى فعلت به كذا و اسئلك بمجدك الذى فعلت به كذا وبنور وجهك الذى اضاء له كلشيء و باسمائك التى ملات اركان كلشيء وامثال ذلك .

وكك الاسئلة بالاسماء المناسبة كالرازق فى طلب الرزق والغفور فى طلب المغفرة ونحو ذلك .

بل هذا المعنى كالمفطور للانسان فلست ترى انسانا يسئل الشفاء فيدعو فيقول ياممیت يامنتقم اشف هذا المريض بل انما يقول يارحمن يارحيم يا رؤف يا شافى يا معافى ومايناسب ذلك و اذا تتبعت مواردها متاملا وجدت ان هذا المعنى على بهائه وسنائه من ضروريات هذا الذين

المقدس غير ان الاشتغال عما يعنى بما لا يعنى ربما صرف الناس عن التحقق به والفور فى مزاياه

ومن جوامع الاخبار فى ذلك ما فى الكافى والتوحيد مسندا عن ابراهيم بن عمر عن الصادق (ع) قال ان الله تبارك و تعالى خلق اسما بالحروف غير متصوت و باللفظ غير منطق و بالشخص غير مجسد و بالتشبيه غير موصوف و باللون غير مصبوغ منفى عنه الاقطار مبعد عنه الحدود محجوب عنه حس كل متوهم مستتر غير مستور فجعله كلمة تامة على اربعة اجزاء معاليس منها واحد قبل الاخر فاظهر منها ثلثة اشياء لفاقة الخلق اليها و حجب واحدا منها و هو الاسم المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلثة التى اظهرت فالظاهر هو الله وتبارك وسبحان وسخر لكل اسم من هذه اربعة اركان فذلك اثناعشر ركنا ثم خلق لكل ركن منها ثلثين اسما فعلا منسوبا اليها فهو الرحمن الرحيم الملك القدوس الخالق البارء المصور الحى القيوم لاتاخذه سنة ولا نوم العليم الخبير السميع البصير العزيز الجبار المتكبر العلى العظيم المقتدر القادر السلام المؤمن المهيمن البارى المنشئ البديع الرفيع الجليل الكريم الرازق المحيى المميت الباعث الوارث فهذه الاسماء وما كان من الاسماء الحسنى حتى تتم ثلثماة وستين اسما فهى نسبة لهذه الاسماء الثلثة وهذه الاسماء الثلثة اركان و حجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلثة وذلك قوله عزوجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى .

و هذا الخبر الشريف صريح فى ان المراد بالاسم المخلوق غير اللفظ وانه مجرد لاجسمانى ولامثالى .

و يظهر منه ان المراد بالاسم الواحد المخزون هو مقام الاحدية اذ هو المحجوب بهذه الاسماء الثلثة التى هى الله وتبارك وسبحان وهى الهوية والجمال والجلال اذ الخلق محتاجون فى تحقق اعيانهم ولوازمها الى هذه الجهات الثلث من الهوية وصفات الثبوت وصفات السلب واما اذا لو حظ الخلق بالنسبة الى مقام الاحدية ففيه ارتفاع موضوعهم كما لا يخفى .

ثم انظر الى قوله (ع) ثم خلق لكل ركن منها ثلثين اسما فعلا منسوبا اليها اى الى الاسماء حيث ذكر ان الخلق لله و للفعل نسبة اليها وهذه هى الوساطة والظهور .

وقال فى آخر الخبر فهى نسبة لهذه الاسماء الثلثة وهذه هو الترتب والوساطة بين الاسماء انفسها .

و قوله (ع) فاظهر منها ثلثة اشياء لفاقة الخلق اليها اشارة الى وساطة الاسماء بالنسبة الى مادونها .

ومن ذلك مافى التوحيد مسندا عن عبدالملك بن عنترة الشيبانى قال جاء رجل الى امير المؤمنين (ع) فقال يا امير المؤمنين اخبرنى عن القدر فقال بحر عميق فلا تلجه فقال يا امير المؤمنين اخبرنى عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فقال يا امير المؤمنين اخبرنى عن القدر فقال سر الله فلا تتكلفه فقال يا امير المؤمنين اخبرنى عن القدر قال فقال

امير المؤمنين (ع) اما اذا ابيت فانى سائلك اخبرنى اكانت رحمة الله للعباد قبل اعمال العباد ام كانت اعمال العباد قبل رحمة الله قال فقال له الرجل بل كانت رحمة الله للعباد قبل اعمال العباد فقال امير المؤمنين (ع) قوموا فسلموا على اخيكم فقد اسلم وقد كان كافرا قال و انطلق الرجل غير بعيد ثم انصرف اليه فقال له يا امير المؤمنين ابا لمشية الاولى نقوم ونقعد ونقبض ونبسط فقال له امير المؤمنين (ع) و انك لبعد فى المشية اما انى سائلك عن ثلث لايجعل الله لك فى شيء منها مخرجا اخبرنى اخلق الله العباد كما شاء او كما شائوا فقال كما شاء قال فخلق الله العباد لما شاء او لما شائوا فقال لما شاء قال ياتونه يوم القيمة كما شاء او كما شائوا قال ياتونه كما شاء قال قم فليس اليك من المشية شيء الخبر .

فقد اثبت صلوات الله عليه القدر و هو تاثير ما للحق سبحانه فى نظام الموجودات بسبق الرحمة على الاعمال اى تقدم الصفة على النظام فلخصوصيات الصفات اقتضائات فى خصوصيات النظام و لو لا ذلك لكانت الصفات متاخرة عن الموجودات و باقتضائها فيكون الموجود الخارجى سابقا على الصفة الالهية .

ثم اكد (ع) هذا المعنى وشيده فى آخر الخبر بان المشية الالهية غالبة على كل حال وغايته حاصلة على اى تقدير و ان الارادة لاتتخلف عن المراد والمغيا واقع على طبق الغاية لامح .

وهذا اعنى عدم التخلف انما هو فى الروابط العامة الالهية و اما الخاصة كالرحمة الخاصة و الرزق الخاص و نحو ذلك فربما تتخلف

اذا نسبت الى كل الموجودات فافهم .

و الى هذا يمكن ان يشير ما فى علل الشرايع مسندا عن جميل عن ابيعبدالله (ع) قال سئلته عن قول‌الله و ما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون قال خلقهم للعبادة قلت خاصة ام عامة قال لابل عامة الخبر .

واعلم ان آخر الخبر الشريف من شواهد ما مر فى آخر الفصل السابق ان صفات‌الفعل متقدمة على الموجودات لها وجود ما فى مرتبة الاسماء الذاتية والا لم‌يكن الاتصاف بالحقيقة على مالايخفى .

هذا اجمال مايدل على وساطة الاسماء والصفات بينه‌تعالى وبين الموجودات والاخبار فيه كثيرة .

و اما مايدل على وجود العالمين المتوسطين اعنى عالم التجرد التام وعالم المثال فاشياء كثيرة من‌الكتاب والسنة غيران مورد كثير منها العود اعنى اخبارالبرزخ ومابعده وهى‌من‌شواهد ماقصدنا اثباته باعتبار تطابق المبدء والمعاد .

و مما يدل على ذلك قوله‌تعالى **وان من‌شىء الاعندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم** الاية تدل‌بعمومها على‌ان‌لجميع‌موجودات عالمناهذا وجودات مخزونة عنده‌تعالى ذات‌سعة غيرمحدودة ولامقدرة اذ ظاهرها ان التقدير انما يحدث مع التنزيل و ليس التنزيل بالتجافى و تخلية المحل بالنزول لقوله تعالى **ماعندكم ينفدو ماعندالله باق** الاية و هذه الاية اذا ضمت الى قوله تعالى **كل‌شىء هالك الا وجهه** وقوله‌تعالى **كل‌من عليها فان و يبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام**

الايات افادت ان ماعندالله وجهله سبحانه ثم قوله تعالى **وكلشيء عنده بمقدار** الايه تفيد ان لله سبحانه فى كل شيء وجها .

وبعبارة اخرى ان فى كلشيء وجهاالهيا ووجهاكونيا خلقيا وهذا الوجه حيث انه بمقدار فهو محدود مثالى وقد افاد قوله تعالى **وان من شيء الا عندنا** الايه وجها آخر غيرمحدود ولامقدر .

فتبين ان لعالمنا هذا وجهاالهيا مقداريا باقياقبله وهو عالم المثال ووجها الهيا مجردا عن المقادير باقيا وهو عالم العقل والتجرد .

وان العوالم الثلث متطابقة غير متفاوتة الا بالشرف و الخسة قال تعالى كما **بداكم تعودون** وقال تعالى **وانالدار الاخرة لهى الحيوان** الاية .

وتبين ايضاان الخلقة بنحو التنزل من غير تجاف ويؤيد هذه المعانى آيات كثيرة فى القرآن الكريم .

ومما يدل على ذلك جملة اخبار الطينة واخبارالسعادة والشقاوة واخبار الذر والميثاق واخبار جنة آدم (ع) .

ففى البحار نقلاعن كتاب تاويل الايات الطاهرة مسندا عن ابيحمزة الثمالى عن ابيجعفر (ع) قال قال امير المؤمنين (ع) ان الله تبارك وتعالى احد واحد تفرد فى وحدانيته ثم تكلم بكلمة فصارت نورا ثم خلق من ذلك النور محمدا وخلقنى وذريتى ثم تكلم بكلمة فصارت روحافاسكنه الله فى ذلك النور و اسكنه فى ابداننا فنحن روح الله وكلمته و بنا احتجب عن خلقه فمازلنا فى ظلة خضراء حيث لاشمس ولاقمر ولاليل ولانهار

ولا عين تطرف نعبده ونقدسه ونمجّده ونسبحه قبل ان يخلق الخلق الخبر.

وهذا المعنى وهو سبق خلقهم عليهم السلام على كل خلق سابق ولاحق مستفيض اومتواتر فى الاخبار ولايتم معناها الا مع التجرد التام ويؤيدها ويؤكدها اخبار أُخر فى الطينة وخلق الارواح قبل الاجساد.

ومنها مافى العلل وتفسير العياشى مسندا عن عبدالله الجعفى وعقبة جميعا عن ابيجعفر (ع) قال ان الله عزوجل خلق الخلق فخلق من احب مما احب وكان مما احب ان خلقه من طينة الجنة وخلق من ابغض مما ابغض وكان مما ابغض ان خلقه من طينة النار ثم بعثهم فى الظلال قلت و اى شيء الظلال فقال الم تر الى ظلك فى الشمس شيء و ليس بشيء ثم بعث منهم النبيين فدعوهم الى الاقرار بالله وهوقوله عزوجل ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولن الله ثم دعوهم الى الاقرار بالنبيين فانكر بعض و اقر بعض ثم دعوهم الى ولايتنا فاقر بها والله من احب وانكرها من ابغض وهوقوله وماكانوا ليؤمنوا بماكذبوا به من قبل الحديث.

وما فى تفسير القمى مسندا عن ابن مسكان عن ابيعبدالله (ع) فى قوله تعالى **واذاخذربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى** قلت معاينة كان هذا قال نعم فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه ولولا ذلك لم يدر احد من خالقه و رازقه فمنهم من اقر بلسانه ولم يؤمن بقلبه فقال الله و ماكانوا ليؤمنوا بماكذبوا به من قبل.

ونحوه فى تفسير العياشى عن زرارة قال سالت اباجعفر (ع) عن

قول الله واذاخذ ربك من بنى آدم الى انفسهم قال اخرج الله من ظهر آدم ذريته الى يوم القيمة فخرجوا كالذر فعرفهم نفسه و اراهم نفسه و لولا ذلك ماعرف احدربه وهوقوله ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله الحديث .

وهذا المعنى مروى فى المحاسن وكتب الصدوق وغيرها ومن الضرورى بعد تسلم الاخبار ان هذا الموقف لم يكن فى نشأة العلم الربوبى بل بعد ثبوت الخلق وانه كان قبل نشأة الطبيعة اذ نشأة كل واحد منا الطبيعية مشاهدة بالعيان معلومة و قد صرح عزوجل فى الاية بان هذا البعث والاخذ متعلق بظهور بنى آدم لا آدم فقط ويشهد لذلك تفسيره (ع) الظلال بما عرفت مع اثبانه المعاينة و من المعلوم ان المعاينة لاتتحق الا مع الانقطاع عما سواه وهذا فى غير نشأة الطبيعة لبنى آدم .

وكذا استشهاده (ع) فى خبر زرارة بقوله تعالى ولئن سئلتهم من خلق السموات الايه المشعر برؤيتهم ملكوت السموات والارض وكذا تفسير آية و ماكانوا ليؤمنوا الاية فى رواية ابن مسكان هذا و انت ترى انه اثبت فى الروايات فى هذا الموقف اقرار و انكار و خير ما وشر ما وعالم التجرد التام والنور البحت لاشر فيه فى جانب النزول البتة فهذا الموقف بعد عالم التجرد وقد ثبت انه قبل نشأة الطبيعة فتعين انه عالم المثال فليتامل .

و منها مافى تفسير القمى فى جنة آدم انها كانت من جنان الدنيا التى تنتقل اليها ارواح المؤمنين بعد موتهم الخبر و ما فى اخبار اخر

من تفسير الشجرة المنهى عنها آدم وانها كانت شجرة الولاية وغير ذلك .

فصل ٣

هو كالخاتمة لما مر قد ثبت في الكتاب والسنة قبل نشأة الانسان والطبيعة امور آخر وهي الحجابات والقلم واللوح والعرش و الكرسي والسموات السبع والملئكة والشياطين والمطلوب بعد مامر الكشف عن معانيها بحسب تفسير بعضها لبعض فنقول :

اما الكلام في الحجب والسرادقات فاعلم ان الاخبار تكاثرت فيها وفي القرآن الكريم ايضا شيء كثير يستفاد منه ذلك قال سبحانه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء و قال تعالى و ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض و لا في السماء الاية يفيد ان الموجودات معلومة عنده غير غائبة عنه سبحانه فلاحجاب يحجب الحق عن معلوماته فالخلق غير محتجب عنه سبحانه بشيء واما حجابه تعالى اى احتجابه عن خلقه فقد قال تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا و لا يغرنكم بالله الغرور و حيوة كل احد الدنيا وجوده الدنيوى بلواحقه وغرورها بجعلها الانسان مشغولا بنفسها وقد قال تعالى وماهذه الحيوة الدنيا الا لهو و لعب و ان الدار الاخرة لهي الحيوان و قال سبحانه وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور الايات واللعب هو الاشتغال بفعل لغاية خيالية لا حقيقة لها في الخارج ، واللهو مايصرف عن غيره و يشغل اللاهي بنفسه ، فدل على ان الحيوة الدنيوية وهو الوجود الدنيوى انما

هو خيال يصرف الانسان عن غيره وهو الحقيقة التى هى الحيوة الاخروية وقد بين ذلك واشير اليه فى آيات كثيرة :

قال تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماءا حتى اذا جائه لم يجده شيئا و وجد الله عنده فوفيه حسابه .

وقال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور .

وقال تعالى و جعلنا من بين ايديهم سدا و من خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون الاية .

واكثر المؤمنين وان كانوا يشاركون هؤلاء فى المحجوبية عنه تعالى الا انه تعالى وعدهم وعدا حسنا بكشف الحجاب بالستر على ذنوبهم فقال تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة و اجر كريم انا نحن نحيى الموتى الاية فهذا هو الحجاب عن الله سبحانه و هو نفس وجود الانسان و قد عمم حكم هذا الحجاب بالنسبة الى ساير الاشياء فى قوله سبحانه لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار الاية فصدر الاية و ان كان فى الناس حيث حكم بالبروز فى هذا اليوم لله و هم بارزون دائما و ليس ذلك الا بظهور الامر لهم بارتفاع الوسائط بعد خفائه قبل هذا اليوم كما حكى سبحانه ذلك عنهم بقوله و لو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا و سمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون الاية الا ان ذيل الاية لمن الملك اه تعميم لجميع الخلق كقوله تعالى ولله ملك السموات والارض

وقوله **ولله مافي السموات والارض** وقال تعالى **وما من دابة في الأرض ولاطائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون** الاية

و بالجملة فحكم الحشر جار على جميع الموجودات و عنده ارتفاع الحجاب وانتباه الجميع عن نومة الغفلة باثبات الملك لله وحده وقال تعالى **اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط** اه فاثبت الحجاب مع الحكم بعدمه فقد تبين من جميع ذلك ان نفس وجود الخلق حجاب لهم عن الحق سبحانه فلا حجاب بينه وبينهم الا انفسهم وهذا هو المتحصل عن الاخبار.

ففي الارشاد و الاحتجاج عن الشعبي عن امير المؤمنين (ع) في كلام له ان الله اجل من ان يحجب عن شيء او يحتجب عنه شيء.

و مثله في خطبة له (ع) لاحجاب بينه و بين خلقه الخطبة و هذا يدل على انه سبحانه مشهود لكل موجود كما في قوله تعالى **اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد** الاية.

وكما عن كتاب اثبات الوصية للمسعودي عن علي (ع) في خطبه له فسبحانك ملات كل شيء وباينت كل شيء فانت لايفقدك شيء الخطبه.

وكما في التوحيد مسندا عن حماد بن عمرو النصيبي قال سالت جعفر بن محمد (ع) عن التوحيد فقال واحد صمد ازلي صمدي لا ظل له يمسكه و هو يمسك الاشياء باظلتها عارف بالمجهول معروف عند كل جاهل الحديث.

و يظهر من هنا ان هذا الشهود يجامع الجهل ايضا كمن يرى ولايعرف .

ويدل عليه ايضا مافى العلل مسندا عن ابى حمزة الثمالى قال قلت لعلى بن الحسين (ع) لاى علة حجب الله عزوجل الخلق عن نفسه قال لان الله عزوجل بناهم بنية على الجهل الحديث .

وهذا يدل زيادة على مامر على ان هذا الجهل ذاتى اى ان العلم ليس الا له و به سبحانه فافهم كما يشير اليه قوله سبحانه ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء .

وقريب ممامر الاخبار المستفيضة كمافى التوحيد مسندا عن يعقوب بن جعفر الجعفرى عن موسى بن جعفر (ع) ليس بينه و بين خلقه حجاب غير خلقه احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور لااله الا هو الكبير المتعال الحديث ومثله عن النبى وعلى والرضا (ع).

ومن هنا يتبين ان الحاجب هو ذوات الاشياء بوجوداتها المستعارة وان الذوات حاجبة غير حاجبة اى ان الشهود انما يتحقق بالغفلة عن الذات.

ويظهر ايضا ان كل حاجب للشيء عن الحق سبحانه فهو غير خارج عنه بل داخل فى ذاته اى من مراتب وجوده .

وهذا هو الذى يدل عليه الخبر المشهور المروى عن طرق العامة ان لله تعالى سبعين الف حجاب من نور او ظلمة لو كشفت لاحترقت سبحات وجهه مادونه اوماانتهى اليه بصره الحديث اذ الاحتراق والاحراق هيهنا ليس من جنس احراق النار و احتراق الحطب بتبديل الحطب

بجنس النار والترميد وانما هو افناء الذات من حيث المشاهدة كما فى خطبة الاشباح لعلى (ع) بعد بيان تسبيح الملائكة قال (ع) ووراء ذلك الرجيج الذى تستك منه الاسماع سبحات نور تروع الابصار عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها الخطبه .

وحيث ان هذا الاحتراق متعلق بذات الشيء فباحتراق مرتبة من مراتب الذات تفنى الذات ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام .

وفى خبر المعراج المروى فى الكافى و تفسير العياشى فيما سأله النبى ليلة المعراج جبرائيل عن البحار التى شاهدها فوق السماء السابعة فقال يعنى جبرئيل هى سرادقات الحجب التى احتجب الله تبارك وتعالى بها ولولا تلك الحجب لهتك نور العرش كل شيء المخبر .

ويظهر من هنا من حيث نسبة الهتك الى الاشياء وهو انما يتحقق بالحجاب مثل قوله ليس بينه و بين خلقه حجاب غير خلقه ان ذات كل شيء من جملة الحجب .

ويظهر ايضا ان بعض الموجودات ربما يحتجب عن بعض كالعرش بالبحار ويشهد له ايضا مافى خطبته (ع) لذعلب حجب بعضها عن بعض ليعلم ان لاحجاب بينه وبين خلقه الخطبه كما لا يخفى .

يظهر من خبر حدوث الاسماء المنقول سابقا ان الاحتجاب موجود فى مرحلة الاسماء والصفات ايضا و ان بعض الاسماء يحتجب ببعض .

وفى التوحيد مسندا عن الصادق (ع) قال الشمس جزء من سبعين جزئا من نور الكرسى والكرسى جزء من سبعين جزئا من نور العرش

و نور العرش جزء من سبعين جزئا من نور الحجاب و نور الحجاب جزء من سبعين جزئا من نور الستر الحديث وفى هذه الرواية اشارة ما الى التنزلات ايضا .

فظهر من جميع ما مر ان ذات كل شيء حجاب بالنسبة الى نفسه وكذا الموجودات بعضها بالنسبة الى بعض اذا كان من مراتب الذات داخلة فى الذات فكل مرتبة من الوجود اعنى ظهوره حجاب بالنسبة الى مادونها وكذا نفس المرتبة بالنسبة الى نفسها فالحجابات هى التعينات الوجودية فيتعدد الحجابات فى كل شيء بعدد المراتب التى يتقدم بها ذاته هذا .

واعلم ان الاخبار مختلفة اختلافا فاحشا فى تعداد الحجب وهذا هو الذى منعنا عن ايرادها و استقصاء ذكرها فيهذه الرسالة و ان احتمل حملها على اختلاف اعتباراتها كما هو كثير فى موارد الروايات ظاهر للمتتبع .

واما الكلام فى العرش فاعلم ان ثبوت العرش من ضروريات دين الاسلام وقد تكرر ذكره فى القرآن المجيد وتواترت الاخبار من طرق العامة والخاصة فيه .

اقول اذا رجعنا الى ماعند العقلاء وجدنا ان عرش الملك معتبر عندهم لمعنى ما وهو ان الملك عندهم حيث انه انسان بيده ازمة مملكته المدنية وقد اعتبروا فى لوازم الحيوة حال صاحبها و الملك لاختصاصه بحفظ الازمة اعتبر لوازم حيوة مختصة به ومنها مجلسه فاختص به العرش

و هو مستقره و محل صدور احكامه و قضائه و هذا هو حقيقة العرش والكرسى اعم منه يوجد لغير الملك كما يوجد له الا انه مع ذلك مجلس فيه اختصاص ما .

ومن هنا تعرف ان مفهوم هذا اللفظ يعطى انه موجود نسبته الى الموجودات مطلقا او عالم الاجسام فقط نسبة عرش الملك الى المدنية و نسبته الى الحق سبحانه نسبة عرش الملك الى الملك فهو مرتبة من الوجود هى مجلى جميع صفات الحق سبحانه مما للموجودات اليه حاجة كمستقر الملك و هى محل صدور تفاصيل احكام الموجودات فهو ظاهر الوجود المنبسط الشامل للمجرد والمثالى و المادى .

و الى هذا المعنى و هو محلية صدور الاحكام يشير قوله تعالى **ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر** الاية وقوله تعالى **الله الذى خلق السموات و الارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولاشفيع** الاية .

والايات فى نسق هاتين الايتين كثيرة واردف الاستواء على العرش بالتدبير[1] ونفى الولى والشفيع غيره تعالى وهو كالتفسير له فالعرش يرتبط به نظام الوجود بما انه نظام بين الموجودات .

و يدل على ارتباط ذوات الموجودات ايضا به و سبعة على هذا

١- التدبير هو الاتيان بالامر و هو الامر و بالشىء عقيب الشىء فتدبير الامر منه سبحانه هو تفصيل امره وايجاده منه

النظام قوله تعالى وهوالذى خلق السموات و الارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء الاية .

وفى حديث القمى وكان عرشه الماء على الهواء والهواء لايحد ولم يكن يومئذ خلق غيرهما والماء عذب فرات الحديث .

ثم من المعلوم ان الحاجة الى العرش فى امرين : احدهما صدور الاحكام وهو الذى يشتمل عليه الايات السالفة .

والثانى العلم بمايصدر منها ويشتمل عليه آيات اخرى قال تعالى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء و ما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير الاية .

وحيث ان هذا النظام نازل من هناك ومعلوم حاضر هناك فهو هناك ثابت باق و وجه الهى كما مر سالفا فهناك وجوه جميع الموجودات و وجوداتها الشريفة تفصيلا كما فى قوله تعالى و ان من شىء الا عندنا خزائنه الايه وح يعود اليه معنى قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الاهو الاية بوجه ويتحد بوجه مع الكتاب المبين و سيجىء كلام فيه .

والى تتميم هذه المعانى يشير قوله تعالى الذين يحملون العرش و من حوله يسبحون بحمد ربهم الاية و قوله تعالى و ترى الملئكة حافين من حول العرش الاية و قوله تعالى و الملك على ارجائها و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية الاية . ١

١ - فان كل تفصيل لايتم الا باجمال سابق عليه فالحملة هم حفظة الاجمال ومن حول العرش وعلى ارجاء السماء ملائكة يحفظون تفاصيل الامر منه .

و يشير الى ما مر ما فى رواية حنان بن سدير من تفسير العرش العظيم بالملك العظيم .

وفى التوحيد ايضا مسندا عن سلمان الفارسى (رض) فيما اجاب به على (ع) الجاثليق فقال على (ع) ان الملئكة تحمل العرش و ليس العرش كما تظن كهيئة السرير ولكنه شيء محدود مخلوق مدبر و ربك مالكه لا انه عليه ككون الشيء على الشيء الخبر .

وحيث انه شامل للموجودات ففيه تفاصيل وجوداتها واليه يشير ما فى كتاب روضة الواعظين عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال فى العرش تمثال ماخلق الله فى البر والبحر قال و هذا تاويل قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وماورد فى تفسير دعاء يامن اظهر الجميل وستر القبيح الدعاء .

وحيث انه منبسط على المجرد و المادى فهو مجرد ففيه فعليات جميع الموجودات السافلة حاضرة عند الحق سبحانه و للحق سبحانه بتمام وجوداتها فهو من مراتب العلم فهو العلم الفعلى بالوجودات الذى يحصل فيه الموجودات .

ومن هنا كان معظم الاخبار الواردة عن ائمة اهل البيت (ع) يفسر العرش بالعلم ففى الكافى مسندا عن البرقى رفعه قال سأل الجاثليق فقال اخبرنى عن الله عزوجل يحمل العرش او العرش يحمله فقال امير المؤمنين (ع) الله عزوجل حامل العرش و السموات و الارض وما فيهما وما بينهما وذلك قول الله عزوجل ان الله يمسك السموات والارض

ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا قال فاخبرني عن قوله و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فكيف ذاك وقلت انه يحمل العرش والسموات والارض فقال امير المؤمنين (ع) ان العرش خلقه الله تبارك وتعالى من انوار اربعة نور احمر منه احمرت الحمرة و نور اخضر منه اخضرت الخضرة و نور اصفر منه اصفرت الصفرة ونور ابيض منه ابيض البياض وهو العلم الذى حمّله الله الحملة وذلك نور من نور عظمته فبعظمته ونوره ابصر قلوب المؤمنين وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون وبعظمته ونوره ابتغى من فى السموات والارض من جميع خلائقه اليه الوسيلة بالاعمال المختلفة والاديان المتشتتة فكل شيء محمول يحمله الله بنوره و عظمته و قدرته لايستطيع لنفسه ضرا و لانفعا ولاموتا ولاحيوة ولانشورا فكل شيء محمول والله تبارك وتعالى الممسك لهما ان تزولا والمحيط بهما من شيء وهو حيوة كل شيء ونور كل شيء سبحانه و تعالى عما يقولون علوا كبيرا قال له فاخبرني عن الله عزوجل اين هو فقال امير المؤمنين (ع) هو هيهنا وهيهنا و فوق وتحت ومحيط بنا ومعنا وهو قوله مايكون من نجوى ثلثة الاهو رابعهم ولاخمسة الاهو سادسهم ولاادنى من ذلك ولااكثر الاهو معهم اينما كانوا فالكرسى محيط بالسموات و الارض وما بينهما وماتحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى وذلك قوله تعالى وسع كرسيه السموات والارض ولايؤده حفظهما وهو العلى العظيم فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حمّلهم الله علمه و ليس يخرج من هذه الاربعة شيء خلق الله فى

ملكوته وهو الملكوت الذى اراه الله اصفيائه و اراه خليله فقال وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات و الارض وليكون من الموقنين وكيف يحمل حملة العرش الله وبحيوته حييت قلوبهم وبنوره اهتدوا الى معرفته الخبر وهو من غرر الاخبار .

وقد فسر (ع) الحمل فى الرواية وهو قيام ذوات الوجودات بالله سبحانه بقوله (ع) لايستطيع الخ ومنه يظهر كيفية حمل الحملة العرش وهو قيامه بالحملة بتحميله سبحانه اياه لهم .

و قد اعتبر فى الرواية العرش و الكرسى واحدا باعتبار كونهما من العلم ولذا ورد حديث الحملة الاربع فى كل منهما ففى الخصال عن الصفار قال قال الصادق (ع) ان حملة العرش احدهم على صورة ابن آدم يسترزق الله لولد آدم والثانى على صورة الديك يسترزق الله للطير والثالث على صورة الاسد يسترزق الله للسباع والرابع على صورة الثور يسترزق الله للبهائم ونكس الثور راسه منذ عبد بنو اسرائيل العجل فاذا كان يوم القيمة صاروا ثمانية الخبر .

والروايات فى هذا المعنى مستفيضة وفى بعضها النسر مكان الديك ولعل هذا المعنى من جهة اختلاف المشاهدة كما هو معلوم عند اصحاب المشاهدة ويشهد له قوله و نكس الثور الخ فافهم .

وقد ورد مثله فى الكرسى ايضا ففى تفسير العياشى عن الاصبغ قال سئل امير المؤمنين (ع) عن قول الله وسع كرسيه السموات والارض فقال ان السماء والارض وما فيهما من خلق مخلوق فى جوف الكرسى

و له اربعة املاك يحملونه باذن الله الحديث .

و يظهر من هذه الاخبار اعنى اخبار الحمل ان فى ذلك المقام تفصيلا ما اى انفصالا للنوع عن النوع حيث يثبت انسانا وديكا وثورا و اسدا .

والنظر الصحيح فيها يعطى ان الكرسى مقام تفرق الانواع وتفصيلها من الوجود المنبسط وان الحملة الاربع له وللعرش باعتباره واما العرش بالمعنى الذى استفدناه فهو مقام الكون الذى يجتمع فيه التفاصيل و يظهر روابطها ولذا ورد ان الكرسى ظاهر العلم والعرش باطنه و فى التوحيد مسندا عن حنان بن سدير قال سألت اباعبدالله (ع) عن العرش والكرسى فقال ان للعرش صفات كثيرة مختلفة له فى كل سبب و صنع فى القرآن صنعة على حدة فقوله رب العرش العظيم يقول رب الملك العظيم وقوله الرحمن على العرش استوى يقول على الملك احتوى وهذا علم الكيفوفية فى الاشياء ثم العرش فى الوصل متفرد عن الكرسى لانهما بابان من اكبر ابواب الغيوب وهما جميعا غيبان وهما فى الغيب مقرونان لان الكرسى هو الباب الظاهر من الغيب الذى منه مطالع البدع و منها الاشياء كلها والعرش هو الباب الباطن الذى يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحد والاين والمشية وصفة الارادة وعلم الالفاظ و الحركات والترك وعلم العود والبدا فهما فى العلم بابان مقرونان لان ملك العرش سوى ملك الكرسى و علمه اغيب من علم الكرسى فمن ذلك قال رب العرش العظيم اى صفته اعظم من صفة الكرسى وهما فى ذلك مقرونان

قلت جعلت فداك فلم صار فى الفضل جار الكرسى قال (ع) انه صار جاره لان علم الكيفوفية فيه وفيه الظاهر من ابواب البداء وانيتها وحد رتقها و فتقها فهذان جاران احدهما حمل صاحبه فى الصرف و بمثل صرف العلماء و ليستدلوا على صدق دعواهما لانه يختص برحمته من يشاء وهو القوى العزيز الخبر .

قوله (ع) وفيه الظاهر اه اى فى الكرسى ووجهه ظاهر مماقدمنا.

و قوله (ع) احدهما حمل صاحبه اه يمكن ارجاع الضمير الى كل منهما بوجه فان الظاهر يحمل الباطن بوجه كالعكس لكن لايوجد فى الروايات شيء يوجد فيه حمل العرش الكرسى وقد يوجد العكس.

وقوله (ع) وبمثل صرف العلماء اه ظاهره البناء للمجهول و ان كان البناء للمعلوم ايضا صحيحا و التصريف بالامثال انما هو سترا للاسرار الالهية .

وقوله (ع) وليستدلوا على صدق دعواهما اه الظاهر ان الضمير للعرش والكرسى وذلك ان فى التمثيل اعطاء الدليل فافهم وماعده (ع) من اقسام العلوم فيها قابل الاستفادة من الايات التى ورد فيها ذكرهما .

والى مامر يشير قول على (ع) على ما فى لاحتجاج فى جواب من سئله عن بعد مابين الارض و العرش فقال (ع) قول العبد مخلصا لااله الاالله .

وفى الفقيه و العلل و المجالس للصدوق روى عن الصادق (ع) انه سئل لم سمى الكعبة كعبة قال لانها مربعة فقيل له ولم صارت مربعة

قال لانها بحذاء البيت المعمور و هو مربع فقيل له و لم صار البيت المعمور مربعا قال لانه بحذاء العرش وهو مربع فقيل له ولم صار العرش مربعا قال لان الكلمات التى بنى عليها الاسلام اربع سبحان الله والحمد لله ولااله الاالله والله اكبر الحديث .

و هذه الكلمات الاربعة كما ترى اولها يتضمن مرحلة التنزيه والثانية مرحلة التشبيه والثالثة مرحلة التوحيد والرابعة التوحيد الاعظم وقد ورد عن الصادق (ع) ان معنى الله اكبر الله اكبر من ان يوصف .

وفى العلل عن علل ابن سنان عن الرضا (ع) علة الطواف بالبيت ان الله تبارك وتعالى قال للملئكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فردوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب فعلموا انهم اذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا فاحب الله عزوجل ان يتعبد بمثل ذلك العباد فوضع فى السماء الرابعة بيتا بحذاء العرش يسمى الضراح ثم وضع فى السماء الدنيا بيتا يسمى البيت المعمور بحذاء الضراح ثم وضع البيت بحذاء البيت المعمور ثم امر آدم فطاف به فجرى ذلك فى ولده الى يوم القيمة الخبر .

والاخبار فيهذا المعنى كثيرة ومنها يظهر ان نسبة العرش الى عالمه نسبة الكعبة الى عالمنا الدنيا وقد مر فى الكلام على الحجب رواية ان الشمس جزء من سبعين جزئا من نور الكرسى و نور الكرسى جزء من سبعين جزئا من نور العرش الخبر .

ومنه يظهر ان نسبة العرش الى حومته كنسبة الشمس الى عالمنا

الدنيا حيث ان لها تدبير اجسام مافى حومتها ونظامها بما دبرها العليم الخبير .

فقدتبين من جميع مامر ان العرش هو باطن عالم التجرد وهو عالم العقول الطولية من الوجود المنبسط والكرسى هو ظاهره وهو عالم العقول العرضية وما دونه .

تتمة

وانت بعد الاحاطة بمامر تعرف معنى ماورد فى المقام من متفرقات الاخبار ففى التفسير .

وفى حديث آخر حملة العرش ثمانية اربعة من الاولين و اربعة من الاخرين فاما الاربعة من الاولين فنوح وابرهيم وموسى وعيسى واما الاربعة من الاخرين فمحمد وعلى والحسن والحسين (ع) .

وفى روضة الواعظين روى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده (ع) الى ان قال وان بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع مسير الف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين الف لون من النور لايستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله والاشياء كلها فى العرش كحلقة فى فلاة اقول و هذه المعانى مروية بطرق كثيرة اخرى .

وورد ان آية الكرسى و آخر البقرة وسورة محمد من كنوز العرش

وورد ان صاد نهر يخرج من ساق العرش .

وورد ان العرش سقف الجنة .

وورد ان العرش يرتج عند بكاء اليتيم .

و ورد ان الافق المبين قاع بين يدى العرش فيه انهار تطرد فيه من القدحان عدد النجوم .

وورد ان روح بعض الائمة على العرش ينظر الى زواره .

وورد ان قلب المؤمن عرش الرحمن .

وورد فى الحديث القدسى ماوسعنى ارضى ولاسمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن الى غيرذلك من متفرقات الروايات .

واعلم ان مايعتقده الناس من كون العرش جسما اعظم ما يكون كهيئة السرير فوق الافلاك او انه الفلك التاسع المحدد للجهات تطبيقا بهيئة بطلميوس فلم نجدله شاهدا يركن اليه من الروايات بل بعض الروايات فى مقام تكذيبه كما مر فيما مر .

واما الكلام فى القلم و اللوح فهما ايضا من ضروريات الاسلام تكرر ذكرهما فى القرآن وتواترت بهما اخبار العامة والخاصة قال سبحانه **وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى السماء و لا فى الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين** وقال تعالى **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو و يعلم ما فى البر و البحر و ما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين** وقال تعالى **وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها و يعلم مستقرها و مستودعها كل فى كتاب مبين** الايات .

مزج سبحانه بين علمه وبين الكتاب فافاد ان علمه عين الكتاب

الذى هو مبين و قال تعالى **وكلشيء احصيناه فى امام مبين** الاية و سياق الايات يعطى ان هذا العلم علم بالجزئيات و اشخاصها فلو كان كتابة هذا الكتاب بالتخطيط و التسطير نظير الكتب التى بيننا لم يحتو الا على المفاهيم التى هى كليات دون الجزئيات اذالمفهوم و لو تعين باى تعين فرض يقبل الانطباق على امور كثيرة متماثلة و يشير اليه قوله سبحانه **الم تر ان الله يعلم ما فى السموات و ما فى الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولاخمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولااكثر الاهو معهم اينماكانوا** الاية وقال تعالى **قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندناكتاب حفيظ** الاية فوصفه بانه حفيظ و انه عنده و قد اخبر سبحانه بان ماعنده باق لاينفد فهذا الكتاب شامل لجميع جزئيات الموجودات وكلياتها بوجود باق محفوظ لا يتبدل و لايتغير كما قال سبحانه **يمحوالله مايشاء و يثبت وعنده ام الكتاب**.

ثم انه سبحانه اثبت فيهذه الايات كتابا واحدا سماه فى موضع بالكتاب المبين وفى آخر بام الكتاب وفى آخر بالكتاب الحفيظ والكتاب المكنون و الكتاب المسطور و اللوح المحفوظ ثم قال تعالى **كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وماادريك ماعليون كتاب مرقوم يشهده المقربون** وقال سبحانه **كلا ان كتاب الفجار لفى سجين و ما ادريك ماسجين كتاب مرقوم و يل يومئذ للمكذبين** الايات فاثبت سبحانه كتابا للسعادة وكتابا آخر للشقاوة ثم قال تعالى **يوم ندعوا كل اناس بامامهم** وقال تعالى **كل امة تدعى الى كتابها** الايه فاثبت لكل امة كتابا

على حدة ثم قال تعالى وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه و نخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا الايه فاثبت لكل انسان كتابا عليحدة ثم قال سبحانه ما خلقنا السموات و الارض وما بينهما الا بالحق و اجل مسمى وقال تعالى لكل اجل كتاب الايه فاثبت لكل موجود من الموجودات كتابا واحدا بشخصه ثم قال سبحانه هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون الايه فاثبت ان اعمالهم بنحو الاستنساخ من ام الكتاب وان ساير الكتب فروع ماخوذة منه وهذا هو تنزل الموجودات من مرحلة الغيب الى حيز الشهادة فهذا حديث الكتب والالواح .

ثم ان الله سبحانه افاد بذلك لنا ان بينه سبحانه و بين الوجودات امرا سبيله سبيل الكتاب يكتبه الملك منا ليكون ماخذ الصدور احكام مملكته وبرنامجا لتفصيل اجرائاته فى مقام العمل فهناك مايجرى مجرى المداد والقلم والكتاب ولم يرد فى القرآن ذكر من المداد و القلم غير قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون على مايفسره بعض الروايات وقوله تعالى الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم الايه .

ولعل ذلك لشدة طريقية المداد والقلم فى المطالب كما هو المعمول ايضا فان الذكر انما يقع على الكتاب دون القلم والمداد واما ذكر الكتاب فكثير كما لايخفى وهو موجود واحد منبع لفيضان الفيوضات فهو ملك بلاشك وكيف لا وهو مصدر الفيوضات و منشاء الخيرات و البركات و الادراكات فهو درّاك فعال فهو حى فهو ملك اذ هو الموجود الحى

العالم الفعال الذى يتوسط بين الحق والخلق و ان كان كل ماله فلمبدعه تعالى .

اقول والاخبار ايضا يبين هذا البيان ويفسرها على هذه الاعتبارات و قد ظهر من رواية حنان السابقة ان هذه امثال ضربت للناس و ما يعقلها الا العالمون و الاشارة الى هذا المعنى كثير فى الكتاب و السنة .

وفى الاحتجاج عن هشام بن الحكم انه سال الزنديق اباعبدالله فقال اوليس توزن الاعمال قال لا ان الاعمال ليست باجسام و انما هى صفة ماعملوا وانما يحتاج الى وزن الشيء من جهل عدد الاشياء ولا يعرف ثقلها وخفتها وان الله لا يخفى عليه شيء قال فما معنى الميزان قال العدل الحديث .

وهذه الرواية تعطى ميزانا كليا وان ماورد عنهم فى امثال ذلك بانه لاتمام الحجة جواب مطابق لظواهر المعارف واما ممثلات هذه الامثال فلها معان تحت هذه المعانى غير ان السنخية اللازمة بين المثل والممثل لابد من وجودها وعلى اى حال فاذا رجعنا الى ماعندنا من الامور وجدنا ان المداد والقلم واللوح معتبرة عندنا لحفظ الاشارة الى الاعيان الخارجية فى النقش .

وبعبارة مجازية مراتب الوجود عند الناس ثلث الوجود الخارجى والوجود الذهنى ، والوجود الكتبى ، وكل من هذه الثلث يحكى عما قبله والحوادث المكتوبة موجودة في مقام الاجمال فى القلم و فى مقام

التفصيل فى اللوح وبنظر ادق من ذلك الاجمال و التفصيل كلاهما فى المداد و القلم حافظ لاجماله مفيض لتفصيله هذا فاذا ثبت فى الوجود مداد و قلم و لوح مسطور فيه نظام الوجود كان القلم مرتبة من مراتب الوجود موجودا فيها الموجودات بنحو الاجمال والبساطة مفيضا للتفصيل وكان اللوح مرتبة اخرى موجودا فيها تفاصيل الموجودات وكان المداد مرتبة ثابتا فيها الاجمال والتفصيل معا وهو الوجود المنبسط على مادون الاسماء.

و هذه المراتب حيث انها مجردة الوجود ازيد من نوع واحد فيها فمعها الحيوة و العلم على ماتقرر فى محله فاذا لو حظت المراتب كانت متحدة اتحادا ما بالعرش واذا لوحظت الحدود والمهيات كانت املاكا ثلثة.

والى المعنى الاول يشير ما فى تفسير القمى فى قوله تعالى بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ قال (ع) اللوح المحفوظ له طرفان طرف على العرش وطرف على جبهة اسرافيل الخبر وما سياتى فى رواية الاقصر.

ويدل على المعنى الثانى مافى تفسير القمى مسندا عن هشام عن ابيعبدالله (ع) قال اول ماخلق الله القلم فقال له اكتب فكتب ماكان وماهو كائن الى يوم القيمة.

اقول وهذا المعنى مروى بطرق العامة ايضا و فى معانى الاخبار مسندا عن ابرهيم الكرخى قال سالت جعفربن محمد عن اللوح والقلم فقال هما ملكان.

وفيه ايضا مسندا عن سفيان عن ابيعبدالله (ع) عن ن فقال هو نهر في الجنة قال الله عزوجل اجمد فجمد فصار مدادا ثم قال عزوجل للقلم اكتب فسطر القلم في اللوح المحفوظ ماكان وماهو كائن الى يوم القيمة فالمداد مداد من نور والقلم قلم من نور واللوح لوح من نور قال سفيان فقلت له يابن رسول الله بين لى امر اللوح و القلم و المداد فضل بيان و علمنى مما علمك الله فقال يابن سعيد لولا انك اهل للجواب ما اجبتك فنون ملك يؤدى الى القلم وهو ملك والقلم يؤدى الى اللوح وهو ملك واللوح يؤدى الى اسرافيل واسرافيل يؤدى الى ميكائيل وميكائيل يؤدى الى جبرئيل وجبرئيل يؤدى الى الانبياء والرسل قال ثم قال لى قم ياسفيان فلا آمن عليك .

وفى تفسير القمى عن ابيه عن ابن ابى عمير عن عبدالرحيم الاقصر عن ابيعبدالله (ع) قال سئلته عن ن والقلم قال ان الله خلق القلم من شجرة فى الجنة يقال لها الخلد ثم قال لنهر فى الجنة كن مدادا فجمد النهر وكان اشد بياضا من الثلج و احلى من الشهد ثم قال للقلم اكتب قال يا رب ماا كتب قال اكتب ماكان وما هو كائن الى يوم القيمة فكتب القلم فى رق اشد بياضا من الفضة و اصفى من الياقوت ثم طواه فجعله فى ركن العرش ثم ختم على فم القلم فلم ينطق بعد و لا ينطق ابدا فهو الكتاب المكنون الذى منه النسخ كلها اولستم عربا فكيف لاتعرفون معنى الكلام واحدكم يقول لصاحبه انسخ ذلك الكتاب اوليس انما ينسخ من كتاب آخر من الاصل وهو قوله انا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون الحديث .

اقول وروى هذا المعنى فى تفسير العياشى والعلل ومعانى الاخبار قوله خلق القلم من شجرة فى الجنة اد يستدعى سبق الجنة على خلق القلم وقد مرت الروايه ان القلم اول مخلوق و لا منافاة بنائا على مايعرفه اهله ان من مراتب الجنة سالايطلق عليه لفظ الخلق وقريب منه قوله (ص) اول ماخلق الله نور نبيك ياجابر مع ماورد ان طينتهم مأخوذة من الجنة والناس فى غفلة عن هذا المعنى (١)

ومقتضى الرواية ان المداد اما مع القلم واما قبله ولم نجد رواية تدل على ان اول ماخلق الله المداد غير ما فى الخصال عن الباقر (ع) قال ان لرسول الله (ص) عشر اسماء خمسة فى القرآن وخمسة ليست فى القرآن فاما التى فى القرآن محمد واحمد وعبدالله ويس ون الحديث مع مافى الخبر المشهور اول ماخلق الله نور نبيك يا جابر هذا .

ويمكن بيان وجه لنظى له وهو ان المعتبر فى الوساطة عند الناس القلم واللوح فاما المداد فهو فان فيها منقول عنه غير منظور اليه استقلالا وقد مر هذا الوجه فافهم .

وقوله فى رق اشد بياضا من الثلج اه تعبير عن اللوح والرق الجلد وقد مر تعبير آخر عنه فى رواية سفيان بانه لوح من نور وله تعبير آخر فى حديث القمى فى نزول اسرافيل على رسول الله (ص) قال جبرئيل ان هذا اسرافيل وهو حاجب الرب واقرب خلق الله منه و اللوح بين عينيه من ياقوته حمراء الحديث .

وقد اختلف التعبير عن القلم ايضا تارة بانه من شجرة الخلد فى

١ـ وان كانت الطينة ادنى مرتبتها من النور منه .

الجنة وتارة بانه قلم من نور وعن المداد تارة بانه نهر فى الجنة اشد بياضا من الثلج واحلى من الشهد وتارة بانه مداد من نور وعن الجميع بان المداد واللوح والقلم املاك ثلثة ولعمرى هذا الاختلاف فى التعبير وامثاله من اوضح الدليل على انها امثال مضروبة بحسب اختلاف الجهات او الافهام فهب ان هذه صنايع لفظية وتشبيهات شعرية ارتكبها ائمة الاسلام لتزئين اللفظ بتسمية اشياء باللوح والقلم والمداد و الكتاب و الميزان و امثال ذلك فما معنى تذييله بانه كان اشد بياضا من الثلج و احلى من الشهد و نحو ذلك فهل هذا الا انها امثال مضروبة و استار دونها اسرار و الله الهادى .

وقوله (ع) ثم طواه فجعله فى ركن اه اشارة الى اتحاده بالعرش كما مر فى حديث القمى .

و قوله (ع) ثم ختم على فم القلم اه اشارة الى حتمية القضاء المكتوب فيه كما فى التوحيد وتفسير القمى عن النبى (ص) قال سبق العلم وجف القلم ومضى القضاء وتم القدر بتحقيق الكتاب و تصديق الرسل و بالسعادة من الله لمن آمن و اتقى و بالشقاء لمن كذب و كفر الحديث ولا منافاة بين كون هذا النظام فى مرتبة من مراتب وجوده محتوما غير قابل للتغير وفى مرتبة آخر قابلا له فان الاجمال وقبول التغير من لوازم مرتبة القوة و الامكان من الاستعدادات المتفرقة و اما المراتب العليا فمقدسة عن شوب القوة والامكان والى الله الرجعى .

و قوله (ع) اولستم عربا اه اشارة الى تنزل وجود الاعمال من

مراتب الغيب الى مراتب الشهادة فان الظاهر من الاخبار ان اعمال بنى آدم الواقعة تنسخ اولا عن اللوح المحفوظ فيجيء به الملكان الى هذا العالم ثم يصعدان به الى اللوح فيقابل به .

ففى كتاب سعد السعود فى رواية انهما اذا ارادا النزول صباحاً ومسائا ينسخ لهما اسرافيل عمل العبد من اللوح المحفوظ فيعطيهما ذلك فاذا صعدا صباحا ومسائا بديوان العبد قابله اسرافيل بالنسخ التى انتسخ لهما حتى يظهر انه كان كما نسخ منه الخبر .

وفى الوسائط من الملئكة الكتاب بين اسرافيل والملكين اخبار آخر منها ما فى كتاب محاسبة النفس لابن طاوس مسندا عن امير المؤمنين (ع) فى حديث البيت المعمور فيه كتّاب اهل الجنة عن يمين الباب يكتبون اعمال اهل الجنة وكتّاب اهل النار عن يسار الباب يكتبون اعمال اهل النار باقلام سود الخبر .

و فى المحاسن و العلل مسندا عن حبيب السجستانى قال قال ابوجعفر (ع) انما سميت سدرة المنتهى لان اعمال اهل الارض تصعد بها الملئكة الحفظة الى محل السدرة قال و الحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون مايرفعه اليهم الملئكة من اعمال العباد فى الارض فينتهى بها الى محل السدرة الخبر .

و فى تفسير القمى عن الباقر (ع) قال السجين الارض السابعة وعليون السماء السابعة الخبر .

اقول وهذه الاخبار بظاهرها مختصة بكتّاب اعمال بنى آدم ويدل

على الاعم من ذلك ما فى تفسير القمى مسندا عن حماد عن ابيعبدالله (ع) انه سئل الملائكة اكثر ام بنو آدم فقال (ع) والذى نفسى بيده لملائكة الله فى السموات اكثر من عدد التراب فى الارض وما فى السماء موضع قدم الا وفيها ملك يسبحه ويقدسه ولا فى الارض شجر ولا مدر الا وفيها ملك موكل بها ياتى الله كل يوم بعملها والله اعلم بها الخبر .

اقول والاحاطة بما قدمنا من الاصول يغنى عن الاطالة فى بيانها على ان البناء على ايثار الاختصار .

ثم اعلم ان الاخبار تكاثرت فى ثبوت المحو والاثبات فى الحوادث الخارجية و هو البداء و قد نطق به القرآن قال تعالى يمحوالله ما يشاء و يثبت وعنده ام الكتاب الاية وهذا يوجب ثبوت الواح وكتب اخرى بعد اللوح المحفوظ يتطرق اليها التغير وحيث ان الوجود لاينقلب عما هو عليه بالضرورة فالمكتوب فيهذه الالواح من الحوادث وجوداتها الناقصة التى فى ضمن مقتضياتها فيوجب ذلك اجمالا واحتمالا لايتعين وجوداتها التامة فيها وهذا الاجمال غير الاجمال الذى سبق فى المداد والقلم فانه فيهما بمعنى بساطة الوجود وشدة صرافتها بخلاف ماهيهنا فانه بواسطة شوب المادة و الاستعداد بوجه ومنه يعلم ان هذه الالواح مادية طبيعية واما المثالية والمجردة منها فينبغى ان يتصور على ماصورناه فى رسالة افعال الله هذا .

ومثل هذا المحو والاثبات ثابت فى كتب الاعمال بالكتاب والسنة كمحو السيئة و اثبات الحسنة و حبط الاعمال بواسطة بعض الذنوب

و الخطايا و المغفرة و الشفاعة و الله اعلم .

واما الكلام في السموات و الارض فالكتاب و السنة مملوان من ذكرهما اقول والمحصل من ذلك ان في الوجود سبع سموات ، وان السماء الدنيا هي التي فيها هذه النجوم والكواكب المحسوسة وهي تسبح فيها و المجرة شرجها كانها عروة كيس تجمع راسها ، وان هذا الجو مكفوف مجتمع ، وان في الوجود سبع ارضين مخصوصة في الكتاب العزيز بالذكر في قوله تعالى ومن الارض مثلهن احدها ارضنا ونحن من الارض وهي في الجو وهي مدحية مبسوطة ليست بالموجودة دفعة ولها حركة ما ، و ان في الوجود عوالم كثيرة لاتحصى قدانقرض منها عدد كثير وعدد كثير منها باق بعد .

هذا هو الذي يتحصل من الكتاب و السنة المذهن الخالي الغير المتقلد بالتقليد قال الله تعالى **الذي خلق سبع سموات** طباقا وقال تعالى **انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب** و قال تعالى **وكل في فلك يسبحون** .

وفي كتاب الاحتجاج و غيره عن امير المؤمنين (ع) و قد سئل عن المجرة قال شرج السماء الخبر .

وفي النهج قال (ع) اللهم رب السقف المرفوع والجو المكفوف الذي جعلته مفيضا لليل والنهار ومجرى للشمس والقمر ومختلفا للنجوم السيارة و قال تعالى **الذي خلق سبع سموات و من الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن** وقال تعالى **والارض بعد ذلك دحيها** وقال تعالى

والارض مددناها والقينا فيها رواسي وقال تعالى والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه و اليه النشور الى ان قال اولم يروا الى الطير فوقهم صافات و يقبضن ما يمسكهن الا الرحمن الاية .

وقد نطقت الاخبار ان الله عوالم كثيرة فيها خلائق كثيرون مكلفون وان الله خلق الف الف عالم والف الف آدم انتم في آخرهم وغير ذلك مما يخرجنا استقصائها الى الاطناب .

اقول و اما ان غير السماء الدنيا و الارض من بقية السموات و الارضين ماهي في حقيقتها فلا يظهر تمام الظهور .

و الذي ينبغي ان يقال هو انه تواترت النصوص كتابا و سنة ان هذه السموات السبع مملوة من الملئكة وان منهم سدنة لابوابها ومنهم حفظة لها ومنهم ملائكة متعبدة متنسكة راكعة اوساجدة اوقائمة اووالهة و منهم سيارة تنزل بالامر الالهي او تعرج بالاخبار و الكتب او تصعد بالالواح والاعمال سمائا سمائا الى مافوق السماء السابعة وهناك سدرة المنتهى تنتهي اليها اعمال بني آدم وعندها جنة المأوى و بحار الانوار والحجب وان من الملئكة من راسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة و ان من ارواح الانبياء و الاولياء من هو ساكن في السماء الى غير ذلك .

واذ سيجيء ان هذه كلها موجودات غير مادية بل هي بين اجسام لطيفة مفارقة للمادة مثالية او جواهر مجردة تجردا تاما فح حقيقة الامر على احد وجهين :

اما ان يكون تمكنهم فى هذه الاماكن كتمكن نار البرزخ فى البرهوت وجنة البرزخ فى وادى السلام و بين قبر النبى و منبره و مثل كون القبر روضة من رياض الجنة اوحفرة من حفر النيران وهو وجود امر فى باطن امر .

و اما ان تكون هذه السموات امورا برزخية كما يظهر من اخبار آخر .

لكن ظاهر الاخبار ان فى عالمنا المادى ارضون وسموات مادية وعلى كلا التقديرين يثبت سماء وارض من غير مادة .

ومما هو ظاهر الدلالة على ذلك مافى كتاب الغارات باسناده عن ابن نباتة قال سئل امير المؤمنين (ع) كم مابين السماء والارض قال (ع) مدالبصر ودعوة المظلوم الخبر .

وروى مثله بسند آخر وفى آخره لانقول غير ذلك .

والجمع بين الحكمين مع كون احدهما حكم المادى و الاخر حكم غير المادى من جهة اتحادهما فى الحقيقة و كون النسبة بينهما نسبة الظاهر والباطن وهذا كثير فى الاخبار الحاكية عن شئون السماء وغيرها كالجنة والنار وقال تعالى **وفى السماء رزقكم وما توعدون** و ما فى علل الشرايع فى حديث عن الصادق (ع) فهكذا الانسان خلق من شان الدنيا و شان الاخرة فاذا جمع الله بينهما صارت حيوته فى الارض لانه نزل من شان السماء الى الدنيا فاذا فرق الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت تردّ شأن الاخرى الى السماء فالحيوة فى الارض والموت فى السماء

وذلك انه يفرق بين الأرواح والجسد فردت الروح والنور الى القدس الاولى وترك الجسد لانه من شان الدنيا الحديث .

فيظهر مما مر انه كما ان في عالمنا المادى ارضا وسمائا كذلك فوق هذا العالم سماء و هى التى تعرج اليها الارواح الطيبة السعيدة و تتنعم فيها و هى جنة البرزخ و ارض و هى التى تهبط اليها الارواح الخبيثة الشقية و تتعذب فيها و هى نار البرزخ و الأرواح فى هاتين حتى تفنى بفناء المثال وتقوم الناس لرب العالمين هذا .

ومن هنا انك اذا راجعت الاخبار التى فيها ان الملئكة بعد قبض ارواح السعداء يعرجون بها الى السماء الى الله سبحانه ثم يؤمر بها الى الجنة لايوجد فيها مايحكى عن انها يهبط بها الى الارض ثم تدخل الجنة مع ان جنة البرزخ بمقتضى الاخبار فى الارض وفى القبر .

ويشهد لمامر ايضا ما فى البصاير مسندا عن جابر عن ابى جعفر (ع) قال سئلته عن قول الله عزوجل وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات و الارض قال فكنت مطرقا الى الارض فرفع يده الى فوق ثم قال لى ارفع راسك فرفعت راسى فنظرت الى السقف قد انفجر حتى خلص بصرى الى نور ساطع حار بصرى دونه قال ثم قال لى راى ابرهيم ملكوت السموات والارض هكذا الخبر .

وما عن الصادق (ع) قال اذا كان ليلة القدر نزلت الملئكة والروح الى السماء الدنيا فيكتبون مايكون من قضاء الله فى تلك السنة الحديث مع ما ورد ان الروح بعد ما نزل الى الارض مسدداً لرسول الله (ص)

لم يعرج بعدو هو مع اهل البيت يسددهم الخبر .

و يظهر منهما ان احاطة السماء الاولى بالارض من قبيل احاطة الباطن بالظاهر لاكما يقولون من احاطة الفلك .

واما الكلام فى الملئكة فوجودهم من ضروريات الاسلام ويمكن ان يقال ان الامر كذلك فى الجملة فى ساير الملل و قد استفاضت الاخبار بانهم اكثر خلق الله اصنافا وافرادا واستقصاء اصنافهم تفصيلا خارج عن العهدة لكن يجمعهم اقسام ثلث :

القسم الاول الملئكة المهيمون وهم الوالهون فى عظمة الله سبحانه لايشعرون بشيء ولا بانفسهم .

ففى البصاير عن ابيعبدالله (ع) قال ان الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الاول جعلهم الله خلف العرش لوقسم نورواحد منهم على اهل الارض لكفاهم ثم قال (ع) ان موسى لما سأل ربه ماسئل امرواحدا من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكا الحديث .

وانت بعد التدبر فى قوله فلما تجلى ربه للجبل الايه و الروايات التى فى موردها تقضى بان هذه الملئكة فانون فى الله سبحانه لايشعرون بغيره وليس لهم الا الله سبحانه .

وقوله (ع) جعلهم الله خلف العرش يومى اليه اه فان العرش هو عالم التدبير والقضاء والقدر اليه ينتهى التفاصيل والاحكام فلا اثر خلفه من ذلك البتة .

وفى الخبر ايضا ان العالين قوم من الملائكة لايلتفتون الى غير الله

ولم يؤمروا بالسجود لادم ولم يشعروا ان الله خلق العالم ولا آدم .

القسم الثانى الملئكة المتعبدون المتنسكون ففى النهج فى خطبة له (ع) ثم فتق مابين السموات العلى فملاهن اطوارا من ملائكته منهم سجود لايركعون و ركوع لاينتصبون و صافون لايتزايلون و مسبحون لايسأمون لايغشاهم نوم العيون ولاسهو العقول ولافترة الابدان ولاغفلة النسيان الخطبة وهذا المعنى مروى مستفيضا .

القسم الثالث الملائكة العمالة الموكلون بالعالم من حملة العرش والكرسى و الموكلين بالسموات و الشمس و القمر و النجوم و الليل والنهار والجو والسحاب والامطار والرعد والبرق والصواعق والشهب والرياح والارض والعناصر والبحار والجبال والاودية والنبات والحيوان والانسان والاعمال والازمان والامكنة والحيوة والرزق والموت والبرزخ والحشر و الجنة و النار وغير ذلك حتى يظهر من بعض الاخبار عموم وساطتها لجميع جزئيات جهات العالم من الذوات و الاعيان وآثارها وقد تقدم بعضها فى الكلام على اللوح والقلم .

وهذا القسم بنفسه طبقات مختلفة من آمر ومامور ورئيس ومرئوس فى كل عمل موكل به ومنهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل و عزرائيل.

واعلم ان اصناف الملائكة كلهم معصومون بنص القرآن وتواتر الاخبار غير مافى بعض اخبار قصة هاروت وماروت وقد رده اخبار آخر وما فى خبر واحد عامى من قصة دردائيل وفى آخر من قصة فطرس وهى على انها آحاد مجملة .

والغرض فى المقام بيان ان هذه الاصناف موجودات مفارقة للمادة بين مثالى و مجرد تام و البرهان المذكور فى اول الرسالة يثبت هيهنا ان لكل من موجودات عالمنا المادى مرتبة من المثال ومرتبة من العقل هما فى طوله و هو المطلوب وفى الايات والاخبار شواهد على ذلك .

منها قوله تعالى **قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله** و قوله تعالى **نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين** وقوله تعالى **ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى** .

ومن المعلوم ان هذا القلب ليس المراد به اللحم الصنوبرى المعلق عن يسار المعدة بل هو الذى يفهم ويعقل وهو النفس فنزوله على القلب لايستقيم الا مع كون وجود النازل مجردا فى الجملة كوجود المعنى .

وقوله تعالى **وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون** الايه و مثلها آيات آخر اذ ظاهرها ان انزال الملك بلباسه الملكى ووجوده الملكوتى ملازم لقضاء الامر و عدم الانظار و دخول الناس فى نشأة مابعد الموت حتى يتسانخوا و يتجانسوا مع الملائكة وتلك نشأة مفارقة للمادة فوجود الملائكة منها فهى مفارقة .

ومنها ماورد فى الارواح ففى البصائر مسندا عن الحلبى عن الصادق (ع) فى قوله تعالى يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى قال ان الله تبارك وتعالى احد صمد والصمد الذى ليس له جوف وانما الروح خلق من خلقه له بصر وقوة وتاييد يجعله الله فى قلوب الرسل والمؤمنين .

وفيه مسندا عن الحسن بن ابرهيم عن الصادق (ع) قال سئلته عن علم العالم فقال ان في الانبياء والاوصياء خمسة ارواح روح البدن وروح القدس وروح القوة وروح الشهوة وروح الايمان و في المؤمنين اربعة ارواح انما فقدوا روح القدس روح البدن وروح القوة و روح الشهوة وروح الايمان وفي الكفار ثلثة ارواح روح البدن و روح القوة و روح الشهوة ثم قال وروح الايمان يلازم الجسد مالم يعمل بكبيرة فاذا عمل بكبيرة فارقه الروح وروح القدس من سكن فيه فانه لايعمل بكبيرة ابدا.

وفي الكافي مسندا عن ابي بصير عن ابيعبدالله (ع) قال ان للقلب اذنين فاذا هم العبد بذنب قال له روح الايمان لاتفعل و قال له الشيطان افعل و اذا كان على بطنها نزع منه روح الايمان الحديث يشير (ع) الى الزنا.

وفي الكافي مسندا عن حماد عن ابيعبدالله (ع) قال مامن قلب الا وله اذنان على احديهما ملك مرشد وعلى الاخرى شيطان مفتن هذا يامره وهذا يزجره الشيطان يامره بالمعاصي والملك يزجره عنها وذلك قول الله عزوجل عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الحديث.

قوله (ع) وذلك قول الله عزوجل اه يظهر منه ان مراده تعالى من قعودهما عن اليمين والشمال قعودهما عن يمين القلب وشماله اى النفس و سعادته و شقاوته و كونه ذا اذنين باعتبار سمعه و طاعته لآمر الخير و آمر الشر.

و قوله (ع) فى خبر ابى بصير نزع منه اه ونظير هذه العبارة فى انتزاع روح الايمان وارد فى الأخبار كثيرا يلوح منه ان لها اتحاد اما بالنفس فهى مقومات لجهات النفس .

ويظهر من ضم الخبرين الاخيرين ان روح الايمان مع ملك ويدل عليه مافى الكافى وتفسير العياشى عن الصادق (ع) مامن مؤمن الا ولقلبه اذنان فى جوفه اذن ينفث فيها الوسواس الخناس واذن ينفث فيها الملك فيؤيد الله المؤمن بالملك فذلك قوله تعالى وايدهم بروح منه الخبر .

وكذا مافى الاخبار الكثيرة ان روح القدس ملك وربما ايد المؤمن.

وبالجملة فمن المعلوم ان ليس فى قلوبنا حين الهم بالحسنة او السيئة الا خطرات تخطر وهى كلام نفسى لنا و هى بعينها كلام ملك او شيطان و الكلام واحد بعينه فمتكلمه واحد بعينه فلو كان الملك الذى يكلمنا امرا ماديا لكان اللازم اتحاد الاثنين و هو محال فليس الا انه موجود مثالى و لا يلزم من ذلك الاتحاد المستحيل لكون احدهما فى طول الاخر فافهم وهذا الوجه ناهض فى مثالية الشيطان المفتن ايضا .

ومنها ماورد مستفيضا فى اخبار البرزخ من وجود ملئكة موكلة بروح الانسان بعد موته فى البرزخ كمنكر ونكير ومبشر وبشير وملئكة جنته وناره والصاعدين بروحه وحيث ان البرزخ مثال فهى مثالية .

و منها الاخبار الواردة فى غريب خلقهم و عجيب شانهم ففى نهج البلاغة فى خطبة له (ع) فى الملائكة و منهم الثابتة فى الأرضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار

اركانهم و المناسبة لقوائم العرش اكتافهم الخطبة .

وفى تفسير القمى مسندا عن جابر عن ابيجعفر (ع) قال كان بينا رسول الله (ص) جالسا و عنده جبرئيل اذ انت من جبرئيل قبل السماء فانتقع لونه حتى صار كانه كركم ثم لاذ برسول الله (ص) فنظر رسول الله (ص) الى حيث نظر جبرئيل فاذا شيء قد ملاء بين الخافقين مقبلا حتى كان كقاب من الارض الى ان قال قال يعنى جبرئيل هذا اسرافيل حاجب الرب الخبر .

وفى التوحيد عن الصادق (ع) انه سئل عن قوله تعالى لقد راى من آيات ربه الكبرى فقال راى جبرئيل على ساقه الدر مثل القطر على البقل له ستماة جناح قد ملاء مابين السماء والارض الحديث .

والروايات وردت اكثر من ان تحصى فى نزولهم واختلافهم وان منهم سكنة الهواء والارض و الاماكن المقدسة الافاً الافاً وانهم ينزلون مع قطرات الامطار و مع كل شخص و كل عمل و فى ليلة القدر الوف من الملائكة لايحصى عددهم الا الله سبحانه .

ومساق هذه الاخبار والاثار يابى ان نقول ان لاختلاف موجودات عالمنا وتقلباتها وانقلاباتها تاثيرا فيهم فلا يوطئون بالاقدام ولا يضغطون ولا تخرق حركات الاجسام ابدانهم مع انهم قد ملاؤا الفضاء و السطح مع ان الضرورة تقضى بالمزاحمة بين الماديات والجسمانيات ولا يبصرون و لا يلمسون و لا يحس بهم و لا غير ذلك من احكام الماديات فليسوا بالاجسام المادية و انما للماديات نسبة اليهم هذا .

و ما ربما يقال ان الله سبحانه قادر ان يصرف الماديات عنها فلا تحس بها ولا تزاحمها ويجعل القوة على رؤيتهم والارتباط بهم فى بعض اشخاص الانسان كالانبياء (ع) فيختصوا برؤيتهم و كلامهم مثلا فكلام يشبه بظاهره كلام المسلّمين من المسلمين وبباطنه يهدم اساس الدين اذ لو جاز مثل هذا الخطأ العظيم فى الحس لم يثبت لنا نبى ولا كتاب ولا شرع ولا اعجاز ولحقنا بالسوفسطائية ولم يثبت توحيد حتى تصل النوبة الى الكلام فى الملائكة على ان الضرورة تدفعه .

وما اثبتنا فى محله من الخطاء فى الحس انما هو الخطاء فى الحكم الذى معه لا فى المحسوس الحاصل عند الحس فما نراه من صغر النجوم مثلا فالذى عند الحس من نقطة بيضاء هو هذا القدر وهو ضرورى بديهى والخطاء انما هو فى حكمنا ان النجم فى نفسه على هذا المقدار من الحجم على ما يثبته احكام الزوايا المثلثية من حجمها .

ومنها الاخبار الكثيرة الواردة فى عصمتهم الذاتى وقد قال تعالى **بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون** و قال تعالى **فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون** الاية فمن المعلوم ان لو كانت فيهم مادة و هى حاملة للقوة والامكان وافعالهم صادرة عن علم كان ذلك منهم اختياريا متساوى الوجود والعدم كالانسان ولم يكونوا مجبولين على الطاعة ولاستوجبوا بالطاعة مزيد الثواب مع ان العمالة منهم عمالة الى ابد الابدين من قبل وفى الدنيا والاخرة وفى الجنة والنار .

و منها ما ورد ان طعامهم التسبيح و شرابهم التهليل اى ان قوام وجودهم الخارجى بالتوحيد والتنزيه واما الحمد و التشبيه فلم يرد فيه نص غير مافى قوله تعالى والملئكة يسبحون بحمده الاية ولم يرد ويحمدون ووجهه واضح عند العارف بالحقايق .

وفى رواية اخرى فى العلل لمحمد بن على بن ابرهيم سئل ابوعبدالله عن الملئكة ياكلون ويشربون وينكحون قال لانهم يعيشون بنسيم العرش فقيل له فما العلة فى نومهم فقال (ع) فرقا بينهم وبين الله عزوجل لان الذى لاتاخذه سنة ولانوم هو الله الخبر .

وحديث نومهم وارد فى احاديث أخر منها ما فى اكمال الدين مسندا عن داود بن فرقد فى حديث حدثه بعض اصحابه عن الصادق (ع) فقال (ع) ما من حى الا و هو ينام خلا الله وحده عزوجل و الملائكة ينامون فقلت يقول الله يسبحون الليل و النهار لا يفترون قال انفاسهم تسبيح الخبر .

وقد مر فى اول الكلام قول على (ع) لايغشاهم نوم العيون الخطبة فلو صحت هذه الاخبار كان المراد من نومهم ماهو مثل قوله (ع) الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وماورد مستفيضا فى اخبار البرزخ كما فى الكافى مسندا عن سالم عن ابيعبدالله (ع) فى حديث ثم تؤخذ روحه فتوضع فى الجنة حيث راى منزله ثم يقال له نم قرير العين فلا تزال نفحة من الجنة تصيب جسده يجد لذتها وطيبها حتى يبعث الحديث .

وجملة المعنى ان نسبة جنة الاخرة الى البرزخ وكك نسبة البرزخ

الى الدنيا كنسبة اليقظة الى النوم وكذا فى الملئكة نوم غير نوم العيون وغفلة العقول نسبته الى ماعليه الحق سبحانه نسبة النوم الى اليقظة فمن فقد شيئا فقد نام عنه و الحاصل ان تعيشهم بنسيم العرش و هو التسبيح والتهليل وقد عرفت ان العرش ماهو انما هو مشاهدة التوحيد و التنزيه فبه قوام وجودهم فحجاب المادة ليس مضروبا دونهم .

وفى كتاب الدرر والغرر للامدى عن المناقب و سئل يعنى عليا عليه السلام عن العالم العلوى فقال صور عارية من المواد خالية عن القوة والاستعداد تجلى لها فاشرقت وطالعها فتلالات و القى فى هويتها مثاله فاظهر عنها افعاله الحديث وهيهنا مباحث اخر ربما تعرضنا لبعضها فى الكلام على الشيطان على حسب مايسوغه المجال .

واما الكلام فى الشيطان فهو ايضا من ضروريات هذا الدين بل ساير الملل و قد تواترت الاثار و تكرر فى القرآن اثبات خصوصيات عجيبة لهذا المخلوق والكلام الجامع فيه ان نقول كما ان الاسلام يثبت وراء الحس موجودات كثيرة موكلة بجميع جهات العالم تدعوا الى الخيرات و تهدى الى الحسنات و تفيض البركات و سمتها الملائكة فالملك موجود غير محسوس له مبدئية ما للخيرات والحسنات والبركات كذلك يثبت وراء الحس موجودات اخرى موكلة بالانسان وغيره تدعوا الى الشرور و تهدى الى كل معصية و مخالفة يسميها الشيطان و ذريته فالشيطان موجود غير محسوس له مبدئية ما للشرور والمعاصى .

اقول اذا فرضنا معصية ما فهى مخالفة والمخالفة لايتحقق الامع

تصور موافقة فى محلها واطاعة والموافقة بالطاعة لاتكون بشباهة الفعل بالفعل بل بمطابقة الفعل لمايريده آمر بامر مثلا والامر اللفظى انما هو لايصال الامر الى المأمور لا لموضوعية له فى نفسه بالضرورة . و لذا كان الامر العقلى كالامر اللفظى والامر امر اعتبارى اعتبر للتوصل الى وجود فعل مراد من الغير بالبعث و التحريك الاعتبارى للمامور الى المامور به وارادة الفعل لاتكون الا بمحبة تامة فالذى يصدر عن الفاعل المطيع انما هوالذى يحبه الامر من حيث انه يحبه و الا لم يكن موافقة اى ان علم الفاعل فى ارادته الفعل انما تعلق بالفعل بما ان الامر يحبه اى بمحبة الامر مشاهدا تعلقها بالفعل ووجودها فى الفعل وحيث ان العلم متحد بالمعلوم فمنشأ الفعل ارادة الامر التى عند الفاعل فهذا الفعل انما تحقق بفناء ارادة الفاعل فى ارادة الامر و حيث ان الفعل اثر الفاعل ووجوده رابط غير مستقل بالنسبة الى الذات فللذات وجود ما فى مرتبته ففناء الارادة فى الارادة يستلزم فناء ما للذات فى الذات فى هذه المرتبة فيختلف الفناء المذكور باختلاف الافعال فهناك فنائات مختلفة بالنسبة الى الافعال المختلفة والطاعات المتشتته .

ومثل البرهان يثبت فى جانب المعصية ان المعصية لا تتحقق الا بانانية بالنسبة الى ذات الامر بوجه ما وهى خلاف الفناء اى الغفلة عن ذات الامر و توجه المامور الى ذات نفسه .

وحيث ان الكلام فى اطاعة الحق سبحانه ومعصيته ولاذات موجودة بالاستقلال الا ذاته فالتوجه الى ذات اخرى غير متصورة هناك بل هى

الغفلة عن انه هو به لاعن هو البسيط فانه غير متحقق البتة .

فقد تحقق ان المعاصي بجميع انحائها لاتتحقق الا مع الغفلة عن الحق سبحانه و دعوى الانانية و تختلف اقسام هذه الدعاوى باختلاف اقسام الافعال التى هى معاص اختلافا شديدا فهذا هو المتحقق فى مرتبتنا الطبيعية ولها بالضرورة مثل فى مرتبة المثال نسبتها فى الكليه والجزئية والمنشأية و التولد نسبة مافى عالم الطبيعة بمقتضى مامر من البرهان فى اول الرسالة فهى موجودات متقدمة عليها بوجه احياء فى انفسها لها مبدئية ما بالنسبة الى ما فى عالم الطبيعة من ممثلاتها و هذا الموجود غير المحسوس الذى هو مبدء عام للمعاصى مع المبادى الجزئية التى لها هو الذى نسميه بالشيطان و ذريته هذا ماسنح ببالى من البرهان على وجوده و لم اجد مجال المراجعة الى كتب القوم فما ادرى هل سبقنى اليه احد او جاء ببرهان غير هذا ومنه يتبين معانى عامة ماورد فى خصوصيات وجوده وذريته وحالاتهم وكيفية وساوسهم وغير ذلك .

ومن البرهان يظهر وجه عدم سجدته لعنه الله لادم لانه غير خاضع لذات الانسان النورية التى هى خليفة الله فى ارضه لان ذاته قائمه بالانانية وقد ورد فى الخبر ان اول من قال انا ابليس وانه انما استحق اللعن بذلك قال تعالى **اذ قال ربك للملئكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملئكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين** الايات ويظهر مما مر انه لم كما لم يسجد لادم لم يسجد لذريته ايضا وشاهد ذلك قوله تعالى **ولقد**

خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس الاية وكما انه لم يسجد هو لع لم يسجد ذريته ايضا ففى نهج البلاغة فى خطبة له (ع) فى صفة خلق آدم (ع) واستادى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم و عهد وصيته اليهم فى الاذعان بالسجود له و الخشوع لتكرمته فقال سبحانه اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس وقبيله اعترتهم الحمية وغلبت عليهم الشقوة الخطبة ويستفاد هذا المعنى من قوله سبحانه انه يريكم هو وقبيله من حيث لاترونهم الاية .

و من البرهان يظهر ان المتخلص منه لع بالكلية لايتحقق الا مع الخلوص لله سبحانه قال سبحانه حكاية عن ابليس حين رجم وانظرقال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهم الذين اخلصوا لله بالبناء للمجهول فلا يبقى غاية لهم اما ذاتا او اسما او فعلا فقط الا الله سبحانه و هو الخلوص باحد وجوهه و ذلك لانه يرتفع موضوع الوسوسة ح و هو الانانية و الغفلة عن الحق سبحانه و ذلك قوله (ع) ان شيطانى اسلم على يدى و فى رواية قتلته و فى رواية عن الصادق (ع) على ان الشيطان لايتعرض بنا هذا واما وقوع الخطاء وهو مخالفة الامر الارشادى دون المولوى منه و ترك الاولى من الانبياء فقد صرح به القرآن الكريم وتواترت به الاخبار قال تعالى فى آدم و حواء فازلهما الشيطان الايه وكذا فى ساير الانبياء وكذلك وقوع الخطاء الخالى قال تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا الايه وقال تعالى حكاية عن فتى موسى و هو يوشع فى قصة الحوت و ما انسانيه الا

الشيطان ان اذكره الايه وقال تعالى حكاية عن ايوب (ع) انى مسنى الشيطان بنصب و عذاب .

و يتبين مما مر من الامثلة ان عمدة تصرفاته لع فى هذا العالم الطبيعى على ثلثة اقسام :

القسم الاول تصرفه فى الانسان بالوسوسة فى صدره والالقاء فى قلبه قال تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقال تعالى من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس و الخناس اسم للشيطان الموكل على الناس كما فى الاخبار و قد مر رواية الكافى فى هذا المعنى .

وهذا القسم هو الذى عصم منه المعصومون من الانبياء والاولياء و لذلك لو تحقق منه لع وسوسة لهم كان ذلك بالظهور و التجسم لهم كما ورد اخبار كثيرة فى قصص نوح وابرهيم واسمعيل وموسى وعيسى ويحيى ونبينا عليهم السلام فى هذا المعنى .

القسم الثانى تصرفه لع فى الانسان غير قلبه كاعضائه مثلا كما فى قصة ايوب ومرضه مرضا شديدا و هذا فى غير المعصومين من الاولياء مقدمة للقسم الاول وفيهم ينتج ايذائا .

القسم الثالث تصرفه لع فى غير الانسان من الامور الخارجة عنه قال تعالى قال رب بما اغويتنى لازينن لهم فى الارض و لاغوينهم اجمعين والاخبار فى هذا الباب اكثر من ان تحصى .

كما فى الكافى باسناده عن على (ع) قال قال رسول الله (ص)

لاتؤوا منديل اللحم في البيت فانه مربض الشيطان ولاتؤوا التراب خلف الباب فانه ماوى الشيطان الخبر .

وفيه مسندا عن الصادق (ع) ان على ذروة كل جسر شيطانا فاذا انتهيت اليه فقل بسم الله يرحل عنك .

وفي اخبار كثيرة انه لع تصرف في العنب والكرمة والنخلة وفي اخبار كثيرة انه لع يتصرف في النطفة و المأكل و المشرب و الملبس والمسكن اذا لم يذكر اسم الله عليه .

وفي الكافي مسندا عن علي قال قال رسول الله (ص) بيت الشيطان في بيوتكم بيت العنكبوت .

وفي الكافي ايضا مسندا عن احدهما (ع) قال لاتشرب وانت قائم ولاتبل في ماء يفتع ولاتطف بقبر ولاتخل في بيت وحدك ولاتمش بنعل واحدة فان الشيطان اسرع ما يكون الى العبد اذا كان على بعض هذه الاحوال الى غير ذلك من نظايرها التي وردت في الشريعة وهذا القسم ايضا مقدمة للقسم الاول من تصرفاته لع .

ومن البرهان المذكور يظهر ايضا ان الشياطين مفارقة الوجود للمادة و الوجوه المذكورة في تجرد الملائكة غير الوجه الاخير منها جار في الشياطين بعينها قال تعالى **يعدهم و يمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا** وقال تعالى **وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم** وقال تعالى **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** وقال تعالى **لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم**

و قال تعالى انه يريكم هو و قبيله من حيث لا ترونهم و قال تعالى الشيطان سول لهم و املى لهم وقال تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك الايات و امثال الاخبار التى اوردناها في الكلام على الملئكة واردة في هذا المقام ولا نطيل بالايراد و البيان بل الاخبار الواردة هيهنا اوضح دلالة من هناك لان كثيرا من تصرفاته الواردة بتمثيل جسماني مفسر هيهنا بخلافه هناك .

كما في المحاسن عن الرضا عن ابائه عن على (ع) في حديث فاما كحله فالنوم واما سفوفه فالغضب واما لعوقه فالكذب .

و في الكافي مسندا عن ابيجعفر (ع) ان هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم .

وعن النبي (ص) ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع .

و في الخبر ان موسى (ع) رآه و عليه برنس فسئله عن برنسه فقال لع به اصطاد قلوب بني آدم .

وفي مجالس ابن الشيخ مسندا عن الرضا عن ابائه ان ابليس كان ياتي الانبياء من لدن آدم الى ان بعث الله المسيح (ع) يتحدث عندهم و يسائلهم و لم يكن باحد منهم اشدا نسا منه بيحيى بن زكريا فقال له يحيى (ع) يا ابامرة ان لي اليك حاجة فقال له انت اعظم قدراً من ان ارداك بمسئلة فاسئلني ماشئت فاني غير مخالفك في امر تريده فقال يحيى يا ابامرة احب ان تعرض على مصائدك وفخوخك التى تصطاد بها بني آدم

فقال له ابليس حبا وكرامة وواعده لغد فلما اصبح يحيى قعد فى بيته ينتظر الوعد و اغلق عليه الباب اغلاقا فما شعر حتى ساواه من خوخة كانت فى بيته فاذا وجهه صورة وجه القرد وجسده على صورة الخنزير واذا عيناه مشقوقتان طولا واذا اسنانه وفمه مشقوقات طولا عظما واحدا بلا ذقن ولا لحيه وله اربعة ايديان فى صدره ويدان فى منكبه واذا عراقيبه قوادمه واصابعه خلفه وعليه قباء وقد شد وسطه بمنطقة فيها خيوط معلقة بين احمر واصفر واخضر وجميع الالوان واذا بيده جرس عظيم وعلى راسه بيضة واذا فى البيضة حديدة معلقة شبيهة بالكلاب فلما تامله يحيى (ع) قال له ماهذه المنطقة التى فى وسطك فقال هذه المجوسية انا الذى سننتها وزينتها لهم فقال له ماهذه الخطوط الالوان قال هذه جميع اصناع النساء لاتزال المرئة تصنع الصنيع حتى يقع مع لونها فافتن الناس بها فقال له فما هذا الجرس الذى بيدك قال هذا مجمع كل لذة من طنبور و بربط و معزفة و طبل و ناى و صرناى و ان القوم ليجلسون على شرابهم فلا يستلذونه فاحرك الجرس فيما بينهم فاذا سمعوه استخف بهم الطرب فمن بين من يرقص ومن بين من يفرقع اصابعه ومن بين من يشق ثيابه فقال له واى الاشياء اقر لعينك قال النساء هن فخوخى ومصائدى فانى اذا اجتمعت على دعوات الصالحين و لعناتهم صرت الى النساء فطابت نفسى بهن فقال له يحيى (ع) فما هذه البيضة على راسك قال بها اتوقى دعوة المؤمنين قال (ع) فما هذه الحديدة التى ارى فيها قال بهذه اقلب قلوب الصالحين قال يحيى (ع) فهل ظفرت بى ساعة قط قال لا و لكن فيك

حصلة تعجبني قال يحيى (ع) فماهي قال انت رجل اكول فاذا افطرت اكلت وبشمت فيمنعك ذلك من بعض صلوتك وقيامك بالليل قال يحيى (ع) فاني اعطي الله عهدا اني لااشبع من الطعام حتى القاه قال له ابليس وانا اعطي الله عهدا اني لاانصح مسلما حتى القاه ثم خرج فما عاد اليه بعد ذلك الحديث و هو مروى عن طرق العامة ابسط من ذلك و الروايات في اقسام اغوائاته وتزييناته عند انواع المعاصي و الذنوب بتصويرات عجيبة فوق حد الاحصاء وكل ذلك يشهد انها تمثلات مثالية منه لع غير مادية .

و بما تقرر يندفع ماذكره بعضهم انا اذا عملنا سيئة فلا نجد في انفسنا الا تصورا للفعل و تصديقا و جزما و ارادة و تحريكا للاعضاء بالعضلات ولم نجد اثر المؤثر آخر يسمى شيطانا فليس الاالقوى المادية تميلها الى الشهوة و الغضب و الخواطر المنبعثة فالشيطان كناية عنها والوسوسة كناية عن الخواطر من حيث وقوعها في طريق الشر وهذا الكلام يطرد في جانب الملك و الهامه كما لايخفى .

ووجه الاندفاع ظاهر اذ الشيطان والملك في طول الانسان الطبيعي لافي عرضه حتى يتوجه ماذكر .

ومن اجاب عنه بان فعل الشيطان والملك الذكر والتذكير فلايلزم ما اوردوه كانه غفل عن مأت او الوف من الاخبار و الاثار في اقسام تصرفاته لع اوانه حمل جميعها على المجاز والاستعارة وساير الصنايع الشعرية وحاشا مقام ائمة الاسلام عن ذلك .

ومن البرهان المذكور يظهر كيفية وجود الملائكة اعنى العمالة منهم ويظهر ايضا ان ذات الانسان كالمؤلف من تصرفات ملكية اوشيطانية وليس له ذات مستقل منحاز .

و من البرهان المذكور يظهر مع ملاحظة الاصول المقررة فى محلها انه لع و جنوده و انكان لهم تقدم على هذه النشأة لتقدم المثال على السادة الا انلهم تاخرا ما وتعيناما بالمادة اذ تحقق المعصية بانواعها يحتاج الى تعين مادى .

ومن هنا ربما يظهر وجه معنى شمول الخطاب بالسجدة لادم(ع) لابليس لع مع انه لم يكن من الملائكة و الخطاب كان متوجها اليهم وانه كان فى السماء اذ لم يكن اذ ذاك ارض متعينة بل لم يكن الأسماء نورانية طاهرة وانما تعينت الارض بعد وقوع المعصية قال سبحانه قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزائكم جزائا موفورا و قال سبحانه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين الايه فارض آدم الارض الطبيعية وارض ابليس الارض السابعة والارض مع ذلك ارض واحدة اذ الاختلاف بالبطون والظهور لايوجب الاختلاف حقيقة كماهو ظاهر قوله تعالى اولم يروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقنا هما وجعلنا من الماء كل شيء حى الاية .

ومن هنا ربما يظهر معنى ماورد مستفيضا من ائمة اهل البيت عليهم السلام كما فى الكافى وتفسيرى القمى و العياشى بطرق متعددة ان ابليس كان مع الملائكة ولم يكن منهم و كانت الملائكة ترى انه منهم الخبر وذلك

لعدم ظهور معصيته و مخالفته اذ ذاك .

ومن هنا ربمايظهر معنى تولد ذريته قال تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو الايه .

وفى تفسير العياشى عن جابر عن النبى (ص) فى حديث فقال ابليس لع رب هذا الذى كرمت على و فضلته وان لم تفضل على لم اقو عليه قال لايولد له ولد الا ولد لك ولدان الحديث وهذا على سبيل التكثير

ويؤيده مافى تفسير العياشى مسندا عن الصادق (ع) فى حديث فقال ابوعبدالله (ع) والذى بعث محمدا للعفاريت والابالسة على المؤمن اكثر من الزنابير على اللحم الحديث .

و فى الكافى مسندا عن ابان عن الصادق (ع) قال لابليس عون يقال له تمريح اذا جاء الليل ملاء مابين الخافقين الحديث وهو حديث غريب فى معناه .

و اعلم ان مثل هذا المعنى وارد فى الملائكة ايضا و ان لم يعبر عنه فى الاخبار بالذرية و التولد ففى الكافى مسندا عن ابيجعفر (ع) قال ان فى الجنة نهرا يغتمس فيه جبرئيل كل غداة ثم يخرج منه فينتفض فيخلق الله عزوجل من كل قطرة منه ملكا الحديث وهو مروى فى حديث المعراج من طرق العامة والخاصة وهذا المعنى كثير فى روايات العبادات ايضا .

واعلم ان هذه المقابلة بين الملك والشيطان يوضح معنى ماورد ان الملك مخلوق من النور والشيطان من النار قال تعالى خلقتنى من نار

الايه حكاية عنه لع وفي الكافي مسندا عن داود الرقي عن ابي عبدالله (ع) قال ان الله عزوجل خلق الملائكة من نور الخبر .

تتمة

ومما يتعلق مجال الشياطين قضية رجمها بالشهب قال تعالى ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين الايات .

و في المجالس عن الصادق (ع) كان ابليس يخترق السموات السبع فلما ولد عيسى حجب عن ثلث سموات وكان يخترق اربع سموات فلما ولد رسول الله (ص) حجب عن السبع كلها ورميت الشياطين بالنجوم الحديث ومضمون الخبر مروى مشهور بين الفريقين .

و في العلل مسندا عن ابي بصير عن ابي عبدالله (ع) قال انما كان بلية ايوب التي ابتلي بها في الدنيا لنعمة انعم الله بها عليه فادى شكرها وكان ابليس في ذلك الزمان لا يحجب دون العرش فلما صعد عمل ايوب (ع) باداء شكر النعمة حسده ابليس لع الخبر .

و يظهر منه ان عروجه لع الى السموات لم يكن منحصرا في سماع الاخبار عن الملائكة و قد ذكروا في معنى هذه المسئلة بعض الوجوه منها ماذكره صدر المتألهين قده في المفاتيح من اراده فليرجع اليه .

والذي يظهر من معناها بما يناسب البناء على ما مر من الاصول

ان يقال ان السموات السبع والارضين السبع ما كانت منحازة فى زمن الانبياء السابقين كل الانحياز ولا كانت شرايعهم مستوعبة للاعمال النازلة من السموات غير ما نزلت مما فوق السماء السابعة كاصل التوحيد و الولاية و النبوة و بعض مما دونها بحسب استعداد الامم الماضية فلما تولد المسيح عيسى بن مريم (ع) منع ابليس لع من ثلث سموات و هى السابعة و السادسة والخامسة و انحازت اذذاك ثلث من الارضين و استوعبت شريعته بتكميل شريعة موسى (ع) من الاعمال بنسبة ذلك ثم لما تولد محمد صلى الله عليه و آله منع لع ببركته (ص) من جميع السموات السبع وانحازت بذلك جميع الارضين السبع وقذفت الشياطين بالشهب وانقطعت الكهانة و استوعبت شريعته المقدسة جميع الاعمال النازلة من السموات السبع فافهم انكنت من اهله انشاء الله.

واعلم ان الشياطين غير منحصرة فى الجن بل ربما لحق بهم شياطين من الانس ايضا وهو الذى يقتضيه الاصول السابقة وهو الفناء فى الشيطان قال تعالى شياطين الانس والجن وقال تعالى من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس.

و فى قصص الراوندى مسندا عن عبدالعظيم الحسنى (ع) عن على بن محمد العسكرى فى حديث ظهور ابليس لع لنوح (ع) فقال نوح (ع) تكلم فقال ابليس لع اذا وجدنا ابن آدم شحيحا او حريصا او حسودا او جبارا او عجولا تلقفناه تلقف الكرة فان اجتمعت لنا هذه الاخلاق سميناه شيطانا مريدا.

هذا آخر ما اردنا ايراده من هذه المباحث على مايسمح به الوقت ويسعه الباع والله المستعان واليه المصير والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

وكان الفراغ ليله الجمعة منتصف المحرم سنة ١٣٥٧

وفرغ عن كتابته فى العشر الأوسط من شهر

الصفر سنة ١٣٦١ هجرية قمرية

ووقعت الكتابة فى قرية شادآباد من أعمال بلدة تبريز

رسالة الانسان قبل الدنيا

هذه رسالة الانسان قبل الدنيا وهي الرسالة الاولى
من كتاب الانسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلوة والسلام على اوليائه المقربين سيما محمد وآله الطاهرين .

هذه رسالة الانسان قبل الدنيا نشير منها الى ماجرى على الانسان قبل هبوطه و وقوعه في ظرف الحيوة الدنيا على ما دبره العليم القدير على ماينتجه البرهان ويستفاد من ظواهر الكتاب والسنة و الله المعين .

فصل ١

قدتبين بالبرهان في الفلسفة الاولى ان العلية تقتضي قيام المعلول في وجوده وكمالاته الاولية و الثانوية بالعلة و ان ذلك كله من تنزلات العلة دون النواقص و الجهات العدمية .

وايضا ان عالم المادة مسبوق الوجود بعالم آخر غير متعلق بالمادة فيه احكام المادة و هو علته و بعالم آخر مجرد عن المادة و احكامها هو علة علته ويسميان بعالمي المثال والعقل وعالمي البرزخ و الروح .

ويستنتج من ذلك ان الانسان بجميع خصوصيات ذاته و صفاته وافعاله موجود في عالم المثال من غير تحقق اوصافه الرذيلة وافعاله السيئة ولوازمه الناقصة و جهاته العدمية فهو كان موجودا هناك في اهناء عيش واقرّ عين في زمرة الطاهرين وصفّ الملئكة المقدسين مبتهجا بمايشاهده من نور ربه ونورانية ذاته وتشعشع افقه ملتذا بمرافقة الابرار و مسامرة الاخيار لا يمسه فيها تعب ولا لغوب و لا يتكدر بكدورات النواقص و العيوب لاحجاب بينه وبين مايشتهيه ولاالم ولاملال يعتريه .

فصل ٢

وظواهر الكتاب و السنة تدل على ما مر قال تعالى **الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين** ففرق سبحانه بين الخلق والامر فعلمنا ان الخلق غير الامر بوجه و ليس الامر مختصا بآثار اعيان الموجودات حتى تختص الاعيان بالخلق و آثار الاعيان بالامر لقوله سبحانه **قل الروح من امر ربي** فنسب سبحانه الروح وهو من الاعيان الى الامر ، وقوله تعالى **انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون** . افادان امره هو ايجاده بكلمة كن سواء كان عينا او اثر عين وحيث ليس هناك الاوجود الشيء الذي هو نفس الشيء تبين ان في كل شيء امرا الهيا .

ثم قال سبحانه **انا خلقناكم من طين لازب** وقال **انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه** وغير ذلك من الايات المفيدة ان الخلق بالتدريج .

و قد قال سبحانه **و ما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر** و قال **ماخلقكم و لا بعثكم الا كنفس واحدة** وقال **ما امر الساعة الا كلمح البصر** فافاد عدم التدريج فى الامر .

تبين بمجموع الايات ان الامر امر غير تدريجى بخلاف الخلق وانكان الخلق ربما استعمل فى مورد الامر ايضا .

و بالجملة ففيما يتكون بالتدريج و هو مجموع الموجودات الجسمانية و آثارها وجهان فى الموجود الفائض من الحق سبحانه وجه امرى غير تدريجى ووجه خلقى تدريجى و هو الذى يفيده لفظ الخلق من معنى الجمع بعد التفرقة .

وقد افاد قوله سبحانه **انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن** الاية ان الامر سابق على الخلق وان الخلق يتبعه ويتفرع عليه و هو الذى يفيده قوله سبحانه **بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون** فعمل الملئكة وهم المتوسطون فى الحوادث بواسطة الامر .

فتحصل من الجميع ان فوق عالم الاجسام و فيه نظام التدريج عالما آخر يشتمل على نظام موجودات غير تدريجية اى غير زمانية يتفرع كل موجود زمانى من مظروفات نظام التدريج على ما هنا لك من الموجودات الامرية و هى محيطة بها موجودة معها قائمة عليها كما يفيده (فالتدبير وهو الاتيان بالامر دبر الامر وعقيبه يصدر من العرش اولا ثم يتنزل الامر من سماء الى سماء و قد اوحى الى كل سماء ما يختص بها من الامر فان الامر كلمته سبحانه فالقائه الى شىء وحى منه اليه ولا يزال

يتنزل سمائا سمائا حتى ينتهى الى الارض ثم يأخذ فى العروج فهذا هو المتحصل من الايات) قوله سبحانه **ثم استوى على العرش يدبر الامر** وقوله سبحانه **ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع افلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه** وقوله سبحانه **ثم استوى الى السماء** الى ان قال تعالى **فقضيهن سبع سموات فى يومين واوحى فى كل سماء امرها** وقوله سبحانه **خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن** الايات .

وهى مع ذلك تفيد ان الامر فى تنزله ذو مراتب فانه سبحانه اخبر عن ان التنزل بينهن فللتنزل نسبة الى كل واحدة منها لوقوعه من عال الى سافل حتى ينتهى الى آخرها فيتجاوزها الى الارض وهو قوله سبحانه **يدبر الامر من السماء الى الارض** وهذه حال الامر بعد تقديره بالقدر والمقادير ومحدوديته بالحدود والنهايات كما قال سبحانه **وكان امر الله قدرا مقدورا** وهناك وجود امرى غير محدود ولا مقدر ينبىء عنه قوله سبحانه **وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم** الايه حيث افاد ان لكل شىء من الاشياء وجودا مخزونا عنده سبحانه وان تنزله انما هو بقدر معلوم والاية حيث تفيد ان التنزل يلازم التقدير بالمقدار افادت ان الخزائن التى من كل شىء عنده سبحانه وجودات غير محدودة ولا مقدرة فهى من عالم الامر قبل الخلق .

وحيث عبر سبحانه بلفظ الجمع المشعر بالكثرة فلابد ان يكون الامتياز بين افرادها بشدة الوجود وضعفه وهو المراتب دون الامتياز

الفردى بالمشخصات مثل الافراد من نوع واحد والا وقع الحد والقدر وقد انبأ سبحانه ان لاقدر قبل التنزل ففى هذا القسم من الموجود الامرى الغير المحدود ايضا مراتب واقعة .

وليس التنزل عن هناك كيفما كان بالتجافى وتخلية المكان السابق بالنزول الى اللاحق لقوله سبحانه **ماعندكم ينفدو ماعندالله باق** الايه وهذه الموجودات الغير المحدودة حيث لاحدلها ولابينها فهى موجودة جميعا بوجود واحد على كثرتها و مشتملة على جم الكمالات التى فى عالمها ولاخبر ولا اثر هناك عن الاعدام و النواقص التى تفيدها المادة والامكان او الحد والفقدان .

ولاتزال تتنزل عن مرتبة الى مرتبة حتى تشرف على عالم الاجسام وهى فى جميع مراحلها مشتملة على جمل الكمالات مبراة عن النواقص غير انها فى كل مرتبة بحسب مايقتضيه حال المرتبة من قوة الموجود و ضعفه ولاحجاب ولاغيبوبة بل اشعة الكل واقعة من الكل على الكل و منعكسة من الكل الى الكل فهى انوار طاهرة و لذلك وصف سبحانه الروح الذى هو من عالم الامر بالطهارة والقدس فقال **وايدناه بروح القدس** وقال قل(ص) **نزله روح القدس** وحكى سبحانه ذلك عن الملئكة فقال سبحانه **و اذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك و نقدس لك** الايه اى نظهر قدسك و طهارتك عن النواقص بذواتنا و افعالنا حيث ان ذواتنا بامرك و افعال ذواتنا بامرك كما يومى الى جميع

المرحلتين قوله سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بامره يعملون الايات فالاية الثانية فرع للاولى فهو اكرام ذاتى لهم هذا وليس فى اعمالهم الا حيثية الامر اذ هو المصحح للثناء عليهم واكرامهم منه سبحانه و الا ففى كل فعل من كل فاعل امر منه سبحانه كما يستفاد من قوله سبحانه ذلكم الله ربكم خالق كل شىء وقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون الايات فتخصيصه سبحانه عملهم بالذكر بانه بامره سبحانه ليس الا لان عملهم لا جهة فيه الا جهة الامر وكك ذواتهم ويشير اليه آيات اخر كقوله تعالى قل كلا يعمل على شاكلته وقوله كما بدأنا اول خلق نعيده وقوله و البلد الطيب يخرج نباته باذن ربه و الذى خبث لا يخرج الا نكدا الى غير ذلك من الايات .

وايضا فان الملائكة لم يقل اتجعل فيها من يفسد الخ و لم يستفد صدور هذه المعاصى الا بالاستفادة من قوله انى جاعل فى الارض خليفة اه ان الخلافة و هى قيام الشىء مقام آخر و نيابته عنه تقتضى اتصاف الخليفة باوصاف الحق سبحانه و هى محمودة مقدسة لا يصح فى قباله دعويهم انا نسبح بحمدك و نقدس لك فلم يبق للاستناد الا الجعل فى الارض فمن هنا فهموا انه سيؤثر فى افعاله و سيتلون بكدورة الارض وظلمات الطين ذاته ولذلك عبروا عن الخليفة بالموصول والصلة فقالوا من يفسد فيها ويسفك الدماء وهو الاسم فيكون مقابلته بدعويهم انا نسبح بحمدك و نقدس لك مقابلة بالاسم فهم طاهرون مقدسون فى اسمائهم اى ذواتهم من حيث الوصف و هو المطلوب فافهم .

ولنرجع الى ما كنا فيه وبالجملة فعالم الامر عالم القدس والطهارة وسمى بالامر لكونه لايحتاج فى وجوده الى ازيد من كلمة كن ومن هنا ربما يعبر سبحانه عنه بالكلمة كقوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما يعبر عن القضاء المحتوم بالكلمة كقوله وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار وقال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون الايات والقضاء من عالم الامر عنه وقد اطلق عليه الامر كثيرا كقوله سبحانه اتى امر الله وقوله وكان امر الله مفعولا وقوله والله غالب على امره الى غير ذلك وقال سبحانه لاتبديل لكلمات الله الايه اذ التبديل فرع قبول التغير الذى هو من لوازم المادة والقوة وعالم الامر كما عرفت مبرى منها وقال سبحانه قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدادا وقال سبحانه ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله الايه .

فتبين من جميع ذلك ان عالم الامر مؤلف من عوالم كثيرة مترتبة بعضها لاتحديد ولاتقدير لموجوداتها غير انها معلولة له سبحانه بل هى موجودات طاهرة نورية متعالية دائمة غير نافدة ولا محدودة وبعضها يشتمل على موجودات نورية طاهرة غير نافدة لكنها محدودة ويشتمل الجميع على جميع كمالات هذه النشأة الجسمانية ولذايذها ومزاياها بنحو اعلى واشرف غير مشوب بنواقص المادة واعدامها وكدوراتها

و آلامها و لا حجاب يحتجب الحق سبحانه به عنها كل ذلك بحسب وجودهم ومراتب ذواتهم .

ثم ان الحق سبحانه بين ان الروح من هذا العالم فقال تعالى **و يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا** ومما مر من البيان تعرف ان قوله سبحانه قل الروح من امر ربى يشتمل على بيان الحقيقة وليس استنكافا عن الجواب والبيان فبين سبحانه ان الروح موجود امرى غير خلقى كما يؤمى اليه قوله تعالى **ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين** فظهر بذلك انه مشارك مع ساير موجودات عالم الامر فى شئونهم واوصافهم واطوارهم ثم قال سبحانه **فاذا سويته ونفخت فيه من روحى** فبين ان الروح كان غير البدن وانه انما سكن هذه البنية بالنفخ الربانى وهبط اليه من مقامه العلوى ثم قال سبحانه **كما بدانا اول خلق نعيده** .

فبان بذلك ان هذا الطائر القدسى سيترك هذه البنية المظلمة بجذب ربانى كما سكنها اولا بنفخ ربانى و قد قال سبحانه **ما خلقنا السموات و الارض وما بينهما الا بالحق و اجل مسمى** ثم قال سبحانه **و قالوا أئذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد** زعما منهم انهم هم الابدان وهى تتلاشى وتضل فى الارض فقال سبحانه **بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفيكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون** الاية .

فبين سبحانه ان الذى يلقى الله تعالى ويتوفاه ملك الموت اى يأخذه

ويقبضه هو روحهم وهو نفسهم المدلول عليها بلفظكم فما يحكى عنه الانسان بلفظ انا هو روحه وهو الذى يقبضه الله ويأخذه بعد ما نفخه وهو غير البدن ثم قال سبحانه منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى وقال سبحانه فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون فبين ان للروح مع ذلك اتحاد اما مع البدن فيهذه الحيوة الدنيا فهو هو ويشير اليه مافى العلل مسندا عن عبدالرحمن عن ابيعبدالله (ع) قال قلت لاى علة اذا خرج الروح من الجسد وجدله مسا وحيث ركبت لم يعلم به قال لانه نما عليها البدن (ص) وقال سبحانه ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة وقال سبحانه قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الاية .

فبين سبحانه انه ملك الروح بعد توحيده مع البدن واعطائه جوارح البدن واعضائه قوى سامعة وباصرة ومتفكرة عاقلة وتمم له اذذاك جميع الافعال الجسمانية التى ماكان يقدر على شىء منها لولا هذا الاعطاء والجعل وهيأ سبحانه له جميع التصرفات الجسمانية فى عالم الاختيار وسخر له مافى السموات والارض وسخر له الشمس والقمر دائبين وسخر له الليل والنهار قال سبحانه مسخرات بامره فالتسخير والتدبير للامر وبالامر دون الخلق وانما للخلق وهو مجموع عالم الاجسام الالية والاداتية قال تعالى وآتاكم من كل ماسئلتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها الاية .

فهذا اول الفروق التى يفترق بها الروح عن الملئكة وهما جميعا

من عالم الامر فالروح موجود مجرد محلى بحلل الكمالات الحقيقية مبرى عن القوة والاستعداد و المنقصة و العدميات منزه عن الاحتجاب بحجب الزمان والمكان ساير فى مراتب الامر ومدارج النور وهو مع ذلك يقبل ان ينزل عن عالمه الى هذا العالم فيتحد بالاجسام ويتصرف فى جميع الانحاء الجسمية والجهات الاستعدادية و الامكانية بالاتحاد من غير واسطة بخلاف الملئكة فانهم محدود و الوجود بعالم الامر لايجاوزون افق المثال .

ثم انه سبحانه قال قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون و الذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار و هم فيها خالدون الايه .

فبين ان هبوطهم الى الارض يوجب انشعاب الطريق الى شعبتين شعبة السعادة وشعبة الشقاوة وتفرقهم فريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير ثم قال سبحانه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً واحلوا قومهم دار البوار .

فبين ان طريق الشقاوة فى الحقيقة هلاك وبوار فهناك منتهى سفرهم من عالم القدس واما طريق السعادة فهو الحيوة الجارية الدائمة قال تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم وقال سبحانه ماعندكم ينفد وماعند الله باق وقال سبحانه و ان الدار الاخرة لهى الحيوان و قد قال تعالى كما بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليه الضلالة .

فبين ان الفريقين يعودان على ما كانا عليه قبل النزول و الهبوط وتبين به ان اصحاب الشقاء يعيشون ويحيون بعد العود عيشا فى صورة البوار وحيوة فى صورة الموت قال سبحانه ثم لا يموت فيها ولا يحيى و ان اصحاب السعادة يعودون الى ما كانوا عليه من الحيوة الطيبة قال تعالى فلنحيينه حيوة طيبة وهو الذى يوجرون باعمالهم الناشئة عن ذواتهم السعيدة و يزيدهم الله من فضله ليجزيهم الله احسن ما عملوا و يزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب فغاية هذا السير والسرى والهبوط والنزول من فريق الروح هلاك بعضهم فى الدنيا ورجوع بعضهم الى مقامه الشامخ الاول مع مزايا اكتسبها قال تعالى قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء و اما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال الايات.

وهذا هو الفرق الثانى بين الروح والملئكة فالروح بواسطة نزوله الى هذه النشأة و اقامته فيها يقع على مفترق طريقين و منشعب خطين غاية احدهما البوار و الهلاك و غاية الاخر التمكن فى معارج العليا و جنة الخلد ومقام القرب والملئكة بخلاف ذلك فليس لهم الا خط واحد وهو خط السعادة.

و اعلم انا قد فصلنا القول فى رسالة الافعال فى باب السعادة

و الشقاوة ان محتد هذه المعانى و منشعب السعادة و الشقاء قبل نشأة المادة هذا .

ثم انه سبحانه قال فى وصف المؤمنين اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه فعلمنا ان هناك روحا آخر غير ما يشترك فيه جميع افراد الانسان يختص به المؤمنون وهو المسمى بروح الايمان و قال سبحانه فانزل الله سكينة على رسوله و على المؤمنين و الزمهم كلمة التقوى فعبر عنه بكلمة التقوى وبين ان هذا الروح يلازم التقوى .

وفى الكافى مسندا عن ابى بصير عن ابيعبدالله (ع) قال ان للقلب اذنين فاذا هم العبد بذنب قال له روح الايمان لاتفعل و قال له الشيطان افعل واذا كان على بطنها نزع منه روح الايمان الحديث .

ثم قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله و آمنوا برسوله يؤ تكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نورا تمشون به فعبر عنه بالنور وبين ذلك فى آيات آخر .

ثم قال سبحانه يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده ليندر يوم التلاق و قال سبحانه وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ماكنت تدرى ماالكتاب ولاالايمان ولكن جعلناه نورانهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم الايات .

فبين ان هناك روحا آخر يختص بالرسل (ع) وهو نور يهتدى به الغير كما ان روح الايمان نور يهتدى به الانسان فى نفسه .

و قوله ماكنت تدرى الخ يبين ان هذا الروح مهيمن على روح الايمان حيث يفيد علم الكتاب و نور الايمان فظهران اختلاف الروحين انما هو بشدة الوجود وضعفه وليس بالاختلاف الشخصى .

و قوله و انك لتهدى الى صراط مستقيم اه اشارة الى ان بينه و بين الروح الانسانى اتحادا فالاختلاف بينهما ايضا بالشدة و الضعف دون الشخص فما هناك الا روح واحد .

ثم قال سبحانه **ينزل الملئكة بالروح من امره** و قال سبحانه و هم بامره يعملون الاية فبين بذلك ان الروح ارفع منزلة من الملئكة وانه يتحد معهم قائما عليهم كما يشير اليه قوله سبحانه **قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك** وقال سبحانه **نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين** وقال سبحانه **قل نزله روح القدس** الايات.

فعبر سبحانه فى كلامه تارة بالروح و تارة بجبرئيل (ع) و هو يعطى الاتحاد الذى ذكرناه و انت تعلم ان هذا غير الاتحاد و الحلول المقدس عنه ساحة الوجود .

وفى البصاير مسندا عن الحسن بن ابراهيم عن الصادق (ع) قال سئلته عن علم المعالم فقال ان فى الانبياء والاوصياء خمسة ارواح روح البدن وروح القدس و روح القوة و روح الشهوة و روح الايمان وفى المؤمنين اربعة ارواح انما فقدوا روح القدس روح البدن و روح القوة وروح الشهوة وروح الايمان وفى الكفار ثلثة ارواح روح البدن وروح القوة و روح الشهوة ثم قال (ع) وروح الايمان يلازم الجسد مالم يعمل

بكبيرة فاذا عمل بكبيرة فارقة الروح و روح القدس من سكن فيه فانه لايعمل بكبيرة ابدا .

و فى تفسير العياشى عن الصادقين عليهما السلام فى قوله تعالى يسئلونك عن الروح الايه انما الروح خلق من خلقه له بصر وقوة وتاييد يجعله فى قلوب المؤمنين و الرسل الحديث و فيه اشعار ما باتحاد الروحين .

ويؤيده مارواه العياشى ايضا فى الاية عن احدهما (ع) سئل عن الروح قال التى فى الدواب والناس قيل وماهى قال هى من الملكوت من القدرة .

وفى تفسير القمى عن الصادق انه سئل هذه الاية فقال خلق اعظم من جبرئيل و ميكائيل كان مع رسول الله (ص) و هو مع الائمة هو من الملكوت .

وفى تفسير العياشى عنه (ع) انه سئل عنها فقال خلق عظيم اعظم من جبرئيل وميكائيل لم يكن مع احد ممن مضى غير محمد (ص) ومع الائمة يسددهم وليس كلما طلب وجد الحديث ويستشم منه ان الروح المؤيد به الرسل (ع) ايضا ذو مراتب .

وفى تفسير القمى عن الصادق (ع) ان الروح اعظم من جبرئيل و ان جبرئيل من الملئكة و ان الروح هو خلق اعظم من الملئكة اليس يقول الله تبارك وتعالى تنزل الملئكة والروح .

وفى تفسير القمى عن الصادق (ع) وفى الكافى عن الكاظم (ع)

نحن والله الماذونون لهم يوم القيمة والقائلون صوابا قيل ماتقولون اذا تكلمتم قالا نمجد ربنا ونصلى على نبينا ونشفع بشيعتنا و لا يردنا ربنا الحديث يشير ان عليهما السلام الى قوله تعالى يوم يقوم الروح و الملئكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن و قال صوابا الاية وفيه من الاشارة الى توحيد الارواح مالايخفى .

وهذا هوالفرق الثالث بين الملئكة والروح فالروح من الامر وهو ارفع درجة من الملئكة ومهيمن عليهم والله اعلم .

وقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا الاية مع كون الملئكة قائمة بالروح ومتحدا ذاتا و فعلا به كما مر يعطى انهم انوار الهية و ح فيتضح اتضاحا ما قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور الايه و قوله سبحانه لهم اجرهم و نورهم الاية وقوله سبحانه مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى الى ان قال تعالى نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء و لنقتصر على هذا المقدار من الكلام والله الهادى .

خاتمة

تناسب مامر من الكلام قال سبحانه و اذ قال ربك للملئكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون

و علم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملئكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبئهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض و اعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون .

قوله سبحانه قالوا اتجعل فيها اه ظاهر فى انهم قايسوا خلافة خليفة الارض على خلافتهم السماوية وذكروا ان الخلافة السماوية خلافة تامة تظهر تنزه الحق سبحانه وقدسه بخلاف خلافة الارض فان فيها ظهور الفساد وسفك الدماء وبالجملة السيئات التى اخبر الحق سبحانه فى كتابه بانها ليست منه وذلك يوجب تغيرا فى حقيقة الخلافة و عدم بقائه على قدسه حتى يحكى كمال الحق بما يليق بقدس ذاته سبحانه و ذلك كان كالاستفسار منهم لكيفية هذه الخلافة مع هذه النواقص دون الاعتراض عليه وتخطئته سبحانه .

والدليل على ذلك قولهم انك انت العليم الحكيم اه وقوله تعالى قال انى اعلم مالا تعلمون اه بيان لنقص خلافتهم بان اسم العلم لم يظهر فيهم تمام الظهور وليس من قبيل الاسكات كما يقوله احدنا لمن ينكر شيئا من امره انى اعلم مالا تعلم .

ويشرح ذلك قوله سبحانه وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم اه يظهر من السياق ان هذه الاسماء كلها موجودات حية عالمة عاقلة وانهم عين الاسماء التى علمها سبحانه آدم (ع) كما ان الاسم عين المسمى

وان الذى علمه هو جميع الاسماء وهى حية عالمة فالمراد بالاسماء غير الالفاظ قطعا بل الذوات من حيث اتصافها بصفات الكمال وهى ظهوراتها التى يتفرع على ذواتها يدل عليه قوله انبئونى باسماء هؤلاء وقوله فلما انبئهم باسمائهم اه و[1] فينطبق على قوله سبحانه **وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم** فهؤلاء الاسماء هى خزائن الغيب التى هى غير محدودة ولا مقدرة وفيها كل شيء.

ويظهر من هنا ان هؤلاء الملئكة المخاطبين انما كانوا هم الذين لا يرقى وجودهم عن عالم التقدير والحدود ويشير اليه قوله تعالى انى اعلم مالا تعلمون اه وقوله انى اعلم غيب السموات والارض اه.

و بهذا يتضح ما فى بعض الاخبار ان لله ملئكة لم يشعروا ان الله خلق عالما ولا آدم.

وما فى اخبار آخر ان الملئكة لما عرفوا خطأهم فى قولهم لا ذوا بالعرش ثم قال سبحانه فى موضع آخر من كتابه **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو** و المفاتح هو الخزائن او مفاتيحها فعلم آدم انما هو علمه سبحانه المحجوب عن الملئكة وهذا لا يتحقق بغير الولاية كما حقق فى محله فالذى صنعه سبحانه هو انه وضع فى جبلة آدم الولاية والتخلق بجميع الاسماء و الصفات فى جميع الاسماء و قد حجب عنه الملئكة

---

١ - والشاهد على ذلك انه سبحانه كرر قوله انى اعلم مالا تعلمون بتبديله بقوله انى اعلم غيب السموات والارض اه فللسموات و الارض غيب كما ان لهما شهادة والاسماء التى علمها سبحانه آدم (ع) هم غيبهما فافهم منه

ولم يصيروا بعد انباء آدم اياهم الاسماء مثل آدم والا لم يصح الجواب الذى اجاب به سبحانه عنهم وهو واضح .

ثم اعلم انه سبحانه لم يذكر قصة هذه المخاطبة فى كتابه فى ازيد من موضع واحد من سورة البقرة بل بدل هذا التفصيل بنحو قوله سبحانه **واذ قال ربك للملئكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى** اه فيظهر ان قوله ونفخت فيه من روحى اه يشتمل على اجمال مايفصله قوله سبحانه و علم آدم الاسماء الخ و يظهر منه حقيقة هذا الروح الذى نفخه سبحانه ووجه تخصيصه بنفسه بقوله من روحى اه ولم يرد فى القرآن اضافة الروح اليه سبحانه الا فى قصة آدم والباقى على غير هذا النحو من الاضافة كقوله سبحانه **فارسلنا اليها روحنا** و قوله **نزل به الروح الامين** و قوله **و ايدناه بروح القدس** الايات و قوله سبحانه **واعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون** اه يشعر بانه كان هناك امر ما مكتوم و قوله سبحانه بعد ذلك **واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى و استكبر وكان من الكافرين** الايه حيث عبر بقوله وكان من اه كالبيان لهذا الامر المكتوم و لذا ورد فى الروايات كما فى تفسير القمى وغيره ان المراد مما كانوا يكتمون ماكان يضمره ابليس من عدم السجدة لادم (ع) .

و قد بينا فى رسالة الوسائط ان هذه النشأة المتقدمة على الدنيا لايتمايز فيها السعادة والشقاوة وانما موطن التمايز ومبدئه الدنيا ولذلك فحال ابليس هناك حال ساير الملئكة و قد شمله الخطاب بالسجود كما

يفيده الاستثناء ثم تميز ابليس من الملئكة وصار رجيما و يستشعر ذلك من قوله سبحانه وقلنا يا آدم اسكن انت و زوجك الجنة و كلا منها رغدا حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو و لكم فى الارض مستقر و متاع الى حين الى ان قال قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يا تينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون و الذين كفروا و كذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الايات .

فقوله قلنا اهبطوا منها الخ و قال سبحانه فى موضع آخر قلنا اهبطا اه .

وفى رواية القمى عن الصادق (ع) ولم يدخلها ابليس الحديث و قال سبحانه بعد حكاية ابائه عن السجدة قال اخرج منها فانك رجيم اه يوجب اشكالا فى كيفية وسوسته لع فى الجنة وهو ممنوع من وروده ووسوسته لادم وهو معصوم وينحل الاشكال بما ذكرناه من عدم تميز السعادة والشقاوة قبل الهبوط فافهم .

ويظهر منه ان عصيان آدم لم يكن بالعصيان المنافى لعصمته (ع) وانما هو عصيان جبلى ذاتى وهو اختياره الهبوط الى الدنيا وهو ترك عالم النور والطهارة واختيار الظلمة والكدورة واليه يلمح قوله سبحانه فتكونا من الظالمين وهذا معنى قوله سبحانه وعصى آدم ربه فغوى الاية والدليل عليه قوله سبحانه بعده ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى

الايه و قد قال سبحانه **و الله لا يهدى القوم الظالمين و لو كانت** معصيته (ع) معصية فسق لكانت جنته دار اختيار فكانت من دار المادة والظلمة فكانت فى الارض دون السماء على ماسيجىء .

وقوله سبحانه قلنا اهبطوا منها الى قوله ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين اه سياق الكلام يعطى ان الهبوط انما كان من غير الارض وهو السماء الى الارض وهو ظاهر قوله فى موضع آخر **فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون** الاية و يدل عليه قول على (ع) فى احتجاجه على الشامى حين سئله عن اكرم واد على وجه الارض فقال (ع) له واد يقال له سرانديب سقط فيه آدم من السماء .

وفى النهج فى خطبة له (ع) يصف فيها قصة آدم (ع) ثم بسط الله سبحانه له فى توبته و لقيه كلمة رحمته و وعده المرد الى جنته فاهبطه الى دار البلية وتناسل الذرية الخطبة .

يشير (ع) بقوله ووعده اه الى قوله سبحانه فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع الخ وقوله ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى الايه .

ومن الممكن ان يكون قوله سبحانه قلنا اهبطوا منها جميعا الخ تلميحا الى ان ذرية آدم مشاركون مع ابيهم فى الخروج عن الجنة بعد دخولها .

ويؤيد ذلك بقوله تعالى فاما ياتينكم منى اه فان ابليس يائس من رحمته وقد قال فيه **قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين** اه فلا يبقى للخطاب الا آدم وزوجته و الخطاب

لهم انما هو بالتثنية دون الجمع .

و ما فى بعض الروايات ان فى الهابطين حية كان ابليس القى وسوسته اليهما فى الجنة بواسطتها لايصحح الخطاب بالجمع فان الحية وهى غير مكلفة بتكليف آدم وزوجته خارجة عن الخطاب قطعا فليس الا ان الحكم لادم وزوجته وذريتهما وقد قال سبحانه فى موضع من كتابه ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملئكة اسجدوا لادم الاية .

وكيف كان فظاهر سياق الايات ان دخولهما الجنة كان بعد تسويتهما والنفخ والسجود وهو المتحصل بل الصريح من الروايات .

و مما فى بعض الروايات و هى روايتان او ثلثة انه سبحانه نفخ فى خلق آدم يوم الجمعة وادخله الجنة بعد الظهر من يومه ذلك ومالبث فى الجنة الا ست ساعات من النهار اوسبعا حتى خرج منها .

و يظهر من الجميع ان ذلك كان حالا برزخيا له و لزوجته (ع) وتمثل لهما الشجرة المنهية فيها فاكلا منها و ظلما انفسهما و كان ذلك منهما هبوطا الى الارض وحيوة فيها وظهور سوآتهما .

وورد فى الخبر انها كانت شجرة الحنطة والسنبلة ، و ورد ايضا انها كانت تحمل جميع الاثمار كساير اشجار الجنة و ورد انها كانت شجرة علم محمد و آله وولايتهم .

وهذه التعبيرات جميعها مستقيمة واضحة عند الممارس المستانس بالتعبيرات المتشابهة التى وردت فى الشرع .

وعلى اى حال كانت شجرة كان اصلها يستوجب الهبوط الى الدنيا

وحيث ان الغاية فيها هى التحقق بعلم الاسماء كلها كما يتبين من سابق الايات وهى الولاية فلذلك عبر عنها تارة بشجرة الحنطة وتارة بشجرة تحمل كل ثمرة وتارة بشجرة علم محمد و آله .

و يمكن ان يكون شجرة الحنطة و الانسان يعيش بها فيؤل الى تمثل الحيوة الدنيا له(ع) ويؤيده قضية ظهور السوآة و بدوها وورى عنهما و الله العالم .

و يمكن ان يكون الى ما مر الاشارة بقوله سبحانه **انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا** الايه .

فقوله سبحانه انه كان ظلوما اه يحكى عن ظلم سابق و جهالة سابقة فموطن هذا العرض ان كان هو الوجود الدنيوى فالظلم فى نشأة سابقة و الامانة هى التكليف كما يفسره به بعض الروايات و انكان قبل الوجود الدنيوى فالظلم قبلها بطريق اولى والامانة هى الولاية كما يفسره بعض آخر من الروايات و كلاهما صحيحان فان الدنيا جارية على ماجرى عليه الامر قبلها من سعادة و شقاوة .

وقوله سبحانه بعده **ليعذب الله المنافقين والمنافقات و يتوب الله على المؤمنين و المؤمنات و كان الله غفورا رحيما** الايه بيان لغاية عرض الامانة وقد قسم الانسان بقسمين مؤمن و منافق اشعارا بان الكل حاملون فمنهم من حمله ظاهرا و باطنا و منهم من حمله ظاهرا لا باطنا و معلوم ان ظاهر تلك النشاة باطن فيهذه النشأة و بالعكس فالكافر فى

هذه النشأة كافر فى ظاهره لكنه معترف بجبلته و فطرته فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم و بالجملة فينطبق الايمان على قضية اخذ الميثاق و قد شرحناها بعض الشرح فى رسالة الافعال وهى الرسالة الثالثة من كتاب التوحيد .

تم الكلام ولله الحمد وعلى رسوله وآله الصلوة والسلام

ليلة الاحد لعشرين خلون من شهر صفر الخير وهى

ليلة الاربعين المقدسة من سنة واحد وستين

و ثلثماة و الف قمرية من الهجرة

ووقعت الكتابة فى قرية شاداباد من اعمال بلدة تبريز

رسالة الانسان فى الدنيا

هذه رسالة الانسان فى الدنيا وهى الرسالة الثانية
من كتاب الانسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلوة و السلام على اوليائه المقربين سيما محمد و آله الطاهرين .

هذه رسالة الانسان فى الدنيا نضع فيه اجمال القول فى مايصير اليه حال الانسان فى وروده فى دار الحيوة الدنيا بعد ما كان عليه قبل الدنيا مما عرفنا ملخصه فى رسالة الانسان قبل الدنيا والله سبحانه هو المستعان.

فصل ١

اعلم ان المعانى التى عندنا و هى صور علومنا الذهنية على قسمين :

احدهما المعانى التى تقع على الموجودات الخارجية فى نفسها مطابقة بها ومعها بحيث انها فى نفسها كذلك سواء انتزعنا منها تلك المعانى وتعقلناها واوقعنا عليها هذه المعانى اولا وذلك كمعنى الارض والسماء و الكواكب و الانسان فان مطابقات هذه المعانى موجودة فى الخارج

فى نفسها سواء انتزعنا منها هذه المعانى و تعقلناها فى اذهاننا و اوقعنا المعانى المنتزعة عليها اولا وهذه المعانى هى التى نسميها بالحقايق .

وثانيهما المعانى التى نوقعها على الامور الخارجية لكنها بحيث لواغمضنا و قطعنا النظر عن التعقل و التصور لم يكن لها فى الخارج تحقق ولالها وقوع وذلك كمعنى الملك مثلا فانه معنى به يتمكن المالك من انحاء التصرفات فى العين المملوك من غير ان يزاحمه فيها احد من نوعه وكمعنى الرئاسة فانها معنى بها يتمكن الانسان الرئيس من ادارة الامور فى حوزة رياسته وجلب طاعة مرئوسيه لكنا اذا تأملنا فى مورد هذين المعنيين لم نجد هناك فى الخارج الا انسانا و عينا خارجية مثلا ولم يكن لولا تعقلنا وتصورنا فى الخارج عين و لااثر من معنى الملك والمالك والمملوك والرئاسة والرئيس و المرئوس و لذلك نرى فيهذا القسم من المعانى من التغير والتبدل والاختلاف بحسب اختلاف انظار العقلاء مالا يتحقق ذلك فى قسم الحقايق البتة فترى امة من الناس تعقد على ملكية شىء لاتعقد عليها آخرون ويذعن برئاسة انسان لايذعن بها فيه آخرون والحقايق لايمكن فيها ذلك فالانسان انسان عندالكل ودائما وسواء تعقلوا معنى انه انسان اولم يتعقلوا ذلك .

وهذه المعانى غير الحقايق حيث انها ليست فى الخارج حقيقة ففى الذهن لكنها ليست متحققة فى الذهن بايجاده و اختلافه اياها من غير استعانة بالخارج فان الذهن يوقعها على الخارج بتوهمها انها فى الخارج ووقوعها على الامور الخارجية على وتيرة واحدة من غير اختلاف

وتغير من هذه الحيثية فالكلام و هو الصوت المؤلف الدال على معنى بالوضع كلام ولايصدق عليه الملك مثلا والرئاسة مثلا ولاغيرها ولو كانت بايجاد من الذهن من غير ارتباط و استعانة من الخارج لكانت اما غير صادقة على الخارج اصلا واما واقعة على جميع ما فى الخارج لاستواء النسبة مع عدم الرابطة .

فثبت ان انتزاع الذهن اياها انما هو بالاستعانة من الخارج اى من المعانى الحقيقية التى عند الذهن و حيث ان هذا الارتباط ليس بالحقيقى لعدم تحققها فى الخارج فهو وهمى بتوهم الذهن انها هى المعانى الحقيقية وهى اعطاء حد الامور الخارجية لها فهذه المعانى تتحقق باعطاء الذهن حد الامور الحقيقية لما ليس لها و وضعها فيما ليست فيه فهى معان سرابية وهميه مثلها بين المعانى مثل السراب بين الحقايق والاعيان و هذا القسم من المعانى هى التى نسميها بالاعتباريات و الوهميات و القسم الاول خارجية حقيقية و هذا القسم الثانى ذهنية وهمية غير حقيقية هذا .

ثم انا اذا اخذنا نتامل الموجودات الخارجية الحقيقية و ركزنا التأمل فى كل واحد واحد منها بالاخذ بمجموع دائرة وجوده من حين يظهر فى الوجود ثم يديم بقائه و حيوته المختصة به حتى ينتهى الى البطلان والعدم ورددنا كل امر يرتبط به من حيث هو مرتبط الى داخل محيط هذه الدائرة المفروضة بحيث لايشذ منه شىء منها ولايدخله شىء غيرها وجدنا هذا المجموع يسوى فى الوجود امرا واحدا حقيقيا وموجودا

متفرداكل جزء من اجزاء المجموع المفروض يرتبط بالاخرين بروابط خاصة بها قضية للوحدة الحقيقية الموجودة وهذا لاشك فيها ولاريب .

ثم اذا حللنا هذا الموجود الواحد على سعة دائرة وجوده وجدناه على كثرة اجزائه وجهاته ينحل الى امر ثابت فى نفسه كالاصل و امور أخر تدور عليه و تقوم به كالفروع تتفرع على الاصل و هذا الاصل هو الذى نسميه بالذات و هذه الفروع هى التى نسميها بالعوارض و اللواحق و نحو ذلك وهذا معنى سار فى كل موجود فى وعاء الوجود مثال ذلك الانسان فان فيك امرا تحكى عنه بلفظ انا وكل معنى غيره مرتبط به ومتفرع على هذا الذات المحكى عنه بانا هذا وهذا المجموع المؤلف من الذات والعوارض نسميه بالنظام الجزئى فى الموجود الجزئى و المجموع المؤلف من جميع هذه النظامات الجزئية التى فى ظرف الوجود نسميه بنظام الكل .

ثم نقول ان لكل موجود حقيقى نظاما حقيقيا خارجيا ذو اجزاء حقيقية فذاته من حين يظهر فى الوجود يصحب معه شيئا من عوارضه اللازمة و الغير اللازمة ثم يرد عليه سلسلة عوارضه واحدا بعد واحد ولايزال يستكمل بها حتى يتم ذاته فى عوارضه تماما وكمالا ان لم يعقه عائق فينتهى به الوجود المختص به و هو حيوته فيبطل وينعدم ببلوغه اجله فهو بحسب التمثيل كالشمس عند الحس تطلع من افق ثم تحاذى نقطة بعد نقطة وتجرى حتى تغرب فى افق آخر .

و جملة الامر فى هذه النظامات ان لحوق العوارض بالذات

باقتضاءٍ ما من الذات لها بمعنى ان الذات لووضع وحده من غيرمانع تبعه عوارضه بارتباط معها فى الذات وهذه كلها اصول كلية عامة بديهية او قريبة من البداهة .

ثم ان هذاالاقتضاء من الذات لعوارضه مقرونة فى الانسان بالعلم فهذا النوع يميز الملائم عن غير الملائم بالعلم و الادراك ثم يتحرك وينحو نحو الملائم ويهرب عن المنافر المنافى وبعض الانواع الاخر من الحيوان ايضا حاله حال الانسان و لسنا نعلم هل حال كل نوع من الموجودات الجسمانية حال الانسان لعدم وفاء الحس والتجارب وان قام بعض البراهين فى العلم الالهى على ان العلم سارفى جميع الموجودات.

وبالجملة حيث كان تميز الملائم عن غيره بالعلم والذات مقتض للملائم ومتابٌ عن غير الملائم والحركة الى الملائم عن ارادة وعلم والحركة عن غير الملائم عن ارادة وعلم تحقق هناك بالضرورة بالنسبة الى الملائم صورة علمية ذهنية مخصوصة و بالنسبة الى غير الملائم صورة اخرى مخصوصة وهما صورة اقتضاء الذات لامر وصورة تابيّها عن امر فللاقتضاء صورة وهى وجوب الفعل فى قولنا يجب ان يفعل كذا انتزعتها النفس عن نسبة الضرورة فى القضايا الحقيقية الخارجية ولعدم الاقتضاء صورة و هى حرمة الفعل او وجوب عدمها فى قولنا يحرم او يجب ان لايفعل كذا انتزعتها النفس عن نسبة الامتناع فى القضايا الحقيقية الخارجية وللمقتضى بالبناء للمفعول صورة ولعدم المقتضى المتابى عنه بالبناء للمفعول صورة اخرى و الظاهر ان النفس ينتزعها فيهما من نسبة

بعض اجزاء الشخص بالنسبة اليه او شخصه بالنسبة الى شخصه و من نسبة عدم شخصه او عدم بعض اجزاء شخصه بالنسبة الى شخصه وهذا هوالذى يوجب الحركة اليه او الهرب منه فافهم .

وهذا المقدار من الاعتبار كالمادة الاولى بالنسبة الى الاعتبارات التالية قاطبة ويسرى هذا الحكم ويتكثر اقسام الاعتبار و يختلف بتكثر حوائج الانسان واستقباله النواقص التى تصادف ذاته ويمكنك التحقق بما ذكرنا و اختبار الحال فى ذلك بالتدبر فى حال الطفل الانسانى وتدرجه فى الحيوة وكذلك باختبار حال بعض الحيوان مما الاجتماع فى نوعه محدود ساذج والتميز فى اوهامه سهل يسير .

ثم ان الانسان الفرد لايتم له وحده جميع كمالاته الملائمة لذاته لكونه فى جميع جهات ذاته محتاجا الى التكامل و تفنن احتياجاته الحيوية مع اختلاف كل واحد من كمالاته بمالايحصى من الافات ولذلك فهو بالفطرة مضطر الى الاجتماع والتعاون والتمدن مع امثاله والحيوة فيهم حتى يقوم كل فرد بجهة اوجهات معدودة من خصوصيات كمالاتهم بما يسعه طاقته ويعيشوا بنحو الاشتراك وهيهنا وقعت الحاجة الى التفهيم والتفهم فابتدء ذلك بالاشارة ثم كمل بالصوت ثم تمم ذلك بتمييز الاصوات المختلفة للمقاصد المختلفة .

و الدليل عليه ما نشاهده فى الحيوان العجم فان فيها دلالة على المقاصد بالاصوات و تعدادها كثرة وقلة بالنسبة الى اجتماعاتها كصوت الزاغ وصوت السفاد وصوت التربية وصوت الاشفاق و غير ذلك مما

بينها وهذا الامر يكتمل ثم يكتمل حتى يصير اللفظ وجودا لفظيا للمعنى لايلتفت عند استماعه الا الى المعنى ويسرى الحسن والقبح من احدهما الى الاخر .

ثم ان اشتراك المساعى فى الحيوة واختصاص كل فرد بما يهيؤه يوجب اعتبار الملك فى المختصات و اصله الاختصاص وكذا اعتبار الزوجية و احتياج الكل الى مافى ايدى آخرين يوجب اعتبار التبديل فى الملك والمعاملات المتنوعة من البيع و الشرى و الاجارة و غيرها وحفظ النسبة بين الاشياء القابلة للتبديل من حيث القلة والكثرة والابتذال والعزة وغير ذلك يوجب اعتبار الفلوس و الدينار وهو شىء يحتفظ به نسبة الاشياء القابلة للتبديل بعضها مع بعض .

ثم ان هذه التقلبات الغير المحصورة لايخ من وقايع جزئية معتدلة واخرى يقع فيها الظلم والتعدى والاجحاف فالافراد فى اخلاقها مختلفة والطبايع الى التعدى وتخصيص المنافع بنفسها ومزاحمة غيرها مجبولة وحين اذذاك وقع الاحتياج الى قوانين يحفظ بها الاعتدال فى الاجتماع والى من يحفظ هذه القوانين والى من يعتضد به لذلك فينشعب اذ ذاك اعتبار الرياسة والرئيس والمرئوس والقانون وغير ذلك .

ويتفرع على ذلك اعتبارات آخر ولايزال يتبع بعضها بعضا حتى ينتهى الى غايات بعيدة طوينا الكلام عن شرحها لعدم وفاء المقام بذلك وقد فصلنا القول فى انواعها واقسامها فى كتاب الاعتبارات هذا .

و بالجملة فهذه الاعتبارات لاتزال تتكثر بكثرة مسيس الحاجة

حتى تنفذ وتسرى فى جميع جزئيات الامور المربوطة بالانسان الاجتماعى وكلياتها ويتلون الجميع بهذه الالوان الوهمية وتتلبس بهذه الملابس الخيالية بحيث ان الانسان الذى يتقلب بينها بواسطة الادراك و يقصدها ويتركها ويحبها ويكرهها ويرغب فيها وينفر عنها ويرجوها ويخاف منها ويشتاقها ويعافها ويلتذبها ويتالم منها ويختارها ويتركها بالحسن والقبح والوجوب والحرمة والنفع والضر والخير والشر بواسطة العلم والارادة لا يشهد منها الا هذه المعانى السرابية و لا يحس منها الا بهذه الوجوه فحيوة الانسان و هى حيوة اجتماعية مربوطة بهذه الاسباب محدودة بهذه الجهات متقلبة فيهذه العرصات لو وقعت حينما فى خارجها كالحيتان خارج المياه بطلت وخمدت .

و انت اذا اجلت النظر و ادرت الفكر فى بعض الموجودات و نظامها الطبيعى كالمركبات النباتية مثلا رايت فرجار حيوتها فى ادامة بقائها يدور على التغذية والنمو و توليد المثل و رايت ذاتها يفعل هذه الافعال باقتضاء من نفسه من غير استعانة بالخارج عنه و يتمم و يستكمل هذه الجهات بافعال وانفعالات ذاتية طبيعية بجذب ودفع ويديم بها امره حتى ينتهى الى البطلان ونظامه نظام طبيعى غير متوسط فى جريانه غيره واذا رجعت الى الانسان وجدت هذا النظام الطبيعى منه محفوفا بمعان ليس لها وجود فى الخارج وهمية باطلة لا يحس الانسان الا بها ولا يماس الامور الطبيعية الا من وراء حجابها فالانسان لا يريد ولا يروم فى دائرة حيوته الا اياها ولا ينسج الا بمنوالها لكن الواقع من الامر حين ما يقع هو الامور الحقيقية الخارجية .

هذا حال الانسان فى نشأة المادة والطبيعة من التعلق التام بمعان وهمية سرابية هى المتوسطة بين ذاته الخالية عن الكمالات وبين الكمالات الطارية اللاحقة بذاته.

فصل ٢

قال الله سبحانه **الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى** فاخبر سبحانه انه بعد اتمام ذات كل شىء هداه الى كماله المختص به هداية يتفرع على ذاته وهو اقتضائه الذاتى لكمالاته واياه يفصل سبحانه بقوله **الذى خلق فسوى و الذى قدر فهدى** فهو سبحانه بعد خلق الشىء و تسويته قدر هناك تقديرا و ذلك بتفصيل خصوصيات وجوده كما قال **وكل شىء فصلناه تفصيلا** واتبع هذا التقدير والتفصيل بهدايته الى الخصوصيات التى قدرها له وذلك بافاضة الاقتضاء الذاتى منه لجميع مايلزمه فى وجوده ويتم به ذاته من كمالاته وهذا هو النظام الحقيقى الذى فى كل واحد و فى المجموع من الموجودات و منها الانسان الذى هو احدها.

ثم ذكر سبحانه الانسان فقال **لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون** فاخبر انه بعد تمامية خلقه مردود الى اسفل سافلين واستثناء المؤمنين الصالحين حيث انه معقب بقوله فلهم اجر غير ممنون اه والاجر بظاهره غير متحقق فى الدنيا بعد يدل على انقطاع الاستثناء

وانهم مرفوعون بعد الرد وقد قال سبحانه من كان يريد العزة فان العزة لله جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال سبحانه وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال سبحانه يرفع الله الذين آمنوا منكم و قال سبحانه ولو شئنا لرفعناه بها و لكنه اخلد الى الارض واتبع هويه فحكم الرد شامل لنوع الانسان لايشذ عنه شاذ منهم وقد قال سبحانه ايضا قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين و عقبه تفسيرا بقوله فيها تحيون و فيها تموتون و منها تخرجون و قال انما هذه الحيوة الدنيا متاع فبين ان الذى رد اليه الانسان هو الحيوة الدنيا وهو اسفل السافلين ثم وصف الحيوة الدنيا فقال سبحانه انما الحيوة الدنيا لعب و لهو و اللعب هو الفعل الذى لاغاية له الا الخيال و اللهو هو مايشغلك بنفسه عن غيره فاشار الى ان هذه الحيوة و هى تعلق النفس بالبدن و توسيطه اياه فى طريق كمالاته شاغلة له بنفسه عن غيره وذلك لان ذلك يوجب ان يتوهم الروح انها عين البدن لاغير وح ينقطع عن غير عالم الاجسام و ينسى جميع ماكان عليه من الجمال والجلال والبهاء والسناء والنور والحبور والسرور قبل نشأة البدن المادية ولاينذكر ماخلفه من مقامات القرب و مراتب الزلفى والرفقة الطاهرين وفضاء الانس والقدس فيتقلب فى امد حيوته اللعب لا يستقبل شيئا ولا يواجهه شىء من محبوب او محذور الا لغاية خيالية وامنية وهمية اذا بلغها لم يجد شيئا موجودا قال سبحانه

وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هبائا منثورا والعمل مايعمله الانسان من شيء و قال سبحانه والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان مائا حتى اذا جائه لم يجده شيئا و وجدالله عنده فوفيه حسابه فبين ان اعمالهم و غاياتهم منها كالسراب بالقاع يقصده الظمان فلما بلغه لم يجد ماقصده ووجد مالم يقصده و ينكشف ح ان ما قصده كان غير مقصوده والله غالب على امره وهوالذى يشير اليه سبحانه بقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا و انا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا فان الزينة هى الشيء الجميل المحبوب بنفسه وبذاته يصحبه شيء آخر ليكسب منه الحسن اى يقع فى القلب مع وقوع الزينة فيجلب الرغبة فتكون هى المقصودة والمتزين بها هوالواقع فجعل ماعلى الارض زينة لها ليقصدها القاصدون ويبلغوا الارض بقصدهم و هى غير مقصودة و قال سبحانه انما الحيوة الدنيا لعب و لهو وزينة و تفاخر بينكم و تكاثر فى الاموال و الاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما الاية .

فبين انها مؤلفة من امور خيالية تحتها امور حقيقية فالانسان بعد كمال خلقته يبدء بتكميل جهات الحيوة الدنيا بتحصيل مقصد بعد آخر وهويريد تكميل مايظنه كمالا من اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر وليست الامور وهمية فاذا تممها وكملها بداله بطلانه وفنائه عند موته ووداعه للحيوة الدنيا .

ومن الممكن ان يكون قوله سبحانه فى ذيل الاية و فى الاخرة عذاب شديد و مغفرة من الله ورضوان الايه معطوفا على قوله فى صدر الاية لعب اه فيكون خبرا بعد خبر لقوله انما الحيوة الخ و يؤيد ذلك بعض التأييد الاية التالية لهذه الاية .(١)

وبالجملة فيتبين بذلك ان الحيوة الدنيا بجهاته المقصودة من اللعب واللهو و الزينة و غيرذلك امر موهوم و سراب خيالى و هى بعينها فى الحقيقة و باطن الامر عذاب و مغفرة و رضوان يظهر ذلك بظهور ان جهات الحيوة الدنيوية كانت باطلة موهومة كالحطام للنبات وهو قوله سبحانه **ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون و لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة و تركتم ماخولناكم وراء ظهوركم ومانرى معكم شفعائكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ماكنتم تزعمون** فالايتان كماترى فى الموت وماينفصل الانسان عن حيوته الدنيا فيقول سبحانه فيها ان الانسان سيقبل راجعا اليه سبحانه فردا كما خلق اول مرة ويترك الاعضاء والقوى

١- و قد نقل عن شيخنا البهائى رضوان الله عليه فى معنى الاية ان هذه الامور مترتبة بحسب مدارج عمر الانسان فهو يشتغل اولا باللعب وذلك فى اوان الصبى ثم باللهو و هو فى اوان البلوغ ثم بالزينة و هو عند كمال الشباب ثم بالتفاخر وهو عند منتصف العمر ثم بالتكاثر فى الاموال والاولاد وهو فى اوان الشيخوخة فهى مقسومة على مدارج عمر الانسان منه .

و الاسباب التى كان يعتقدها لنفسه اركانا يعتمد عليها و اعضادا يتقوى بها واسبابا يتوصل بها ويطمئن اليها وسيتقطع مابين الانسان وبينها اى الروابط التى كان الانسان يسكن اليها ويباهى بها من اعتباراته الوهمية وحينئذ ذاك ضلال الكل وزوال الجميع و فقدانها و مشاهدته عيانا انه كان مغرورا بذلك كله وقد قال سبحانه **فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور** و قال سبحانه **انما هذه الحيوة الدنيا متاع و ان الاخرة هى دار القرار** و قال سبحانه **ومالحيوة الدنيا الا متاع الغرور** والمتاع مايتمتع وينتفع به لغيره فالحيوة الدنيا انما يتوصل به لغرور الانسان بها ليلهى بها عن غيرها وهى كماله الاقصى فى مبدئه ومعاده وقال سبحانه **انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذااخذت الارض زخرفها و ازينت و ظن اهلها انهم قادرون عليها اتيها امرنا ليلا اونهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس.**

و الاخبار فى المعانى السابقة كثيرة جدا نقتصر منها بجملة من كلام امير المؤمنين على (ع) قال (ع) فى بعض خطبه على مافى النهج عباد الله ان الدهر يجرى بالباقين كجريه بالماضين الى ان قال (ع) فمن شغل نفسه بغير نفسه تحير فى الظلمات وارتبك فى الهلكات ومدت به شياطينه فى طغيانه وزينت له سيىء اعماله فالجنة غاية السابقين و النار غاية المفرطين الى ان قال (ع) وكان الصيحة قد اتتكم و الساعة قد غشيتكم و برزتم لفصل القضاء قد زاحت عنكم الاباطيل و اضمحلت

عنكم العلل و استحقت بكم الحقايق الخطبة .

وقوله (ع) فمن شغل الخ اشارة الى قوله تعالى **عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم** وقوله تعالى **و الذين كذبوا بآياتنا صم و بكم فى الظلمات من يشاءالله يضلله و من يشاء يجعله على صراط مستقيم** وقوله **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهوله قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل و يحسبون انهم مهتدون** الايات .

فالانسان لاحيوة له فى غير ظرف نفسه و لا معاش له دون وعائه وجوّه فاذا نسى نفسه ووقع فى غيرها وقع فى الضلال البحت و البوار وبطلت اعمال قواه فلا تعمل منه سمع ولالسان ولابصر فهوفى الظلمات ليس بخارج منها وصار كل ماقصده سرابا وكل ماصنعه بائرا هالكا فاذا برز الى اليوم الحق برز صفرااليد خفيف العمل وقد زاحت عنه اباطيله واستحقت حقايقه والله ولى الامر كله .

والكلام ذوشجون وايثارالاختصار مانع عن الاطناب والتعرض بازيد من التلويح والاشارة على ماهو الداب فى هذه الرسالة واخواتها من الرسائل السابقة فالحق سبحانه خيردليل وهوالهادى الى سواءالسبيل

تمت والحمدلله والصلوة على محمد وآله رابع الربيع

الاول من سنة واحد وستين و ثلثماة و الف

هجريةقمرية على هاجرهاالتحية

ووقعت الكتابة فى قرية شادآباد من اعمال بلدة تبريز

رسالة الانسان بعد الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلوة والسلام على اوليائه المقربين سيما محمد وآله الطاهرين .

هذه رسالة فى المعاد نشرح فيها بعون الله سبحانه حال الانسان بعد حيوته الدنيا على مايقوم عليه البرهان ويستخرج من الكتاب ويكشف عنه السنة غير انا آثرنا فيها الاختصار و الاقتصار على كليات المعانى فان المسلك الذى نستعمله من تفسير الاية بالاية والرواية بالرواية بعيد الغور منيع الحريم ووسيع المنطقة لايتيسر استيفاء الحظ منه فى رسالة واحدة يقاس فيها النظير بالنظير و الشبيه بالشبيه و الاطراف بالنسب ويوخذ بها الجار بالجار وستقف انشاءالله العزيز على صحة قولنا هذا.

ومن الانصاف ان نعترف ان سلفنا من المفسرين وشراح الاخبار اهملوا هذا المسلك فى استنباط المعانى واستخراج المقاصد فلم يورثونا فيه ولايسيرا من خطير فالهاجم الى هذه الاهداف والغايات على صعوبة منالها و دقة مسلكها كساع الى الهيجاء بغير سلاح والله المستعان .

فصل ۱

فى الموت والاجل قال الله سبحانه ماخلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى[۱] فبين ان كل موجود من السماء و الارض و ما بينهما وجوده محدود باجل سماه سبحانه اى قدره و عينه لايتعدى وجود عن اجله كما قال سبحانه ولكل امة اجل فاذاجاء اجلهم لايستاخرون ساعة ولايستقدمون وقال سبحانه ماتسبق من امة اجلها وما يستاخرون.

والايات فيهذا المعنى كثيرة واجل الشيء هو الوقت الذى ينتهى اليه فيستقر فيه و منه اجل الدين و تسميته و بالجملة هو الظرف الذى ينتهى اليه الشيء ولذلك عبرعنه باليوم فى قوله سبحانه قل لكم ميعاد يوم لاتستاخرون عنه ساعة ولاتستقدمون ثم انه قال سبحانه هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فاخبر بان الاجل المسمى عنده وقد قال سبحانه ماعندكم ينفد وماعندالله باق فاخبر

---

۱ ـ والاية كما ترى مثل نظائرها ساكتة عن ضرب الاجل لماوراء السموات و الارض وما بينهما مما هو خارج عنها و ليس فى كلامه سبحانه مايدل على ابتداء خلق هذا النوع الاعلى فنائه و زواله بل ربما يستفاد العكس من قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدرمعلوم وقوله ماعندكم ينفد و ماعندالله باق بل نفس الايه اعنى قوله ماخلقنا السموات اه دالة على ان الحق والاجل المسمى خارجان عن هذا الحكم و هما الواسطتان. منه

بان ما هو موجود عنده حاضر لديه لايتطرقه النفاد و لا يلحقه تغير و لا يعرضه كون ولافساد فلايعتوره الزمان وطوارق الحدثان فالاجل المسمى ظرف محفوظ ثابت يثبت فيه مظروفه من غير تغير ولانفاد وقال سبحانه **انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت و ظن اهلها انهم قادرون عليها اتيها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس.**

فاخبر سبحانه بالاجل الذى لزينة الارض وانه يتحقق بالامر الالهى وكك الحيوة الدنيا فهناك امر الهى يتحقق به الاجل الدنيوى فالاجل اجلان او اجل واحد ذووجهين اجل زمانى دنيوى وامر الهى كما يومى اليه قوله سبحانه **ثم قضى اجلا و اجل مسمى عنده** فالاجل المسمى من عالم الامر و هو عنده سبحانه فلا حاجب هناك اصلا كما يفيده لفظ عند و اياه يفيد قوله سبحانه **من كان يرجو لقاءالله فان اجل الله لات** ولذلك ايضا عبر عنه بالرجوع الى الله و المصير اليه فى آيات كثيرة.

ثم ان هذا الرجوع وهو الخروج عن نشأة الدنيا و الورود فى نشأة اخرى هو الموت الذى وصفه سبحانه لامايترائى لظاهرا عيننا من بطلان الحس والحركة وزوال الحيوة وبالجملة فناءالشىء قال سبحانه **وجائت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد** فوصفه بالحق فلايكونن باطلا وعدما وقال سبحانه **كلا اذا بلغت التراقى الى ان قال و التفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق** فيوم الموت يوم

الرجوع الى الله و السوق اليه .

ويدل على مامر مارواه الصدوق وغيره عن النبى (ص) ماخلقتم للفناء بل خلقتم للبقاء وانما تنتقلون من دار الى دار .

وفى العلل عن الصادق (ع) فى حديث فهكذا الانسان خلق من شان الدنيا وشان الاخرة فاذا جمع الله بينهما صارت حيوته فى الارض لانه نزل من شأن السماء الى الدنيا فاذا فرق الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت ترد شان الاخرى الى السماء فالحيوة فى الارض و الموت فى السماء وذلك انه يفرق بين الروح و الجسد فردت الروح و النور الى القدس الاولى وترك الجسد لانه من شان الدنيا الحديث .

وفى المعانى عن الحسن بن على قال دخل على بن محمد على مريض من اصحابه وهو يبكى ويجزّع من الموت فقال له ياعبدالله تخاف من الموت لانك لاتعرفه ارايتك اذا اتسخت وتقذرت وتاذيت من كثرة القذر والوسخ عليك واصابك قروح وجرب وعلمت ان الغسل فى حمام يزيل ذلك كله اما تريد ان تدخله فتغسل ذلك عنك او تكره ان تدخله فيبقى ذلك عليك قال بلى يابن رسول الله قال (ع) فذلك الموت هو ذلك الحمام وهو آخر مايبقى عليك من تمحيص ذنوبك و تنفيتك من سيئاتك فاذا انت وردت عليه وجاورته فقد نجوت من كل غم وهم واذى ووصلت الى كل سرور وفرح فسكن ذلك الرجل ونشط واستسلم وغمض عين نفسه ومضى لسبيله .

وفى المعانى عن الجواد (ع) عن ابائه فى حديث قال و قال على

بن الحسين (ع) لما اشتد الامر بالحسين بن علي بن ابيطالب (ع) نظر اليه من كان معه فاذا هو بخلافهم لانهم كلما اشتد الامر تغيرت الوانهم وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم وكان الحسين (ع) وبعض من معه من خصائصه تشرق الوانهم و تهدى جوارحهم و تسكن نفوسهم فقال بعضهم لبعض انظروا لايبالى بالموت فقال لهم الحسين (ع) صبرا بنى الكرم فما الموت الا قنطرة يعبر بكم عن البؤس و الضراء الى الجنان الواسعة و النعيم الدائمة فايكم يكره ان ينتقل من سجن الى قصر و ما هو لاعدائكم الاكمن ينتقل من قصر الى سجن وعذاب ان ابى حدثنى عن رسول الله (ص) ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والموت جسر هؤلاء الى جنانهم وجسر هؤلاء الى جحيمهم ماكذب ولاكذبت.

و قال محمد بن على (ع) قيل لعلى بن الحسين (ع) ما الموت قال للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة وفك قيود واغلال ثقيلة والاستبدال بافخر الثياب واطيبها روائح واوطى المراكب وآنس المنازل وللكافر كخلع ثياب فاخرة والنقل من منازل انيسة و الاستبدال باوسخ الثياب واخشنها اوحش المنازل واعظم العذاب.

وقيل لمحمد بن على (ع) ماالموت قال هو النوم الذى ياتيكم كل ليلة الاانه طويل مدته لاينتبه منه الا يوم القيمة فمن راى فى نومه من اصناف الفرح ما لا يقادر قدره و من اصناف الاهوال مالا يقادر قدره فكيف حال فرح فى النوم ووجل فيه هذا هو الموت فاستعدوا له الحديث.

اقول و عده (ع) الموت من نوع النوم مستفاد من قوله سبحانه

الله يتوفى الانفس حين موتها و التى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى حيث عد الامرين جميعا توفيا ثم عبر بالامساك دون القبض .

وكك عده (ع) كما فى ساير الاحاديث الموت وصفا للروح و انه يترك به الجسد ويمضى لسبيله هو المستفاد من قوله سبحانه الله يتوفى الانفس حين موتها حيث نسب التوفى وهو اخذ الحق من المطلوب بتمامه الى الانفس كما نسبه فى قوله سبحانه وهو الذى يتوفيكم الى لفظكم و هو الامر الذى يعبر عنه الانسان بانا و قد شرحناه فى رسالة الانسان قبل الدنيا .

و بالجملة فالوارد فى النشأة الاخرى من الانسان نفسه و روحه و عليه يدل قوله سبحانه يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه والكدح هو السعى الى الشىء والانسان كادح الى ربه لانه لم يزل سائرا الى الله سبحانه منذ خلقه وقدره ولذلك عبر عن اقامته فى هذه الدار باللبث فى آيات كثيرة قال سبحانه قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين .

ثم انه سبحانه قال الله يتوفى الانفس حين موتها فنسب التوفى الى نفسه و قال سبحانه قل يتوفيكم ملك الموت الذى وكل بكم فنسبه الى ملك الموت وقال سبحانه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون فنسبه الى الملئكة الرسل و مرجع الجميع واحد لما عرفت فى محله ان الافعال كلها لله و هى مع ذلك ذو مراتب

يقوم بكل مرتبة من مراتبها طائفة من الموجودات على حسب مراتبهم في الوجود .

والاخبار ايضا شاهدة بذلك ففي التوحيد عن الصادق قال (ع) قيل لملك الموت كيف تقبض الارواح وبعضها في المغرب وبعضها في المشرق في ساعة واحدة فقال ادعوها فتجيبني قال و قال ملك الموت ان الدنيا بين يدي كالقصعة بين يدي احدكم يتناول منها ماشاء و الدنيا عندي كالدرهم في كف احدكم يقلبها كيف شاء .

وفي الفقيه عن الصادق (ع) انه سئل عن قول الله عزوجل **الله يتوفى الانفس حين موتها** و عن قول الله **قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم** و عن قول الله **الذين تتوفيهم الملئكة طيبين و الذين تتوفيهم الملئكة ظالمي انفسهم** وعن قول الله **توفته رسلنا** وعن قول الله ولوترى اذ يتوفى الذين كفروا الملئكة وقد يموت في الساعة الواحدة في جميع الافاق مالايحصيه الا الله عزوجل فكيف هذا فقال ان الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت اعوانا من الملئكة يقبضون الارواح بمنزلة صاحب الشرطة له اعوان من الانس يبعثهم في حوائجهم فتوفيهم الملئكة ويتوفاهم ملك الموت مع مايقبض هو ويتوفاه و يتوفاه الله عزوجل من ملك الموت .

وفي التوحيد عن امير المؤمنين (ع) مثله و زاد في آخره و ليس كل العلم يستطيع صاحب العلم ان يفسره لكل الناس لان منهم القوى والضعيف ولان منه مايطاق حمله ومنه مالايطاق حمله الا من يسهل الله

له حمله واعانه عليه من خاصة اوليائه وانما يكفيك ان تعلم ان الله المحيى المميت وانه يتوفى الانفس على يدى من يشاء من خلقه من ملئكة او غيرهم الحديث .

اقول قوله (ع) وغيرهم ظاهره انه سبحانه ربما توفاها على يدى غير الملائكة من خلقه فهو معنى غريب ويمكن ان يراد به بعض المقربين من الاولياء العالين درجة من الملئكة المتمكنين فى مقام الاسماء كالقابض والمميت ويمكن ان يراد به مايتوفاه سبحانه بنفسه من غير توسط الملائكة وانكان مرجع المعينين واحدا .

نقد روى فى الكافى عن الباقر (ع) كان على بن الحسين (ع) يقول انه يسخى نفسى فى سرعة الموت و القتل فيها قول الله تعالى اولم يروا انا ناتى الارض تنقصها من اطرافها و هو ذهاب العلماء و الظاهر على ماذكره بعض العلماء انه (ع) اخذ الاطراف جمع طرف بتسكين الراء بمعنى العلماء والاشراف كما ذكره فى الغريبين .

و بالجملة فكما ان حال الانفس فى القرب من الله سبحانه على مراتب حقيقية فكك المتوفى لها مختلف بحسب ذلك فمن نفس يتوفاه الله بنفسه تعالى لاتحس ولاتشعر بغيره سبحانه ومن نفس يتوفاها ملك الموت لا تشعر بمن دونه كما يشير اليه الصادق (ع) بقوله فى الرواية السابقة مع مايقبض هواه ومن نفس يتوفاها الملائكة عملة ملك الموت والمأخوذ المتوفى على كل حال هو النفس دون البدن كما مر وهو سبحانه اقرب الى النفس من نفسه وملائكته من عالم الامر وبامره يعملون والنفس ايضا

من هناك و لا حجاب فى الامر بشيء من الازمنة و الامكنة فالتوفى من باطن النفس و داخلها دون الخارج عنها و عن البدن و قد قال سبحانه اذ فرغوا فلافوت و اخذوا من مكان قريب و قال سبحانه فلولا اذا بلغت الحلقوم و انتم ح تنظرون و نحن اقرب اليه منكم و لكن لاتبصرون ثم اذكانت النفس المتوفاة و هى الانسان حقيقة لا تبطل بالموت وقد سكنت فى الدنيا و سكنت اليها و عاش فى دار الغرور و استأنست بها فاول ما ينكشف لها حين الموت بطلان مافيها و انمحاء الرسوم التى عليها وتبدل الاعمال و الغايات التى فيها بالسراب بتقطع ظواهر الاسباب قال سبحانه ولو ترى اذالظالمون فى غمرات الموت و الملئكه باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بماكنتم تقولون على الله غير الحق و كنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة و تركتم ماخولناكم وراء ظهوركم و مانرى معكم شفعاكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ماكنتم تزعمون.

فالانسان انما يختلط فيهذه الدار الدنيا بقسمين من موجوداتها و شئوناتها.

احدهما ما يزعم انه يملكه من زينة الحيوة الدنيا و زخرفها و يستعين به فى آماله وامانيه واغراضه وغاياته.

والثانى مايرتبط به مما يزعمه شفيعا لايتمكن من يلوغ المآرب الابشراكته وتأثيره من ازواج واولاد واقارب واصدقاء ومعاريف اولى

القوة و الباس فاشار سبحانه الى بطلانهما بالجملة بقوله ولقد جئتمونا فرادى اه و الى زوال القسم الاول بقوله و تركتم ماخولناكم اه و الى زوال القسم الثانى بقوله ومانرى معكم شفعائكم اه والى سبب البطلان بقوله لقد تقطع بينكم اه والى نتيجته بقوله وضل عنكم اه .

و بالجملة فيبقى ما فى الدنيا فى الدنيا وتشرع من حين الموت حيوة اخرى للانسان فاقدة لجميع ما فى الدنيا و لذلك سمى الموت بالقيمة الصغرى فعن امير المؤمنين (ع) من مات فقد قامت قيامته .

ثم ان النفس اذا فارقت الجسد فقدت صفة الاختيار و التقوى على كلا طرفى الفعل والترك وح يرتفع موضوع التكليف قال سبحانه **يوم ياتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا** وعندذلك يقع الانسان فى احد الطريقين السعادة والشقاوة ويحتم له اما السعادة او الشقاء فيتلقى اما بشرى السعادة او وعيد الشقاوة قال سبحانه **ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملئكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون** الايه و قال سبحانه **الذين تتوفاهم الملئكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** و قال سبحانه **ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون .**

وقوله كنتم توعدون مشعر بكون البشارة بعد الدنيا و هى الاخرة ومن المعلوم ان البشارة بالشىء قبل حلوله فالبشرى بالجنة قبل دخولها

و هى انما يكون بامر قطعى الوقوع فلا تتحقق فى الدنيا حتى الموت لبقاء الاختيار وامكان انتقال الانسان من احدى سبيلى السعادة والشقاوة الى الاخرى.

و من هنا ماترى انه سبحانه فى قوله **الا ان اولياءالله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون الذين آمنوا و كانوا يتقون لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة** حيث اثبت فى حق المؤمنين انهم مامونون من الخوف والحزن وان لهم البشرى فى الحيوة الدنيا اثبت قبل ذلك الولاية فى حقهم وهى انيكون سبحانه هوالذى يلى امورهم من غيردخالة اختيارهم وانيةانفسهم فى التدبير وعند ذلك يصح البشارة لعدم امكان شقاء فى حقهم ماولى امرهم الحق سبحانه ولذلك غير السياق فى وصف تقويهم فقال و كانوايتقون اه و كان حق ظاهر السياق انيقول آمنوا واتقوا اشارة الى ان ايمانهم هذا مكتسبة بالتقوى بعد ايمان سابق عليها وهذا صفاء الايمان من شائبة الشرك المعنوى بالاعتماد على غيره سبحانه فهى فى مساق قوله سبحانه **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله و آمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نورا تمشون** به و يغفر لكم و هذا هو الذى امتن سبحانه به فسماه نعمة فقال **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله و نعم الوكيل** فارجعوا الامر اليه سبحانه و سلبوا تدبير انفسهم واختيارها فقال سبحانه **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء** فنفى مس السوء عنهم بنعمة افاضها عليهم وليست الا الولاية

بتوليه سبحانه امورهم ودفعه السوء عنهم بتدبيره وكفايته لهم ووكالته عنهم و مثله قوله سبحانه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة و يضل الله الظالمين و يفعل الله ما يشاء الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا فسمى ذلك نعمة ثم ذكر سبحانه انه سيلحق المطيعين باوليائه المنعمين بهذه النعمة فقال سبحانه و من يطع الله و الرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فان المطيع من حيث ارادته لا ارادة له غير ارادة المطاع فالمطاع هو القائم مقام نفس المطيع فى ارادتها وافعالها فالمطاع وليه وكل من كان لانفس له الا نفس المطاع فهو ايضا ولى للمطيع اذليس هناك الا المطاع ولذلك قرر سبحانه بعض اوليائه المقربين وليالاخرين قال سبحانه انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكوة وهم راكعون و الاية نازلة فى امير المؤمنين على (ع) و ليس المراد بالولاية فى الاية هو المحبة قطعا لمكان انما وكون المورد مورد بيان الواقع لمكان قوله وليكم الله اه بخلاف قوله سبحانه و من يتول الله و رسوله و الذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون و قوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض .

وبالجملة فعند ذلك يتضح وجه الحاقه سبحانه المطيعين باوليائهم فهو سبحانه ولى الجميع وبعضهم وهم الاقربون اليه اولياء لبعض آخر ممن دونهم و جميعهم لاخوف عليهم و لا هم يحزنون يبشرون بالجنة

و الرفقه الصالحة عند الموت .

ويدل ايضا على هذه المعانى اخبار كثيرة ففى الكافى عن سدير الصيرفى قال قلت لابى عبدالله (ع) جعلت فداك يابن رسول‌الله (ع) هل يكره المؤمن على قبض روحه قال لا والله اذا اتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت يا ولى الله لاتجزع فوالذى بعث محمداً لانا ابربك واشفق عليك من والد رحيم افتح عينيك فانظر قال ويمثل له رسول‌الله واميرالمؤمنين والحسن و الحسين و الائمة من ذريتهم فقال له هذا رسول‌الله واميرالمؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والائمة رفقائك قال فيفتح عينيه فينظر فينادى روحه مناد من قبل رب العزة فيقول يا ايتها النفس المطمئنة الى محمد و اهل بيته ارجعى الى ربك راضية بالولاية مرضية بالثواب فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى فمامن شىء احب اليه من استلال روحه واللحوق بالمنادى .

وروى العياشى فى تفسيره عن عبدالرحيم الاقصر قال ابوجعفر (ع) انما احدكم حين يبلغ نفسه هيهنا فينزل عليه ملك الموت فيقول اما ماكنت ترجوه فقد اعطيته و اما ماكنت تخافه فقد امنت منه و يفتح له باب الى منزله من الجنة ويقال له انظر الى مسكنك فى الجنة وانظر الى رسول‌الله و على والحسن والحسين رفقائك و هو قول‌الله الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة .

و روى المفيد فى مجالسه عن الاصبغ بن نباتة حديث الحارث الهمدانى مع اميرالمؤمنين (ع) وفيه قال (ع) وابشرك ياحارث لتعرفنى

عندالممات وعند الصراط وعند الحوض و عند المقاسمة قال الحارث وماالمقاسمة قال مقاسمة النار اقاسمها قسمة صحيحة اقول هذا وليى فاتركيه و هذا عدوّى فخذيه الحديث و هو من مشاهير الاخبار رواه جمع من الرواة وصدقه بعض الأئمة بعده (ع).

وفى غيبة النعمانى عن اميرالمؤمنين فى حديث اما انه لايموت عبد يحبنى فتخرج نفسه حتى يرانى حيث يحب ولايموت عبد يبغضنى فتخرج نفسه حتى يرانى حيث يكره الحديث.

وفى الكافى عن الصادق (ع) قال مامن احد يحضره الموت الا وكل به ابليس من شياطينه من يامره بالكفر ويشككه فى دينه حتى تخرج نفسه فمن كان مؤمنا لم يقدر عليه فاذا حضرتم موتاكم فلقنوهم شهادة ان لااله الاالله وان محمداً رسول الله حتى يموت الحديث ومعناه مستفاد من قوله سبحانه **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة و يضل الله الظالمين** وقوله سبحانه **كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئى منك انى اخاف الله رب العالمين** فظاهر الاية ان قوله اكفر وقوله انى برئى من جنس واحد ووقت واحد وليس من لسان الحال فى شىء وهناك خطاب فافهم.

وفى تفسير العياشى عن ابى عبدالله (ع) قال ان الشيطان لياتى الرجل من اوليائنا عند موته عن يمينه وعن يساره ليصده عما هو عليه فيابى الله ذلك وكذلك قال الله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة.

اقول والروايات عن ائمة الهدى فى هذه المعانى متظافرة متكاثرة رويها جم غفير من الرواة هذا كله مايفيده الكتاب والسنة والبرهان يفيده ايضا مما يدل على تجرد النفس وعدم انعدامها وبطلانها بانقطاع علاقتها عن البدن و سيجىء اشارة اليه فى الفصل التالى لهذا الفصل انشاءالله .

فصل ٢

فى البرزخ قدبين فى محله ان بين عالم الاجسام و الجسمانيات وبين اسمائه سبحانه عالمين عالم العقل وعالم المثال .

وان كل واحد من الموجودات يرجع بالضرورة الى مابدء منه .

وان العوالم آخذا من الجسمانيات الى ان ينتهى الى المبدء الاول ومبدع الكل مترتبة فى الكمال والنقص متطابقة فى الوجود ومعنى ذلك تنزل العالى الى مرتبة السافل وظهوره كالمرآة تنعكس فيه صور مايقابلها من الاضواء و الالوان و المقادير فتظهر منها على قدر ماتقبله و تطيقه و تتكيف بما فى المرآة من الكيفيات تماما ونقصا .

وان عالم المثال كالبرزخ بين العقل المجرد والموجودات المادية فهو موجود مجرد عن المادة غير مجرد عن لوازمها من المقادير والاشكال والاعراض الفعلية وبهذه المقدمات يتبين تفصيل حال الانسان فى انتقاله من الدنيا الى مابعد الموت هذا .

وينبغى لك ان تتثبت فى تصور معنى المادة وانها جوهر شانها قبول الاثار الجسمية و تحققها فى الاجسام مصحح الانفعالات التى يرد عليها

و ليست بجسم و لا محسوس و اياك ان تتصور انها الجسمية التى فى الموجودات الجسمانية فهذا هو الذى عزب عن جمع من علماء الظواهر فتلقوا ماذكره المتالهون من اصحاب البرهان على غير وجهه وحسبوا ان قولنا ان البرزخ لامادة له مثلا او ان لذايذه خيالية اوهناك لذة عقلية معناها انها وهمية سرابية غير موجودة فى الخارج الا فى الوهم والتصور وذلك انحراف عن المقصود غلط من جهت المعنى .

و كيف كان فحال البرزخ ماعرفته و الكتاب و السنة يدلان على ذلك لكن الاخبار حيث اشتملت على جل الايات وضعنا الكلام فيها و تعرضنا للايات فى ضمنها .

ففى تفسير النعمانى باسناده عن امير المؤمنين (ع) قال واما الرد على من انكر الثواب والعقاب فى الدنيا بعد الموت قبل القيمة نقول الله عزوجل يوم يات لاتكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى و سعيد فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير و شهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك ان ربك فعال لمايريد واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك يعنى السموات والارض قبل القيمة فاذا كانت القيمة بدلت السموات والارض .

ومثل قوله تعالى و من ورائهم برزخ الى يوم يبعثون و هو امر بين امرين وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والاخرة .

و مثله قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا و عشيا و يوم تقوم الساعة والغدو والعشى لايكونان فى القيمة التى هى دار الخلود وانما

يكونان فى الدنيا وقال الله تعالى فى اهل الجنة ولهم رزقهم فيها بكرة و عشيا والبكرة والعشى انما يكونان من الليل والنهار فى جنة الحيوة قبل يوم القيمة قال الله لايرون فيها شمسا ولازمهريرا و مثله قوله و لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله الحديث .

اقول قوله سبحانه النار يعرضون عليها اريد به نار الاخرة و اما المعرض عليها فهو فى البرزخ ويدل على ذلك ذيل الاية وهو قوله سبحانه **ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب** و سيجئى نظير هذا التعبير فى الروايات انه يفتح له الى قبره باب من الحميم يدخل عليه منه اللهب والشرر فهناك نار مثال نار وعذاب مثال عذاب .

وقوله سبحانه فاما الذين شقوا ففى النار اريد به نار البرزخ وبما ذكر يستصح الجمع بين الكون فى النار و المعرض عليها و مثله قوله سبحانه **اذ الاغلال فى اعناقهم و السلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون** فالسحب فى الحميم و هو الماء الحار مقدمة للاسجار فى النار وهو فى القيمة وهذه المعانى مروية فى تفسير العياشى ايضا .

وروى القمى والعياشى فى تفسيريهما والكلينى فى الكافى والمفيد فى الامالى باسانيدهم عن سويد بن غفلة عن امير المؤمنين (ع) قال ان ابن آدم اذا كان فى آخر يوم من الدنيا واول يوم من الاخرة مثل له اهله وماله وولده وعمله فيلتفت الى ماله فيقول والله انى كنت عليك لحريصا

شحيحا فمالى عندك فيقول خذمنى كفنك ثم يلتفت الى ولده فيقول والله انى كنت لكم لمحبا وانى كنت عليكم لمحاميا فماذا لى عندكم فيقولون نرديك الى حفرتك و نواريك فيها ثم يلتفت الى عمله فيقول والله انى كنت فيك لزاهدا و انك كنت على لثقيلا فماذا عندك فيقول انا قرينك فى قبرك ويوم حشرك حتى اعرض انا وانت على ربك فان كان لله وليا اتاه اطيب الناس ريحا واحسنهم منظرا وازينهم رياشا فيقول ابشر بروح من الله وريحان وجنة نعيم قد قدمت خير مقدم فيقول من انت فيقول انا عملك الصالح ارتحل من الدنيا الى الجنة و انه ليعرف غاسله و يناشد حامله ان يعجله فاذا دخل قبره اتاه ملكان وهما فتانا القبر يجران اشعارهما و يبحثان الارض بانيابهما و اصواتهما كالرعد القاصف و ابصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له من ربك ومن نبيك ومادينك فيقول الله ربى ومحمد نبيى والاسلام دينى فيقولان له ثبتك الله فيما تحب وترضى وهو قول الله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا الايه فيفسحان له فى قبره مد بصره ويفتحان له بابا الى الجنة ويقولان نم قرير العين نوم الشاب الناعم وهو قوله اصحاب الجنة خير مستقرا و احسن مقيلا واذا كان لربه عدوا فانه ياتيه اقبح خلق الله رياشا وانتنه ريحا فيقول له ابشر بنزل من حميم وتصلية جحيم وانه ليعرف غاسله و يناشد حامله ان يحبسه فاذا دخل قبره اتياه ممتحنا القبر فالقيا عنه اكفانه ثم قالا له من ربك ومن نبيك ومادينك فيقول لا ادرى فيقولان له مادريت ولا هديت فيضربانه بمرزبة ضربة ما خلق الله دابة الا و تذعر بها ماخلا الثقلان ثم

يفتحان له بابا الى النار ثم يقولان له نم بشر حال فهو من الضيق مثل مافيه القنا من الزج حتى ان دماغه يخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيات الارض وعقاربها وهو امها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره وانه ليتمنى قيام الساعة مما هوفيه من الشر الخبر .

اقول قوله (ع) وهو قول الله يثبت الله الخ يشير الى قوله سبحانه **الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت و فرعها فى السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها و يضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة و يضل الله الظالمين و يفعل الله** ما يشاء .

فقد بين سبحانه ان من الكلمات ماهى ثابته الاصل قارة تفيد آثارها فى جميع الاحوال و وصفها بالطيب و قد ذكر فى موضع آخر انها تصعد اليه و يرفعها العمل الصالح حتى تصل الى السماء فقال سبحانه **من كان يريد العزة فلله العزة جميعا** ، ثم بين الطريق اليها فقال **اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ، ثم بين سبحانه ان هذه الكلمة الطيبة الثابتة الاصل يثبت الذين آمنوا به فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة والقول يتصف بالثبات وافادته باعتبار الاعتقاد والنية ففى الاخرة مورد يثبت فيه الانسان اويضل بالقول الثابت وعدمه و اذ ليس هناك اختيار و استواء لطرفى السعادة و الشقاوة فثباته و تثبيته انما هو

بالسؤال وهو واضح عند التدبر وقد اخبر سبحانه ان هذاالقول الثابت والشجرة الطيبة تؤتى اكلها ومنافعها كل حين باذن ربها فالاية تدل على وقوع الانتفاع به فى جميع الاحوال وكل المواقف ففى الجميع سؤال وفى الاية الشريفة مزايا معان آخر .

و يمكن ان يستشم من تمسكه (ع) بالاية انه (ع) جعل البرزخ من تتمة الحيوة الدنيا وهو كك بوجه .

وقوله (ع) وهو قوله اصحاب الجنة الخ يشير الى قوله سبحانه **وقال الذين لا يرجون لقائنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا فى انفسهم و عتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين و يقولون حجرا محجورا و قدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هبائا منثورا اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا .**

والايات فى البرزخ وهى من اصرح الايات فيه والمقيل هو النوم المقيلولة ومن المعلوم ان لا نوم فى جنة القيمة الا ان البرزخ وان لم يكن فيه شىء من منامات الدنيا لكنه بالنسبة الى القيمة نوم بالنسبة الى اليقظة ولذلك وصف سبحانه الناس بالقيام للساعة .

ولذلك وصف (ع) الحال بانه يفتح للميت باب الى الجنة ويقال له نم قرير العين او باب الى النار ويقال له نم بشر حال و هذا المعنى كثير الورود فى الاخبار فلم يصرح خبر بوروده الجنة بل الجميع ناطقة انه يفتح له باب الى الجنة ويرى منزله فيها ويدخل عليه منها الروح

ويقال له نم قرير العين نم نومة العروس وقد مر الحديث عن الباقر (ع) حيث سئل ما الموت فقال هو النوم الذى ياتيكم كل ليلة الا انه طويل مدته لاينتبه منه الا يوم القيمة الخبر .

فما البرزخ الا مثالا للقيمة واليه التلميح اللطيف بقوله (ع) كما فى عدة اخبار آخر ايضا ثم يفسح له فى قبره مد بصره اه .

فما المثال الا القدر الذى يفهم من الممثل فما بعد مد البصر شيء و قوله سبحانه يوم يرون الملائكة لابشرى اه يراد به اول يوم يرونهم هو بقرينة قولهم لولا انزل علينا الملائكة اه وهو البرزخ و فيه البشرى وعدم البشرى .

واعلم ان الذى تشعر به الاية هو السؤال عن المؤمنين والظالمين واما المستضعفون والمتوسطون فمسكوت عنهم وهو الذى يتحصل من الروايات ففى الكافى عن ابى بكر الحضرمى قال قال ابوعبدالله (ع) لايسئل فى القبر الا من محض الايمان محضا او محض الكفر محضا والاخرون يلهون عنهم .

اقول والاخبار عنهم (ع) فى هذا المعنى مستفيضة متكاثرة .

وفى تفسير القمى مسندا عن ضريس الكناسى عن ابيجعفر (ع) قال قلت له جعلت فداك ما حال الموحدين المقرين بنبوة محمد من المذنبين الذين يموتون و ليس لهم امام و لا يعرفون ولايتكم فقال اما هؤلاء فانهم فى حفرهم لايخرجون منها فمن كان له عمل صالح ولم يظهر منه عداوة فانه يخد له خد الى الجنة التى خلقها الله بالعزب فيدخل عليه

الروح فی حفرته الی یوم القیمة حتی یلقی الله فیحاسبه بحسناته وسیئاته فهؤلاء الموقوفون لامرالله قال وکك یفعل بالمستضعفین والبله والاطفال واولاد المسلمین الذین لم یبلغوا الحلم الخبر .

اقول یشیر (ع) بقوله فهولاء موقوفون اه الی قوله تعالی وآخرون مرجون لامرالله اما یعذبهم و اما یتوب علیهم و الله علیم حکیم وبالجملة فغیر المستضعفین ومن یلحق بهم مسئولون ثم منعمون اومعذبون باعمالهم .

ولنرجع الی ماکنا فیه روی المفید فی الامالی عن الصادق (ع) فی حدیث قال فاذا قبضه الله الیه صیر تلك الروح الی الجنة فی صورة کصورته فیاکلون ویشربون فاذا قدم علیهم القادم عرفهم بتلك الصورة التی کانت فی الدنیا .

و فی الکافی عن ابی ولاد الحناط عن الصادق (ع) قال قلت له جعلت فداك یروون ان ارواح المؤمنین فی حواصل طیور خضر حول العرش فقال لاالمؤمن اکرم علی الله من ان یجعل روحه فی حوصلة طیر لکن فی ابدان کابدانهم .

وفیه ایضا عن الصادق (ع) ان الارواح فی صفة الاجساد فی شجر فی الجنة تعارف و تسائل فاذا قدمت الروح علی الارواح تقول دعوها فانها اقبلت من هول عظیم ثم یسئلونها ما فعل فلان و مافعل فلان فان قالت لهم ترکته حیا ارتجوه و ان قالت لهم قد هلك قالوا قد هوی هوی الخبر .

و هذا المعنى وارد فى اخبار كثيرة لكنها باجمعها فى المؤمنين واما حال الكافرين فسيأتى .

و فى الكافى عن الصادق (ع) قال ان المؤمن ليزور اهله فيرى مايحب ويستر عنه مايكره و ان الكافر ليزور اهله فيرى مايكره و يستر عنه ما يحب .

وفيه ايضا عن الصادق (ع) قال مامن مؤمن ولا كافر الا وهو ياتى اهله عند زوال الشمس فاذا راى اهله يعملون بالصالحات حمدالله على ذلك واذا راى الكافر اهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسرة .

و فيه ايضا عن اسحق بن عمار عن ابى الحسن الاول (ع) قال سالته عن الميت يزور اهله قال نعم فقلت فى كم يزور قال فى الجمعة و فى الشهر و فى السنة على قدر منزلته فقلت فى اى صورة ياتيهم قال فى صورة طاير لطيف يسقط على جدرهم و يشرف عليهم فاذا رآهم بخير فرح وان رآهم بشر وحاجة حزن و اغتم .

اقول والروايات فى هذه المعانى كثيرة مروية واماتصوره بصورة الطاير فهو تمثل .

ويمكن ان يستشعر هذاالمعنى بقوله سبحانه **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم و لا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله و فضل و ان الله لا يضيع اجر المؤمنين** فالاستبشار تلقى البشارة

و الفرح بها و قوله يستبشرون بنعمة اه بيان لقوله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا اه فالايات تفيدانهم يستبشرون و يفرحون بما يتلقون ممن خلفهم من النعمة والفضل و انتفاء الخوف و الحزن عنهم و هو الولاية وانهم يعملون الصالحات والله لايضيع اجر المؤمنين فيحفظ حسناتهم ويعفو عنهم سيئاتهم ويفيض عليهم بركاته فيرون منهم ذلك كله فافهم .

وقريب منه قوله سبحانه **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون .**

و فى الكافى عن ابى بصير عن الصادق (ع) فى حديث سؤال الملكين قال فاذا كان كافرا قالا من هذا الرجل الذى خرج بين ظهر انيكم فيقول لاادرى فيخليان بينه وبين الشيطان الخبر .

وروى هذا المعنى ايضا فى حديث آخر عن بشير الدهان ورواه العياشى فى تفسيره عن محمد بن مسلم عن الباقر (ع) وهو قوله سبحانه **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين الى ان قال تعالى حتى اذا جائنا قال يا ليت بينى و بينك بعد المشرقين فبئس القرين .**

واعلم ان البرزخ عالم اوسع من عالم الدنيا لكون المثال اوسع واوسط من الجسم المادى و قد عرفت معنى المادة فالوارد من تفصيله بلسان الكتاب والسنة كليات واردة على سبيل الانموذج دون الاستيفاء .

و اعلم ان تعيين الارض فى الاخبار محلا لجنة البرزخ و ناره

ومجيء الاموات لزيارة اهليهم وغيرذلك منزل على عدم انقطاع العلقة المادية بكمالها وهو كك كما مر .

وقدورد فى اخبار ان جنةالبرزخ فى وادى السلام وان نارالبرزخ فى وادى برهوت وان صخرة بيت المقدس مجتمع الارواح وفى روايات آخر مشاهدة الائمة للارواح فى امكنة مختلفة وروى ذلك فى كرامات الصالحين بما هو فوق حد الحصر وكل ذلك امور جايزة تكشف عن علقة لشرافة مكان اوزمان اوحال .

فصل ٣

فى نفخ الصور قال سبحانه و يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاءالله و قال سبحانه و نفخ فى الصور فصعق من فى السموات و من فى الارض الا من شاءالله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقد ورد فى رواية عن السجاد (ع) ان النفخات ثلث نفخةالفزع ونفخة الصعقه ونفخةالاحياء ويمكن تنزيل ذلك الى ماسياتى من معنى قوله سبحانه ماينظرون الاصيحة واحدة تاخذهم و هم يخصمون الايه و الله اعلم فالنفخة نفختان نفخة للاماتة ونفخةللاحياء ولم يرد فى كلامه سبحانه مايمكن انيفسر به معنى الصور من حيث اللفظ وهو فى اللغة القرن و ربماكان يثقب وينفخ فيه ولاورد فى النفخة الاولى الا الايتان فى سورة النمل والزمر الاانه سبحانه عبر عن معناه فى مواضع آخر بالصيحة وبالزجرة وهى الصيحة وبالصاخة

و هى الصيحة الشديدة و بالنقر قال سبحانه **ان كانت الاصيحة واحدة فاذاهم جميع لدنيا محضرون** و قال سبحانه **فانما هى زجرة واحدة فاذاهم بالساهرة** وقال سبحانه **فاذا جائت الصاخة يوم يفر المرء من اخيه** الايات و قال سبحانه **فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير** و قال سبحانه **و استمع يوم ينادى المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج .**

فمن هنا يعلم ان مثل الصور مع نفختيه مثل مايصنع فى العساكر المعدة للحضور الى غاية فينفخ فى الصور مرة ان اسكتوا وتهيؤا للحركة وينفخ ثانية ان قوموا وارتحلوا واقصدوا غايتكم فالصور موجود حامل لصيحتين صيحة مميتة وصيحة محيية و هو ذان لم نجد له تفسيرا وافيا من الكتاب الا انه معبر بلفظة فيه فى اثنى عشر موردا اوازيد فلا مح هو ذومعنى اصيل محفوظ وقد عبر عنه بالنداء ايضا ولايكون النداء الا ذا معنى مقصود ووصفهم سبحانه بسمع الصيحة بالحق ولايسمع الاالموجود الحى و قد اخبر بصعقتهم فليس الا ان اتصافهم بالحيوة و الموجود عين استماعهم وسمعهم اذ اسماعهم للصيحة المحيية لهم بعد اتصافهم بالحيوة غيرمعقول فليس الاكلمة الهية يميتهم ويحييهم وقدقال سبحانه **هوالذى يحيى و يميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون** فالنفختان كلمتان الهيتان كلمة مميتة و كلمة محيية لكنه سبحانه لم يعبر بالموت وانماعبر بالصعقة ولعل ذلك لان الموت يطلق على خروج الروح

من البدن وقد شمل حكم النفخة من فى السموات والارض وفيها الملائكة و الارواح و فى قوله سبحانه فى وصف اهل الجنة لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى تلميح الى ذلك .

نعم وقع فى قوله سبحانه حكاية عن قول اهل النار ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل لولم تكن التثنية للتكرار او التغليب اطلاق الموت على صعقة النفخة ثم انه سبحانه قال ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فافاد شمول حكم البرزخ على الجميع فالمراد بمن فى الارض فى آيتى الفزع والصعقة ليس من على ظهر الارض ممن هو فى قيد الحيوة الدنيا قبل البرزخ بل الذين قال فيهم سبحانه ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون و قال الذين اوتوا العلم و الايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث و قال سبحانه قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون وقال سبحانه ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء و لا يدخلون الجنة الى ان قال و بينهما حجاب فهؤلاء اهل الارض وان حلوا البرزخ واما من فى السموات فهم الملائكة وارواح السعداء وقد قال سبحانه و فى السماء رزقكم و ما توعدون وقال لكم ميعاد مايوم وقال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات اه وقال واجل مسمى عنده وقال اليه يصعد الكلم الطيب وقال

يرفع الله الذين آمنوا وقال تعرج الملائكة و الروح اليه الى غير ذلك من الايات .

و عليهذا فالايات الدالة على وقوع الصيحة على اهل الارض و فناء الدنيا و خرابها منزلة على انطواء نشأة الدنيا و انقراضها و اهلها كقوله تعالى ماينظرون الاصيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولاالى اهلهم يرجعون وقوله سبحانه كل نفس ذائقة الموت و قوله سبحانه كل من عليها فان فهناك صيحة ينطوى بها بساط الدنيا و ينقرض اهلها ونفخ يموت به اهل البرزخ ونفخ تقوم به القيمة ويبعث به الناس . نعم قوله سبحانه ماخلقنا السموات والارض و ما بينهما الا بالحق و اجل مسمى و قوله و اجل مسمى عنده قد جمع الجميع تحت الاجل فلا موت حتف انفسا اوقتلا و لا بصيحة ولا بنفخ صور الا باجل .

واما قوله سبحانه فى آيتى النفخ الا من شاءالله فالاستثناء الذى فى قوله سبحانه ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات و من فى الارض الا من شاءالله فيفسره ما بعده من الايات و هى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون و من بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون لكن الحسنة اريدت بها المطلقة لمكان الامن و قرينة مقابلتها بالسيئة و الايعاد عليها فالمختلط عمله منهما لايأمن الفزع لمكان السيئة فالامن من الفزع طيب ذاته وطيب اعماله من السيئات وقد عد سبحانه سيئات

الاعمال خبائث فقال و يجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم و قال ايضا الخبيثات للخبيثين و الخبيثون للخبيثات و الطيبات للطيبين و الطيبون للطيبات و قد عد من الرجس الكفر و النفاق و الشرك فقال واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون وقال انما المشركون نجس وعد من الشرك بعض مراتب الايمان فقال و ما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون فطيب الذات من الشرك ان لا يؤمن بغيره سبحانه و لا يطمئن الا اليه اى لا يرى له سبحانه شريكا في وجوده و اوصافه و افعاله و هو الولاية و اليه يرجع معنى قوله سبحانه الذين تتوفيهم الملائكة طيبين اى من حيث الذات بالولاية يقولون سلام عليكم والسلام هو الامن .

فقد ظهر بما وجهنا به معنى الاية ان الحسنة فيها هي الولاية و به يشعر قوله سبحانه قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور .

و في تفسير القمي في قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها قال (ع) الحسنة والله ولاية امير المؤمنين والسيئة والله اتباع اعدائه .

وفي الكافي عن الصادق عن ابيه عن امير المؤمنين (ع) قال (ع) الحسنة معرفة الولاية و حبنا اهل البيت و السيئة انكار الولاية و بغضنا اهل البيت ثم قرء الاية الحديث .

وبما مر من البيان يتبين الحال في الاية الاخرى وهي قوله سبحانه

و نفخ في الصور فصعق من في السموات و من في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فظاهر الاية ان الذين صعقوا من النفخة هم الذين قاموا لله يوم يقوم الناس لرب العالمين و هم المحضرون لقوله سبحانه ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون و قد استثنى سبحانه من المحضرين عباده المخلصين اذ قال فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين ثم عرفهم سبحانه بقوله حكاية عن ابليس حين رجم قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فبين ان لا سبيل للشيطان اليهم و لا يتحقق اغوائه فيهم، و قد ذكر ايضا ان اغوائه انما هو بالوعد حيث قال سبحانه و قال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق و وعدتكم فاخلفتكم الى ان قال فلا تلوموني و لوموا انفسكم ما انا بمصرخكم و ما انتم بمصرخي انى كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم واستنتج من ذلك كما ترى ان اللوم راجع الى انفسهم و ان الذنب راجع الى الشرك و انهم بمقتضى شقائهم الذاتي ظالمون و ان الظالمين لهم عذاب اليم فالمخلصون هم المخلصون عن الشرك بذاتهم لا يرون لغيره سبحانه وجودا و لا يحسون لغيره اسما و لا رسما و لا يملكون لانفسهم نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حيوة و لا نشورا و هذا هو الولاية.

و بالجملة فاولياء الله سبحانه هم المستثنون من حكم الصعقة و الفزع لا يموتون بالنفخة حين يموت بها من في السموات و الارض

وقدقال سبحانه يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب وقال والسموات مطويات بيمينه فبين سبحانه طيها و بلوغها اجلها يومئذ بمن فيها و بذلك يظهر ان المخلصين المستثنين ليسوا فيها بل مقامهم فيما وراء السموات والارض وهم مع ذلك فى الجميع قال سبحانه كل شيء هالك الا وجهه فهم من الوجه وقال سبحانه فاينما تولوا فثم وجه الله فهم المحيطون بالعالم باحاطته سبحانه و قد بينه سبحانه بوجه آخر بعد ما بين ان اهل الجنة فى السماء واهل النار فى النار بقوله وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم وسياتى كلام فيه فى غير هذا المقام.

و من هنا يظهر انهم فى فراغ و امن من سائر الامور الجارية و الشدائد و الاهوال الواقعة بين النفختين قال سبحانه فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الارض و الجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة والدك هوالدق تقول دككت الشيء اذاضربته وكسرته حتى تسوى به الارض وقال تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة و قال سبحانه يوم ترجف الارض و الجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا و قال سبحانه ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت و تضع كل ذات حمل حملها و ترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد و قال سبحانه و اذا الجبال سيرت و قال و تكون الجبال كالعهن المنفوش و قال فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر وقال اذاالشمس

كورت وقال **واذا الكواكب انتثرت** و قال **واذا العشار عطلت** و قال **واذا البحار سجرت** و هذه الايات بظاهرها قريبة الانطباق باشراط الساعة ومقدمات القيمة وخراب الدنيا وانقراض اهلها .

و اعلم ان هذا هو المصحح لعد الساعة تالية للدنيا و بعدها كما ان الموت هو المصحح لعد البرزخ بعد الدنيا والا فكما ان المثال محيط بعالم المادة و هو الدنيا فكك نشأة البعث محيطة بالدنيا و البرزخ على مايعطيه البرهان السابق واللاحق ومع الغض عن الاحاطة ايضا فانطواء بساط الزمان و انقطاع الحركات بين النشأتين يوجب انقطاع النسبة الزمانية ويبطل بذلك قبل و بعد قطعا هذا .

و اعلم ان هناك آيات أُخر قريبة السياق من الايات المذكورة آنفا غير انها تعطى نحوا آخر من المعنى قال سبحانه **وسيرت الجبال فكانت سرابا** فان تسيير الجبال بنقل امكنتها وجعلها كثيبا مهيلا وكالعهن المنفوش لاينتهى الى كونها سرابا و ذلك ظاهر و قال سبحانه **و ترى الجبال تحسبها جامدة و هى تمر مر السحاب صنع الله الذى اتقن كل شيء** فان ظرف ترى اما حال الخطاب او حال النفخ كما يويده وقوع الاية بعد آية النفخ فتنطبق على زلزلة الساعة وهى التى بها تذهل كل مرضعة عما ارضعت و تضع كل ذات حمل حملها و ترى الناس سكارى وهى لاتلائم قوله تعالى تحسبها جامدة و هى تمر مر السحاب فانها تدل على ان الجبال ح على ظاهر كيفيتها الجسمانية من الابهة و العظمة والاستقرار والتمكن مع انها من غير هذه الحيثية غير مستقرة بل سارية

ومن الدليل عليه قوله صنع الله الذى اتقن كل شيء فانه لا يلايم فناء الجبال و اندكاكها بل يشعر بانها فى صنعها متقنة غير هينة الفساد و لا يسيرة الانفكاك فهو سير لاينافى استحكام اساسها و اتقان وجودها فى محله بل اندكاك فى عين الاستحكام فكونها سرابا يجتمع مع اتقان صنعها وبقاء هويتها و وجودها .

فصل ۴

فى صفات يوم القيمة وقيام الأشياء له سبحانه قال تعالى يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم وقال مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير وقال يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا وقال ولا يكتمون الله حديثا وقال والامر يومئذ لله الى غير ذلك من الايات وقد اشتملت على توصيف يوم القيمة باوصاف غير مختصة به ظاهرا فان الملك والقوة والامر لله دائما والموجودات بارزة له غير خافيه عليه و لا عاصم و لا ملجأ منه سبحانه دائما لكنه سبحانه قال ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العقاب اذ تبرء الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب و تقطعت بهم الاسباب فاخبر بتقطع الاسباب وانقطاع الروابط يومئذ فافاد ان جميع التأثيرات والارتباطات التى بين الموجودات فى نظامها الموجود فى عالم الاجسام والجسمانيات ومايتلوه ستقطع و تزول فلا

يؤثر شيء منها فى شيء ولايتأثر شيء عن شيء و لا ينتفع و لا يستضر شيء بشيء و لو كان الظرف ظرفها و اليوم يومها لما تخلف شيء من احكامها و لم تزل عن مستقرها الا ببطلان الذوات و انقلاب المهيات ومن المحال ذلك ولاتبديل لكلمات الله فاذن المرفوع الزايل هو وجوداتها السرابية وهى وجوداتها القائمة بالحق سبحانه الثابتة به الباطلة فى انفسها فلاتبقى الا نسبتها الى الحق سبحانه و تبطل بقية النسب و اذ هى باطلة فى نفسها فهو انكشاف بطلانها لانفسه وظهور حقيقة الامر وهو ان لاوجود الاله سبحانه ولاتأثير لغيره فلاملك الاله ولامالك الاهو وهو قوله سبحانه **ملك يوم الدين** وقوله **يوم لايملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله** وقوله **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار** ويشهد لماذكرنا من انكشاف بطلان الوجودات السرابية والاسباب الظاهرية لانفس بطلانها قوله تعالى **ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم الى ان قال لقد تقطع بينكم وضل عنكم ماكنتم تزعمون** الايات حيث ذكر بطلان الاسباب عند الموت مع انها فى محلها لم تزل وانما هو انكشاف بطلانها .

وفى نهج البلاغة فى خطبة له (ع) وانه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولامكان ولاحين ولازمان عدمت عند ذلك الاجال و الاوقات و زالت السنون و الساعات فلا شيء الا الواحد القهار الذى اليه مصير جميع الامور .

وفى الاحتجاج عن هشام بن الحكم فى خبر الزنديق فيما ساله عن الصادق (ع) الى ان قال ايتلاشى الروح بعد خروجه من قالبه ام هو باق بل هو باق الى وقت ينفخ فى الصور فعند ذلك تبطل الاشياء فلا حس و لا محسوس ثم اعيدت الاشياء كما بدأها مدبرها و ذلك بعد اربعماة سنة ليست فيها الخلق و ذلك بين النفختين .

وفى تفسير القمى عن الصادق (ع) فى حديث ثم يقول الله عزوجل لمن الملك اليوم فيرد على نفسه لله الواحد القهار .

وفى التوحيد عن امير المؤمنين (ع) فى حديث و يقول الله لمن الملك اليوم ثم تنطق ارواح انبيائه ورسله وحججه فيقولون لله الواحد القهار .

وفى تفسير القمى عن السجاد (ع) فى حديث قال فعند ذلك ينادى الجبار بصوت جهورى يسمع اقطار السموات والارضين لمن الملك فلا يجيبه مجيب فعند ذلك ينادى الجبار مجيبا لنفسه لله الواحد القهار الحديث .

اقول فانظر الى بياناتهم (ع) وهم لسان واحد كيف جمعت بين فناء السموات والارض وتحققها وزوال السنين والساعات وثبوتها وعدم مجيب لندائه سبحانه غير نفسه ووجود المجيب ثم انظر الى قوله سبحانه فى جوابه لنداء نفسه لله الواحد القهار ومكان الاسمين وتدبر فى اطراف الكلام تعرف صحة ما استفدناه آنفا .

ثم انه اذا زال الوجود المستقل عن الاشياء وعادت الثبوتات الى

تحققات وهمية سرابية وبطلت عامة التسبيبات والتشبثات وهو قوله سبحانه مالكم من الله من عاصم وقوله مالكم من ملجاء يومئذ ومالكم من نكير وقوله ما اغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه وقوله يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا وقوله لا بيع فيه ولا خلال وقوله ولا تنفعها شفاعة وقوله ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين وقولهم بل لم نكن ندعوا اه يقولون انا قبل يوم القيمة لم ندع غير الله ولم نعبد له شريكا فهو ظهور كونهم فى الدنيا مغرورين بسرابها ولعبها وقد كان باطلا بالحقيقة فقال سبحانه كذلك يضل الله الكافرين .

وقريب منه قوله سبحانه ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركائكم فزيلنا بينهم وقال شركائهم ما كنتم ايانا تعبدون وقوله تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ومرجع الجميع الى قوله سبحانه ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وابائكم ما انزل الله بها من سلطان وقوله ماخلقت الجن والانس الا ليعبدون .

ثم انه اذا بطلت الاسباب بينهم وهى المراتب المترتبة المقدرة فى الوجود والتأثيرات التى بينها ظهر حكم الباطن ومن المعلوم ان الظاهر ظاهر بالباطن فاتحد ح الغيب والشهادة اذ كل شىء فهو فى نفسه وجوده شهادة وانما الغيب معنى نسبى يتحقق بفقدان شىء لشىء وغيبوبته عنه اما حسا اوغيره .

وبالجملة بسبب وبارتفاع الاسباب يرتفع كل حجاب يحجب

شيئا عن شيء و هو قوله سبحانه يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء و قوله و برزوا لله جميعا و قوله فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد ومن هذا الباب قوله يوم تبلى السرائر وقوله افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير و قوله يوم لا ينفع مال و لا بنون الا من اتى الله بقلب سليم .

و يمكن ان ينزل على ما هيهنا ما ورد من الايات و الاخبار فى بروز الارض .

و فى الكافى عن الصادق (ع) فى قوله تعالى يوم لاينفع اه قال القلب السليم الذى يلقى ربه و ليس فيه احد سواه قال وكل قلب فيه شرك او شك فهو ساقط و انما ارادوا بالزهد فى الدنيا تفرغ قلوبهم للاخرة .

اقول و قوله سبحانه كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا ينافى ما ذكرناه فانه كما سيجيء ينفى التشريف الذى يقع للمؤمنين وتصديق لماقضى به سبحانه ان الجزاء بالاعمال وان لكل نفس ماكسبت وعليها مااكتسبت وقد حجب هؤلاء انفسهم فى الدنيا عنه سبحانه فلابد من ظهور مصداقه يوم القيمة وذلك كقوله سبحانه يوم يكشف عن ساق و يدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون .

ثم ان بطلان الاسباب و زوال الحجب وظهور الباطن الذى هو

محيط بالظاهر مقوم له قائم عليه يعطى كون الساعة محيطة بهذه النشاة ومافيها ومايتلوها فالظاهر موجود للباطن حاضر عنده دون العكس وهو قوله سبحانه و يقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا وقوله فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقوله واخذوا من مكان قريب وقوله و ما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقوله يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء .

ومن هذا الباب قوله سبحانه و لولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم فالسبق الى الشيء يوجب حيلولة فقولك سبقت الى مكان كذا يوجب وجود شيء آخر سبقته وحلت بينه و بين المكان قبل ان يصل اليه فسبقة كلمة سبحانه الى اجل مسمى و هو قوله ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين يعطى انه محيط بهم قريب لولا السد الذى سده سبحانه تجاهه لغشيهم فصل القضاء فافهم .

و من هذا الباب قوله كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها و قوله كانهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقوله قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون و قوله و قال الذين اوتوا العلم و الايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث .

ثم ان مامر من ظهور الباطن وبطلان الظاهر يوجب ظهور الحق سبحانه يومئذ وارتفاع حجب المهيات وانتهاك استار الهويات وبلوغ

الكل الى غاية الغايات من سيرهم ومنتهى النهايات من كدحهم ورجوعهم و هو قوله سبحانه يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها فيم انت من ذكريها الى ربك منتهاها و قوله سبحانه و ان الى ربك المنتهى وقوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقوله واليه ترجعون وقوله و اليه تقلبون وقوله و اليه المصير وقوله الا الى الله تصير الامور و آيات اخرى فى هذا المعنى و قوله و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وقوله يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات و الارض لا تاتيكم الا بغتة يسئلونك كانك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون فهم لزعمهم انها امر زمانى فى سلسلة متصلة بزمانهم سئلوا توقيتها فصرفهم سبحانه بما يقرب من افهامهم ثم لما الحوا فيه اجابهم بان علمها لا يبرز من عند الله و يابى بذاته عن الطلوع لغيره سبحانه لا انه يقبل الحصول للغير وانما اخفى اخفائا كما لمصلحة او غيرها كما فى معلوماتنا ولذلك عقبه سبحانه بقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون .

ثم ان حجب المراتب والهويات حيث ارتفعت يومئذ ولم يحتجب شىء عن شىء فالوعاء وعاء النور وقد تبدلت الهويات فصارت متنورة وهو قوله سبحانه وفتحت السماء فكانت ابوابا وقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات و برزوا لله الواحد القهار وقوله والارض جميعاً قبضته يوم القيمة و السموات مطويات بيمينه الى ان قال

واشرقت الارض بنور ربها وقوله و ان الدار الاخرة لهی الحیوان و قوله و اذا الارض مدت و القت مافیها و تخلت و قوله و اخرجت الارض اثقالها .

و فی تفسیر القمی عن السجاد (ع) فی حدیث فی قوله سبحانه تبدل الارض غیرالارض قال (ع) یعنی بارض لم تکتسب علیهاالذنوب بارزة لیس علیها جبال و لا نبات کما دحیها اول مرة و یعید عرشه علی الماء کما کان اول مرة مستقلا[1] بعظمته و قدرته الحدیث .

وما ذکرناه فی الاستفادة عن الایات فی تنورالموجودات لاینافی آیات اُخر تنفی النور عن الکافرین کقوله سبحانه ومن لم یجعل الله له نورا فماله من نور و قوله و نحشره یوم القیمه اعمی و قوله یوم یقول المنافقون و المنافقات للذین آمنوا انظرونا نقتبس من نورکم و قد قال سبحانه فی المؤمنین یسعی نورهم بین ایدیهم و بایمانهم الایة و لهم اجرهم و نورهم الایة وقوله سبحانه کمن مثله فی الظلمات لیس بخارج منها وقوله اولیائهم الطاغوت یخرجونهم من النور الی الظلمات فان ذلك ظهور ظلمات اکتسبتها انفسهم فی الدنیا ولابدان یبدولهم فی الاخرة فتلك ظلمة مع نور قدحرم المشرکون

۱ــ قوله (ع) مستقلا بعظمته وقدرته تفسیر لکون عرشه علی الماء وله شواهد من الکتاب تدل علی ان الماء اشارة الی منبع کل حیوة و قدرة و عظمة ان تحمل نقوش الخلقة ظهرت الموجودات واذا انمحت عاد العرش علی الماء فافهم والله الهادی منه .

عن افاضتها وكتبه‌الله للمؤمنين و قد مر نظير هذا المطلب فى ارتفاع الحجب بين الانسان وبين ربه .

ومن هذا الباب قوله سبحانه كذبوا على انفسهم وقوله سبحانه فالقوا السلم ماكنا نعمل من سوء بلى ان‌الله عليم بما كنتم تعملون وقوله سبحانه فيحلفون له كما يحلفون لكم .

وهناك روايات ايضا فى ان المشركين يكذبون يوم القيمة فهذه كما ذكرنا فى غيرها ايضا ظهور للمعصية التى اقترفوها فى الدنيا يومئذ ولاينافى عدم قابلية اليوم للكذب فكل مايعمله الانسان من عمل اويكسبه من فضيلة اورذيلة لابد وان يظهر يوم القيمة وقدقال سبحانه ولا يكتمون الله حديثا وسيجىء فى فصل الاعراف مايتم به هذا البيان ويتبين به ان الامر واحد فى نفسه لكنه للمؤمنين رحمة وكرامة و للكافرين نقمة و عذاب فاحسن التدبر فيه فانه دقيق .

فصل ٥

فى قيام الانسان الى فصل القضاء حيث ان المعاد رجوع الاشياء بتمام ذاتها الى مابدء منها وهو واجب بالضرورة كما مرت الاشارة اليه فمن الضرورى ان يكون ذلك بتمام وجودها فما وجوده ذو مراتب و جهات متحدة بعضها مع بعض يرجع الى هناك بتمام وجوده بالضرورة فلحوق بدن الانسان بنفسه فى المعاد ضرورى غير ان النشأة متبدلة الى نشأة الكمال الاخير والحيوة التامة فالبدن كالنفس الحية حى نورانى هذا .

ويشير الى ذلك مافى الاحتجاج عن الصادق فى كلامه مع الزنديق قال (ع) ان الروح مقيمة فى مكانها روح المحسن فى ضياء و فسحة و روح المسىء فى ضيق و ظلمة و البدن يصير ترابا منه خلق و ما تقذف به السباع و الهوام من اجوافها مما اكلته و مزقته كل ذلك فى التراب محفوظ عند من لايعزب عنه مثقال ذرة فى ظلمات الارض و يعلم عدد الاشياء ووزنها وان تراب الروحانيين بمنزلة الذهب فى التراب فاذا كان حين البعث مطرت الارض مطر النشور فتربو الارض ثم تمخض مخض السقاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب اذا غسل بالماء و الزبد هو اللبن اذا مخض فيجتمع تراب كل قالب فينتقل باذن القادر الى حيث الروح فتعود الصور باذن المصور كهيئتها و تلج الروح فيها فاذا قداستوى لاينكر من نفسه شيئا الخبر .

اقول وقوله (ع) فاذا كان حين البعث مطرت الارض مطر النشور اه ورد فيهذا المعنى عدة روايات منهم (ع) ايضا وهو مستفاد من تمثيله سبحانه البعث والاحياء باحياء الارض بعد موتها قال سبحانه و احيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج وقال سبحانه و ترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت و ربت و انبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق و انه يحيى الموتى وانه على كل شىء قدير وان الساعة آتية لاريب فيها و ان الله يبعث من فى القبور .

فالايات كما ترى تعطى ان للانسان المادى او لبدنه فقط تبدلات حتى يصل الغاية التى غياها سبحانه له ومثلها قوله سبحانه و ضرب لنا

مثلا و نسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشاها اول مرة و هو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون يفيدان الذى جعل الشجر الاخضر بالتدريج والتصرف بعد التصرف نارا يضاد الخضرة قادر على ان يجعل العظام الرميم حية وفيهذا المجرى قوله سبحانه نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم و ننشئكم فيما لا تعلمون ومثله قوله نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا.

و المراد بتبديل الامثال ورود خلق بعد خلق قال تعالى بل هم فى لبس من خلق جديد و قال كل يوم هو فى شان و ليس المراد بها الامثال المصطلح عليها فى العلوم العقلية و بالاتحاد النوعى و الاختلاف الشخصى فان مثل الشىء بهذا المعنى غير الشىء فلا يتم الحجة على منكرى الحشر ح بقوله او ليس الذى خلق السموات و الارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى و هو الخلاق العليم اذ خلق مثلهم على ذلك ليس اعادة لهم بالضرورة بل المراد بخلق مثلهم و تبديل امثالهم التبدلات فيهم بحيث لا تخرج عن انفسهم كما انه سبحانه فى مثل هذا النظم بدل المثل بالعين فقال اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على ان يحيى الموتى وقال سبحانه ليس كمثله شىء فالمراد بمثل الشىء نفس الشىء وهو نوع من التلطف فى الكلام.

فهذا كله يتضمن تبدلات الابدان وورودها طورا بعد طور وركوبها طبقا عن طبق حتى تنتهى الى الساعة فتلحق بالانفس قال سبحانه

واذا القبور بعثرت وقال افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور فعبر بكلمة ما ثم قال فانما هى زجرة واحدة فاذاهم بالساهرة و هذا هو لحوق الابدان بالارواح كما ترى وللارواح مع ذلك سيرا فى مسيرها وحركة فى طريقها قال سبحانه من الله ذى المعارج تعرج الملائكة و الروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة فبين ان الروح كالملائكة تعرج اليه سبحانه فى معارجه و المعراج السلم و مثله قوله سبحانه رفيع الدرجات ذوالعرش يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده و قد جمع سبحانه اهل السعادة و الشقاء جميعا فى قوله ولكل درجات مما عملوا و قوله و للاخرة اكبر درجات و اكبر تفضيلا و قال سبحانه فى اهل الجنة كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رزقنا من قبل و اتوا به متشابها و قال فى اهل النار ماويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا اذ قداخبر سبحانه انلاوقود لجهنم غير اهلها فخبوها نفاد من فيها بالاحراق .

فصل ٦

فى الصراط قال سبحانه انالذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولاليهديهم طريقا الا طريق جهنم وقال احشروا الذين ظلموا و ازواجهم و ماكانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لاتناصرون فاخبر تعالى انللجحيم صراطا يهدى الظالمون اليها مع ازواجهم وهم الشياطين

كمايدل عليه قوله سبحانه **فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا** الى ان قال **و ان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثيا .**

والصراط كما يدل عليه هذه الايات صراط على الجحيم او فيها اذ قد اخبر سبحانه بالورود و النجاة و الترك فى هذه الايات و بالملاء الحتمى فى قوله **ولوشئنا لاتينا كل نفس هديها ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة و الناس اجمعين .**

وهذا الصراط الممدود على جهنم ممر الخلايق اجمعين من بر وفاجر ثم ينجى الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا ولقد كرر سبحانه فى هذه الايات لفظ الظلم و مثله قوله سبحانه **الذين طغوا فى البلاد** و الطغيان الافراط فى الظلم و الاستكبار **فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد** و قال سبحانه **ان جهنم كانت مرصادا .**

والظلم اما بتفريط في جنب الناس واما بتفريط فى جنب النفس واما بتفريط فى جنب الله وهو الولاية التى لاولياء الله و الجميع يحصل باتباع الهوى و الشيطان واصله الاغترار بزينة الحيوة الدنيا و الاخلاد الى هذه الاوهام التى نسميها مجموعا بنظام التمدن وهو التناصر بالاوهام غير الحقايق ولعل هذا هو المسئول عنه فى قوله سبحانه **وقفوهم انهم مسئولون مالكم لاتناصرون بل هم اليوم مستسلمون .**

ومن ما يظهر معنى ماورد من الروايات في الباب ففى تفسير القمي

فی قوله تعالی وجیء یومئذ بجهنم الایه عن الباقر (ع) قال لما نزلت هذه الآیة وجیء یومئذ بجهنم اه سئل عن ذلك رسول الله (ص) فقال (ص) اخبرنی الروح الامین ان الله لااله غیره اذا برز الخلایق وجمع الاولین و الاخرین اتی بجهنم تقاد بالف زمام آخذ بکل زمام مأة الف یقودها من الغلاظ الشداد لها هدة و غضب و زفیر و شهیق و انها لتزفر زفرة فلولا ان الله اخرهم للحساب لاهلکت الجمیع ثم یخرج منها عنق فیحیط بالخلایق البر منهم و الفاجر ماخلق الله عبدا من عباد الله ملکا ولانبیا الا ینادی رب نفسی نفسی وانت یانبی الله تنادی امتی امتی ثم یوضع علیها الصراط ادق من الشعر واحد من حد السیف علیه ثلثة قناطر فاما واحدة فعلیها الامانة والرحم والثانیة فعلیها الصلوة والثالثة فعلیها رب العالمین لااله غیره فیکلفون الممر علیها فیحبسهم الرحم و الامانة فان نجوا منها حبستهم الصلوة فان نجوا منها کان المنتهی الی رب العالمین وهو قوله ان ربك لبالمرصاد فمتعلق بید وتزل بقدم و یستمسك بقدم و الملائکة حولها ینادون یا حلیم اعف واصفح وعد بفضلك و سلم سلم و الناس یتهافتون فی النار کالفراش فیها فاذا نجی ناج برحمة الله مر بها فقال الحمد لله و بنعمته تتم الصالحات و تزکو الحسنات و الحمدلله الذی نجانی منك بعدایاس بمنه وفضله ان ربنا لغفور شکور و روی الکلینی فی الکافی والصدوق فی الامالی مافی معناه .

وفی العلل عن الصادق (ع) فی تفسیر قوله انهم مسئولون قال (ع) لایجاذبه قدما عبد حتی یسئل عن اربع عن شبابه فیما ابلاه و عن عمره

فيما افناه وعن ماله من اين جمعه وفيما انفقه وعن حبنا اهل البيت .

و روى القمى فى تفسيره عن الصادق (ع) والصدوق فى الامالى و العيون عن النبى (ص) ان المسئول عنه ولاية اميرالمؤمنين (ع) .

و فى المجمع عن النبى (ص) قال يرد الناس النار ثم يصدرون باعمالهم فاولهم كلمع البرق ثم كمر الريح ثم كمحضر الفرس ثم كالراكب ثم كشد الرجل ثم كمشيه .

و عنه (ص) تقول النار للمؤمن يوم القيمة جزيا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبى .

وعن النبى (ص) ايضا انه سئل عن قوله تعالى وان منكم الاواردها الايات فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قدوعدنا ربنا ان نرد النار فقال قد وردتموها وهى خامدة .

اقول وبالتامل فيما قدمنا وفى ماسيجىء فى الشفاعة يتضح معنى هذه الاحاديث والله الهادى .

فصل ٧

فى الميزان قال سبحانه **و الوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون** بين سبحانه ان الوزن حق ثابت يوم القيمة ثم قال فمن ثقلت موازينه و من خفت موازينه و لعل الجمع باعتبار عدد الزنات والثقل فى الحسنات والخفة فى السيئات مع

ان ظاهر الامر يقتضى العكس كما قال والعمل الصالح يرفعه ويرفع الله الذين آمنوا و قال ثم رددناه اسفل سافلين بنائا على ما بينه سبحانه من بوار السيئات وبقاء الحسنات قال تعالى فاما الزبد فيذهب جفائا واما ماينفع الناس فيمكث فى الارض فالثقل انما هو للحسنات دون السيئات و فى قوله سبحانه اولئك الذين خسروا انفسهم اه اشارة الى ذلك .

ثم انه سبحانه قال و نضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين ففسر الموازين بالقسط وهو العدل فى مقابلة الظلم وبين وجه الثقل فى الحسنات والخفة فى السيئات .

و فى التوحيد عن امير المؤمنين (ع) فى قوله تعالى فمن ثقلت موازينه اه قال (ع) انما يعنى الحسنات توزن الحسنات و السيئات و الحسنات ثقل الميزان و السيئات خفة الميزان .

و فى الاحتجاج عنه (ع) هى قلة الحسنات وكثرتها الحديث و يتبين بما مر معنى قوله سبحانه اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلانقيم لهم يوم القيمة وزنا اذلامعنى لوضع الميزان والوزن مع الحبط .

وبه يتبين ان الوزن بالميزان يوم القيمة يختص بالاعمال غير المحبطة و لذلك فالاية لاتنافى قوله سبحانه فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون و من خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم فى

جهنم خالدون تلفح وجوههم النار و هم فيها كالحون الم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا و كنا قوما ضالين .

وبمامر يظهر معنى ماورد عنهم(ع) من الروايات : ففى الاحتجاج عن الصادق (ع) حيث سأل عنه الزنديق او ليس توزن الاعمال قال لا لان الاعمال ليست اجساما و انما هى صفة ماعملوا و انما يحتاج الى وزن الشيء من جهل عدد الاشياء ولايعرف ثقلها ولاخفتها وان الله لايخفى عليه شيء قال فما معنى الميزان قال (ع) العدل قال فما معناه فى كتابه فمن ثقلت موازينه قال (ع) فمن رجح عمله الخبر .

و فى التوحيد عن امير المؤمنين (ع) فى خبر من ادعى التناقض بين آيات القرآن قال (ع) واماقوله ونضع الموازين القسط فهو ميزان العدل يؤخذ به الخلايق يوم القيمة يدين الله تبارك وتعالى الخلق بعضهم من بعض بالموازين الخبر .

وفى الكافى والمعانى عن الصادق (ع) وقد سئل عن قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة قال الانبياء و الاوصياء .

اقول ووجهه واضح مما مر .

و فى الكافى عن السجاد (ع) فى كلام له فى الزهد و اعلموا عباد الله ان اهل الشرك لا ينصب لهم الموازين و لا ينشر لهم الدواوين وانما يحشرون الى جهنم زمرا وانما نصب الموازين و نشر الدواوين لاهل الاسلام واتقوا الله عباد الله الخبر .

فصل ٨

فى الكتب قال سبحانه وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا بين سبحانه انه الزم الانسان طائره وهو عمله الذى يتفأل به ويتشأم به فطائر الانسان عمله الذى قلده ولذلك وصفه بانه فى عنقه وقد كانت الاعمال التى يحفظ للانسان وعليه غير محسوسة ولا ظاهرة اذ الحس فى الدنيا لا يجاوز سطح الاشياء والاستدلال فيها انما هو بالاثار لكن نشاة القيمة نشأة تبلى فيها السرائر وبرزوا لله جميعا فلذلك وصف الطائر بانه سيخرج له كتابا منشورا و قال سبحانه احصاه الله و نسوه و قال سبحانه بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل و نسب الاحصاء و البداء و اللزوم الى نفس الاعمال اذ كان الكتاب مشتملا على نفسها او حقايقها دون الخطوط التى نصطلح عليها فيما عندنا من الكتابة و هو قوله سبحانه يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و من يعمل مثقال ذرة شرا يره و قوله سبحانه وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون .

و من هذا الباب قوله سبحانه يومئذ يتذكر الانسان و انى له الذكرى و قوله ينبأ الانسان يومئذ بما قدم و اخر و قد مر ان هذا اليوم محيط بجميع المراتب الوجودية فالاعمال كما تحضر بانفسها تحضر بحقايقها التى ظهرت منها و هو قوله سبحانه و ترى كل امة

جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ماكنتم تعملون وهذا هو الكتاب المخصوص الذى يشتمل على نفس الاعمال ثم قال سبحانه هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون وهذا هو الكتاب المبين الذى مكتوب فيه ماكان ومايكون وماهو كائن الى يوم القيمة كما فى الاخبار و منه النسخ الجزئية كلها و منه يستنسخ الاعمال فى نشأة ظهورها وهو المشتمل على حقايقها والحجة على الكل ولعله المراد بقوله سبحانه واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب .

و فى الكافى عن الصادق (ع) فى حديث اللوح و هو الكتاب المكنون الذى منه النسخ كلها اولستم عربا فكيف لاتعرفون معنى الكلام واحدكم يقول لصاحبه انسخ ذلك الكتاب اوليس انما ينسخ من كتاب آخر من الاصل وهو قوله انا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون .

و فى تفسير العياشى عن خالد بن نجيح عن الصادق (ع) قال اذا كان يوم القيمة دفع الى الانسان كتابه ثم قيل له اقرء قلت فيعرف ما فيه فقال ان الله يذكره فما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم و لا شىء فعله الا ذكره كانه عمله تلك الساعة فلذلك قالوا ياويلنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة و لا كبيرة الا احصيها .

وفيه ايضا عن خالد بن يحيى عن الصادق (ع) قريب منه .

اقول وقد فسر (ع) القرائة بالذكر وقد ذكرنا فى رسالتى الافعال والوسائط فى الكتاب كلاما ابسط من هذا .

ثم انه سبحانه قال انا نحن نحيى الموتى ونكتب ماقدموا و

آثارهم فعمم الكتابة لاعمالهم التى فعلوها بلاواسطة ومايترتب عليها من الاثار فالكل محاسب به ويظهربه معنى قوله ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم وآخر .

وفى تفسير القمى عن الباقر (ع) بما قدم من خير وشر و ما اخر فما سن من سنة يستن بها فان كان شراكان عليه مثل وزرهم و لا ينقص من وزرهم شيئا وان كان خيراكان له مثل اجورهم ولاينقص من اجورهم شيئا ثم عقبه سبحانه بقوله وكل شيء احصيناه فى امام مبين .

ومن هنا يظهر ان اللوح المحفوظ يحاسب به العباد كما يحاسبون بالالواح المخصوصة لكل واحد واحد منهم .

ويظهر ايضا ان الكتاب الذى ذكره سبحانه بقوله هذا كتابنا ينطق عليكم اه هو اللوح المحفوظ فانه وصف الكتاب فى هذه الاية بالامامة وهو المتبوعية فى الاعمال ووصفه هناك باستنساخ الاعمال منه فهو واحد .

ثم بين سبحانه تفاوت اخذهم الكتاب بالسعادة و الشقاوة فقال يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فاما من اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه انى ظننت انى ملاق حسابيه الى ان قال واما من اوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ماحسابيه واليمين و الشمال جانبا الانسان القوى و الضعيف او اليدان التاليتان لهما اوجانبا السعادة والشقاوة .

وليس المراد وضع الكتاب فى يدالانسان اليمنى او اليسرى على مايفهمه الظاهريون من المحدثين وغيرهم اذلم يقل سبحانه اوتى

كتابه ليمينه اولشماله بل اتى بالباء المفيد للوساطة ويشهد به قوله سبحانه **فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا و ينقلب الى اهله مسرورا واما من اوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا** فقد وضع مكان الشمال قوله وراء ظهره و قوله سبحانه **يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرئون كتابهم ولا يظلمون فتيلا و من كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى و اضل سبيلا** فقد قال سبحانه انه يدعوهم بامامهم ولم يقل الى امامهم و قد قال كل امة تدعى الى كتابها و لم يقل بكتابها فالدعوة بالامام غير الدعوة الى الكتاب .

ثم فصله سبحانه بان طائفة منهم بعد ذلك يوتى كتابه بيمينه اى بواسطة اليمين فيمينه امامه الحق الذى يدعى به ثم بدل الايتاء بالشمال بقوله ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى واضل سبيلا .

فظهر به ان الايتاء باليمين نور واهتداء فى الاخرة كما قال سبحانه **يسعى نورهم بين ايديهم و بايمانهم** و قال **و الذين آمنوا بالله و رسله اولئك هم الصديقون و الشهداء عند ربهم لهم اجرهم و نورهم** .

ومن هنا يظهر ان النور هو الامام والمراد هو اللحوق به والكلام فيه كثير و بالجملة فيشبه ان يكون المراد باليمين و الشمال البركة و الشأمة والسعادة والشقاوة دون اليدين اليمنى واليسرى وقد عبر سبحانه فى سورة الواقعة عن الطائفتين تارة بقوله **واصحاب اليمين ما اصحاب**

اليمين و اصحاب الشمال ما اصحاب الشمال و تارة بقوله فاصحاب الميمنة مااصحاب الميمنة واصحاب المشأمة مااصحاب المشأمة وتارة بقوله و اما انكان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم فوضع فى مكان اصحاب الشمال المكذبين الضالين فهم اصحاب شقاء واصحاب تكذيب وضلال وكانه اشارة الى قوله ومن خفت موازينه الى ان قال الم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين.

وقد عرفت هناك كون الاية فى اصحاب الشقاء من ضلال الملليين و نقضة عهد الائمة الحق و اما الكفار الجاحدون فلا يقيم سبحانه لهم وزنا فلا كتاب لهم ولا حساب.

وبالجملة فاصحاب الشمال هم الاشقياء اصحاب الضلال ولذلك فهم يقولون فيماحكى عنهم سبحانه مااغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه فهذه الامور هى الصادة اياهم عن اتباع الحق بعد الاذعان به فكل من اصحاب السعادة و الشقاوة مدعو بامامه ملحق به يوتى بكتابه به و هو اللحوق الذى يشتمل عليه اخبار الطينة و السعادة و الشقاوة الذاتيتين و سياتى ذكر منه انشاءالله و لذلك كان اصحاب الشقاء يؤتون كتابهم بشمالهم و وراء ظهرهم اذائمتهم قدامهم و وجوههم منكوسة مطموسة قال سبحانه فى فرعون يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار و قال سبحانه يا ايهاالذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لمامعكم

من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها و قال سبحانه قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نورا وقد مر انالنور هوالامام الحق هذا.

والاعتبار ايضا يساعد هذا المعنى فان الانسان بوجوده الدنيوى اعنى بدنه الحى بقواه و احساساته على ما نزل من عند الحكيم الخبير و دبره العليم القدير متوجه القوى و الاحساسات الى جهتى القدام و اليمين واما جهتا الشمال والوراء فعندهما نفاد القوى وهلاك الاحساس والانسان اذاشقى واخلد الىالارض واتبع هواه اقبل الىالارض ووجه وجهه لها واذا قام لربه واحضر لحسابه واتبع الداعى لاعوج له سار و وجهه الى خلفه فحالهم حال ضرير منكوس الوجه مدهوش ساع الى غاية لايدرى مايفعل ولاماذا يفعل به.

واعلم انالامام الحق على انه مهيمن على اناس دعوا به كك هو مهيمن على امام الباطل و حزبه قال سبحانه انا نحن نحيى الموتى و نكتب ما قدموا و آثارهم وكل شيء احصيناه فى امام مبين فوصف الكتاب المحصى لكل شيء من السعادة والشقاوة بالامامة وقال ايضا هذاكتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنانستنسخ ماكنتم تعملون فالامام الذى هوالكتاب حاكم فى الفريقين السعيد والشقى مهيمن على الطائفتين جميعا.

وهذا غيرمناف لما مر انالدعوة الى الكتاب غيرالدعوة بالامام فانه سبحانه ماوصف صحف الاعمال بالامامة بل وصفها بالالزام والمتابعة و قال الزمناه طائره اه و انما وصف بالامامة اللوح المحفوظ الذى منه

يستنسخ الاعمال وصحف الاعمال وهو الاصل المتبوع والامام المقتدى الذى عليه مدار امور العالم برمتها فافهم ذلك .

و اعلم انه سبحانه فسر الامامة فى آيات كثيرة بالولاية غير انه وصف نفسه بالولاية دون الامامة لاقتضائه سنخية مابين الامام و المأموم وهو واضح .

وبالجملة فامام الحق ولى المؤمنين وائمة الباطل اولياء الكافرين و الوجه فى جميع ذلك واضح و به يتحلّ عقد الاخبار التى تدل على حكومة ارباب الولاية فى امر الناس يوم القيمة و سياتى عدة منها .

و اعلم ايضا ان الكتاب يوتى للطائفتين من الناس و هنا جماعة غيرهم و هم السابقون المقربون قال سبحانه **وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة و اصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون** فهؤلاء هم المخلصون المستثنون من حكم الصور والاحضار والميزان وقداستثنوا من حكم اعطاء الكتاب ايضا و سيجىء مزايا آخر من احوالهم فى يوم القيمة فحكم الكتاب واقع على غيرهم من اصحاب الاعمال الا المستثنون من المعاندين الجاحدين كمامر قال سبحانه **وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه** فهى فيمن له عمل فاما من ارتفع عن سطح العمل ممن ليس له الا الله تعالى كالمخلصين و من حبط عمله من المكذبين المنكرين للقاء الله فلا كتاب له اصلا ثم قال سبحانه **ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا** ويشبه ان يكون الكتاب غير الطائر الملزم فى عنقه اذلم

يقل سبحانه ونخرجه وكان حق الكلام ذلك لو كان كك فالاية فى مساق قوله **واذا الصحف نشرت** ثم قال سبحانه **اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** ويظهر منه ان حال الكتاب وقرائته يومئذ غير حال الكتاب وقرائته عندنا فى الدنيا فافهم وانما هو الذكر قال سبحانه يومئذ ينبوء الانسان بما قدم واخر وهذا فى تفاصيل الاعمال وقال بل الانسان على نفسه بصيرة و هذا فى الاجمال و قد مرت الرواية فى كيفية قرائة الكتاب والله العالم .

فصل ٩

فى الشهداء يوم القيمة قال سبحانه **واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون** وقد عد سبحانه اصنافا من الشهداء على الاعمال يوم القيمة و الشهادة على الشيء هى تلقيه بالحضور و الرؤية و يسمى تحملها و حكايتها كلاهما شهادة ومن المعلوم ان الشهادة على الاعمال ليست على مجرد صورها الظاهرة بل على ماهى عليها من الطاعة والعصيان والسعادة والشقاوة اذهو قضية القضاوة و سيما من احكم الحاكمين .

وهذه الاوصاف غير ممكنة الاحراز الا بارتباط الشاهد على محتد هذه الاعمال من الضمائر و السرائر و خصوصيات انتشائات الاعمال من الارادات و القصود فالشهادة يومئذ على انه تشريف للشاهد بالاذن فى كلامه كما قال سبحانه **لا تكلم نفس الا باذنه** انما يختص بها من آتاه الله

سبحانه هذه الكرامة فى الدنيا و هى الوقوف على حقايق الاعمال و محتدها من الضمائر و السرائر قال سبحانه **لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا** و الصواب خلاف الخطاء و قال **الا من شهد بالحق وهم يعلمون** فالشهادة يومئذ انما تتحقق ممن حفظ اعمال العاملين على حقيقتها من غير خطأ و عوج .

وانت اذا تاملت هذه البنية الانسانية على قواها وحواسها وجدت ان هذه الشهادة والتلقى مستحيلة فى حقها بالنسبة الى اعمال الحاضرين فضلا عن الغائبين ومع الحضور من الشاهد فضلا عن الغيبة ومع القرب فضلا عن البعد و هو واضح فليس الا ان ذلك بامر آخر و قوة اخرى وراء ماعند الانسان المتعارف من القوة والاحساس يمس باطن الانسان ذى الاعمال كمسه بظاهره وبالغايب كالحاضر وبالبعيد كالقريب فهو نور غير جسمانى لا يحتاج الى ما يحتاج اليه الجسم فى تأثيراته و اعماله من خصوصيات الزمان والمكان والحال فهو نور يبصر به السرائر ويميز به الطيب من الخبيث قال سبحانه **كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وما ادريك ماعليون كتاب مرقوم يشهده المقربون** و قال سبحانه **كلا ان كتاب الفجار لفى سجين و ما ادريك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين** .

وقد مر فى الفصل السابق ان اصحاب اليمين و اصحاب الشمال **يؤتون كتابهم بامامهم الحق** وقال سبحانه ايضا **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون و ستردون الى عالم الغيب و الشهادة**

فينبئكم بما كنتم تعملون والخطاب عام غير مختص بالمنافقين وهو يقتضى خصوصية المراد بقوله المؤمنون اه وفيه تلويح بان روية الرسول والمؤمنين لاعمالهم ستندرج فى ضمن ماسينبؤهم سبحانه بما كانوا يعملون فافهم .

وروى القمى فى تفسيره عن الصادق (ع) ان اعمال العباد تعرض على رسول الله كل صباح ابرارها وفجارها فاحذروا وليستحيى احدكم ان يعرض على نبيه العمل القبيح .

وروى العياشى فى تفسيره عن الصادق (ع) انه سئل عن قوله وقل اعملوا الايه فقال والمؤمنون هم الأئمة .

و الاخبار الواردة فى الكافى و الامالى و المناقب و البصائر و التفسيرين للقمى والعياشى فى هذا المعنى فوق حد الاستفاضة فراجع .

و بالجملة فتحمل هذه الشهادة هو بشهادة نفس الاعمال وكك ادائها يوم القيمة وكك المجازاة بها يومئذ قال تعالى **وجيء بالنبيين والشهداء و قضى بينهم بالحق و هم لا يظلمون و وفيت كل نفس ماعملت وهو اعلم بما يفعلون** هذا جملة الكلام فى الشهادة .

و اما اصناف الشهداء فمن الشهداء الاولياء المقربون من البشر كالانبياء والصالحين من الاولياء قال سبحانه **وجيء بالنبيين والشهداء** وتمييز النبيين من الشهداء كانه نوع تشريف لهم كما قيل وقال سبحانه **و يوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا و لا هم يستعتبون** و الامة الجماعة من الناس و اذا اضيفت الى شيء كنبى او

زمان اومكان تميزت به فالاية عامة لجميع الاولياء ولواجتمع عدة منهم فى امة نبى وقال سبحانه **وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا.**

والبيان السابق فى معنى الشهيد يوضح ان هذه العطية والكرامة منه سبحانه ليست عامة لجميع امة محمد(ص) بل هى خاصة لبعض الامة والخطاب الواقع لجميع الامة بظاهره باعتبار وجودهم فيها وهوذايع دائر فى الخطابات كقوله سبحانه محمد رسول الله و الذين معه اشداء الى آخر الاية فانه شامل بظاهره لجميع من معه وفيهم المنافقون والفاسقون باجماع الامة وامثاله كثيرة.

و بالجملة فالشهداء من هذه الامة شهداء على الناس و الرسول شهيد عليهم فالامة الشهيدة وسط بين الرسول (ص) و الناس كما ذكره سبحانه وكذلك قوله سبحانه **هواجتبيكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سميكم المسلمين من قبل و فى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم و تكونوا شهداء على الناس** وهذه الاية فى اختصاص الشهداء اصرح من سابقتها وفى قوله سبحانه هو سميكم المسلمين من قبل اشارة الى دعاء ابرهيم (ع) مع ولده اسمعيل (ع) عند بناء الكعبة **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا و تب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم.**

ودعائه (ع) حيث انه لولد ابراهيم واسمعيل معا و لمن فى مكة

فهولقريش وحيث انه(ع) دعا اولاباسلامهم لله وارائةالله اياهم مناسكهم وتوبته لهم ثم دعا ببعث رسول يطهرهم ويزكيهم فهم جمع من قريش جمعوا بين۱ طهارةالذات والهداية والاهتداء الى عهودالله وبين الايمان برسوله و التزكى و التطهر بتزكيته وتطهيره فهم اشخاص مخصوصون بكرامة الله سبحانه من بين الامة و قوله ليكون الرسول بيان لغاية قوله هو اجتبيكم اه .

وماذكرناه فى معنى الاية هوالذى يفسره به الاخبار الواردة عن ائمة اهل البيت .

ففى الكافى وتفسير العياشى عن الباقر (ع) نحن الامة الوسط و نحن شهداءالله على خلقه وحججه فى ارضه و سمائه .

و عن شواهد التنزيل عن امير المؤمنين (ع) ايانا عنى بقوله لتكونوا شهداء على الناس فرسول الله شاهد علينا و نحن شهداء الله على خلقه وحجته فى ارضه ونحن الذين قال الله و كذلك جعلناكم امة وسطا.

وفى المناقب عن الباقر(ع) فى حديث ولايكون شهداء على الناس الا الائمة و الرسل فاما الامة فانه غير جائز ان يستشهدهاالله و فيهم من لاتجوز شهادته فى الدنيا على خردلة بقل .

وفى تفسير العياشى عن الصادق(ع) قال ظننت انالله تعالى عنى بهذه الاية جميع اهل القبلة من الموحدين افترى ان من لاتجوز شهادته

۱ــ اهل السعادة الذاتية والسعادة المكتسبة وبعبارة اخرى طهارة الذات و التبعية منه .

فى الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيمة ويقبلها منه بحضرة جميع الامم الماضية كلا لم يعن الله مثل هذا من خلقه يعنى الائمة التى وجبت لها دعوة ابرهيم و هم الائمة الوسطى و هم خير امة اخرجت للناس والاخبار فيهذا المعنى كثيرة مستفيضة .

و من هنا يظهر معنى قوله سبحانه **فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** فحيث انه صلى الله عليه وآله ليس شاهدا على الناس من امته بلاواسطة بل على الشهداء منهم فالمشار اليهم بقوله على هؤلاء اه هم الشهداء من كل امة المذكور فى الاية .

واصرح منها قوله سبحانه **و يوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم و جئنا بك شهيدا على هؤلاء** و ذلك لمكان قوله تعالى من انفسهم وقوله نبعث وجئنا فافهم فرسول الله كما انه شهيد على الشهداء من امته شهيد على جميع الشهداء .

وروى القمى فى قوله تعالى شهيدا على هؤلاء يعنى على الائمة فرسول الله شهيد على الائمة وهم شهداء على الناس .

وفى الاحتجاج عن امير المؤمنين (ع) فى حديث يذكر فيه احوال اهل الموقف قال (ع) فيقام الرسل فيسئلون عن تادية الرسالات التى حملوها الى اممهم فاخبروا انهم قد ادوا ذلك الى اممهم و يسئل الامم فيجحدون كما قال الله فلنسئلن الذين ارسل اليهم و لنسئلن المرسلين فيقولون ماجائنا من بشير ولانذير فيستشهد الرسل رسول الله (ص) فيشهد بصدق الرسل و يكذب من جحدها من الامم فيقول لكل امة منهم بلى

قدجائكم بشيرونذير والله على كل شيء قدير اى مقتدر بشهادة جوارحكم بتبليغ الرسل اليكم رسالاتهم و لذلك قال الله لنبيه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا الحديث .

و روى العياشى فى تفسيره عن امير المؤمنين (ع) فى صفة يوم القيمة قال (ع) يجتمعون فى موطن يستنطق فيه جميع الخلق فلايتكلم احد الا من اذن له الرحمن وقال صوابا فيقام الرسل فيسئل فذلك قوله لمحمد (ص) فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيدا وهو الشهيد على الشهداء والشهداء هم الرسل و قد مر كلام فى معنى الجحد والحلف والكذب الواقع فيهذه الاحاديث .

ومن الشهداء الملئكة الكتبة قال سبحانه وما تكون فى شان و ماتتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه و قال و لقد خلقنا الانسان و نعلم ما توسوس به نفسه و نحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الى ان قال وجائت كل نفس معها سائق وشهيد وقال سبحانه وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون الى غيرذلك من الايات .

ومن الشهداء الجوارح والاعضاء قال سبحانه اليوم نختم على افواههم و تكلمنا ايديهم و تشهد ارجلهم بماكانوا يكسبون و قال سبحانه يوم تشهد عليهم السنتهم و ايديهم و ارجلهم بماكانوا يعملون وقال سبحانه و يوم يحشر اعداءالله الى النار فهم يوزعون

حتى اذا ما جائوها شهد عليهم سمعهم و ابصارهم و جلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شيء و هو خلقكم اول مرة و اليه ترجعون و ما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون و ذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم اردیكم فاصبحتم من الخاسرين .

وسياق الايات واردة فى اهل النار فشهادة الجوارح مخصوصة بهم وهى من الشواهد على شمول خطابات الفروع لغير المؤمنين .

وقوله تعالى وقالوا لجلودهم اه وجه تخصيصهم السؤال بالجلود دون الجميع ان السمع والبصر ارفع عن المادة واقرب الى الحيوة والفهم بخلاف الجلود وهى الفروج ومايتلوها فى الحكم فهى اوغل فى المادة وشهادتها اعجب واقطع .

و قوله تعالى قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شيء اه جوابها لهم وقد عدلوا عن الشهادة الى النطق ثم الى الانطاق اشعارا بان الامر الى الله لا اليهم فلا وجه لعتابهم لهم بوضعهم موضع المستقل التام الاختيار فى امرهم بعد ما كان نطق كل شيء منه سبحانه وليس لشيء من الامر شيء ولذا اردف ذلك بقوله و هو خلقكم اول مرة و اليه ترجعون اه فالبدو والعود كلاهما له سبحانه وهو القائم على كل نفس فليس سبحانه غائبا عن شيء بل هو الرقيب وانما يرقب الشيء بالشيء و يحتجب بالشيء عن الشيء ولذا اردفه سبحانه بقوله وما كنتم تستترون اه كانه يقول ما كنتم

تحتجبون عن شهادة الجوارح لالانكم لاتحذرون منها ومن نتيجة شهادتها و لكن ظننتم استقلال الاشياء و غيبة الحق سبحانه عنها وان كل واحد منها منفصل عن الحق ليس مرصادا له سبحانه فظننتم انه لايعلم كثيرا مما تعلمون و هذا هو الغفلة عن الحق سبحانه و انه على كل شيء شهيد وان كل مايحضر عند شيء اويعلمه شيء فهو حاضر عنده بعينه معلوم له بعينه وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم اردیكم فاصبحتم من الخاسرين فافهم .

واعلم ان هذا الاصل وهو ان علم الوسائط وقدرتها وساير كمالاتها بعينها له سبحانه كثير الفروع فى القرآن كقوله سبحانه و ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء و لا اصغر من ذلك و لا اكبر الا فى كتاب مبين و قوله ام يحسبون انا لانسمع سرهم ونجويهم بلى و رسلنا لديهم يكتبون و قوله ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين و عن الشمال قعيد الى غير ذلك من الايات فترى انه سبحانه خلط علمه بعلم الالواح والكتبة .

و بما مر من المعنى يظهر معنى قوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وقد تكرر هذا اللفظ فى القرآن كثيرا فافهم .

ثم اعلم انه يتحصل من الايات المزبورة ان الحيوة سارية فى جميع الاشياء اذا يجاد النطق و الكلام عند شيء ليس شهادة منه الا

اذاكان الكلام له و هو الحيوة وكك افاضة الحيوة يوم القيمة فحسب لشيء و انبائه عن واقعة قبل اتصافه بالحيوة كوقايع الدنيا ليس شهادة منه اذلاحضور ولاتحمل .

و بهذا يظهر معنى قوله سبحانه **و من اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعدائا و كانوا بعبادتهم كافرين** و قوله سبحانه فى وصف الهتم **اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون** فافهم وفيما مر من المعانى اخبار كثيرة .

ففى الكافى عن الباقر (ع) فى حديث و ليست تشهد الجوارح على مؤمن انما تشهد على من حقت عليه كلمة العذاب فاما المؤمن فيؤتى كتابه بيمينه الحديث .

اقول يشير (ع) الى مافى ذيل آيات الشهادة المذكورة **وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين ايديهم وماخلفهم وحق عليهم القول فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين.**

وفى تفسير القمى و الفقيه عن الصادق (ع) فى قوله تعالى شهد عليهم سمعهم و ابصارهم و جلودهم الاية قال يعنى بالجلود الفروج والافخاذ .

وفى تفسير القمى قال(ع) اذا جمع الله الخلق يوم القيمة دفع الى كل انسان كتابه فينظرون فيه فينكرون انهم عملوا من ذلك شيئا فيشهد عليهم الملائكة فيقولون يارب ملائكتك يشهدون لك ثم يحلفون انهم

لم يعملوا من ذلك شيئا و هو قوله ثم يبعثهم الله فيحلفون له كما يحلفون لكم فاذا فعلوا ذلك ختم على السنتهم و ينطق جوارحهم بما كانوا يكسبون .

ومن الشهداء الزمان والمكان من الايام الشريفة والشهور والاعياد والجمع والارض والبقاع والمساجد وغيرها قال سبحانه **و تلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا و يتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين** والبيان المذكور آنفا يوضح هيهنا ان الايام من الشهود ويظهر به ان كلمة من فى قوله منكم ابتدائية لا تبعيضية والشهداء هى الايام وقال سبحانه **ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير** والبيان السابق عائد هيهنا ايضا وقال سبحانه **واخرجت الارض اثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها** .

وفى الكافى عن الصادق (ع) قال ان النهار اذا جاء قال يابن آدم اعمل فى يومك هذا خيرا اشهد لك به عند ربك يوم القيمة فانى لم آتك فيما مضى ولا آتيك فيما بقى و اذا جاء الليل قال مثل ذلك و روى هذا المعنى ابن طاوس فى كتاب محاسبة النفس عن الباقر و الصادق (ع) .

و روى الصدوق فى العلل عن عبدالله الزراد قال سال كهمس اباعبدالله (ع) فقال يصلى الرجل نوافله فى موضع او يفرقها فقال لا بل هيهنا وهيهنا فانها تشهد له يوم القيمة .

ومن الشهداء القرآن والاعمال والعبادات وسياتى ملخص الكلام فيها فى فصل الشفاعة انشاءالله .

واعلم ان البرهان ايضا يفيد مامر من شهادة الشهود فان الاعمال لاتتحقق بينها وبين شيء من الموجودات نسبة الا وهى متحققة بين الذات وبين ذلك الموجود فان الاعمال من تنزلاتها و وجوداتها قائمة الذات بتلك الذوات فببقاء الذات يبقى الصادرات عنها بحسب ما يتحقق بها من الوجود وببقائها تبقى النسب التى الى الاشياء وببقاء النسب تبقى الاشياء ضرورة كون وجوداتها رابطة لاتتحقق الا بطرفين وبحيوتها تحيى الجميع و بحضورها عند الحق سبحانه و بين يديه تعالى بتمام ذاتها و شهادتها و بيانها ماعندها له سبحانه تفعل الجميع ذلك والله العالم فافهم ذلك .

فصل ١٠

فى الحساب من المعلوم ان الحساب وهو كشف المجهول العددى باستعمال الطرق الموصلة اليه انما يتاتى بلحاظ ظرف العلم و الجهل واما اذا فرض نفس الواقع مع الغض عن العلم و الجهل فلا موضوع لهذا المعنى الذى نسميه حسابا و انما الذى فى الواقع و الخارج هو ترتب النتيجة على المقدمات و المعلول على العلة فالوضع الذى هو (٣ × ٨ — ٣ × ٦) يتدرج فيه باستعمال الاسباب والاعمال الحسابية للحصول على النتيجة وهى (٣٠) بالنسبة الينا لجهلنا اولا بذلك وتحصيلنا العلم ثانيا بالحساب ان النتيجة هى الثلثون واما ما فى الخارج فانما هو

عدد مع عدد لا انفكاك بينهما ولا فصل او ترتب النتيجة على تراكم امور واقعية موجودة فى الخارج ليس بينهما فرجة زمانية ولا فاصلة مكانية .

وعلمه سبحانه بالاشياء الواقعية حيث كان عين تلك الاشياء الواقعية على ما تعطيه الاصول البرهانية دون الصور المنتزعة عن الخارج مثل علومنا الحصولية كان القول فى علمه سبحانه عين القول فى الامور الواقعية فحسابه سبحانه عين حساب الواقع وهو ترتب نتائج الامور عليها فيما كان هناك اثر مترتب و قد اخبر سبحانه ان لكل شىء اثرا فى جانبى السعادة والشقاوة يترتب عليه فى الدنيا .

قال سبحانه **قال انا يوسف وهذا اخى قد من الله علينا انه من يتق و يصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين .**

و قال **نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين .**

و قال **ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء .**

وقال **ثم كان عاقبة الذين اساؤا السواى ان كذبوا بآيات الله .**

و قال **وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا .**

و قال **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .**

ومن هذا الباب قوله سبحانه **وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت**

ايديكم وقوله ماأصاب من مصيبة الا باذن الله والايات فى هذا المعنى كثيرة جدا و هى على كثرتها تفيد ان نتائج الامور تتبعها لا محالة فى الدنيا و الاخرة كما ان البرهان ايضا يفيد ذلك .

ثم ان الامور ونتائجها لاتوجد بنفسها ولا بايجادها بل بافاضة منه سبحانه لوجودها فاستتباعها نتائجها استفاضتها منه سبحانه لنتائجها المترتبة عليها كما ان ارتزاق المرزوقين استفاضتها منه سبحانه ما يديم به بقائها من الوجود فالحساب كالرزق بوجه فلا تزال سحابة الفيض تشرب من بحر الرحمة وتمطر مطر الفيض على بحر الامكان فكل قطرة لاحقة تستمد بها سابقتها وهو الرزق وترفع بها حاجتها التى تستحقها وتقتضيها و هو الحساب فكما ان افاضة الرزق لها دائم مستمر ضرورى كما قال سبحانه انه لحق مثل ما انكم تنطقون فكل الحساب بينها دائم مستمر ضرورى فافهم .

وفى النهج سئل عليه السلام كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم فقال (ع) كما يرزقهم على كثرتهم فقيل فكيف يحاسبهم و لا يرونه قال كما يرزقهم ولا يرونه اه وهو انفس كلام فى هذا الباب .

وبالجملة فالامور ومنها الاعمال لاتنفك عن حسابها عند تحققها فى الخارج ادنى انفكاك قال سبحانه والله يحكم لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب و قال سبحانه الا له الحكم و هو اسرع الحاسبين اذ مع اختصاص الحكم به سبحانه وعدم وجود حاكم غيره يضاد بحكمه حكمه ويدفع به امره بنحو من الانحاء بابطال وتعويق وتضعيف وانظار

لايتصور لحكمه سبحانه بطؤ وتعويق و تاخير ولايمكن فيه مسائة و لا صعوبة ولايسر ولاعسر ولاغيرها .

فهذه المعاني اذااطلقت يرادبها حصول معانيها بالنسبة الى ادراك المحاسبين بصيغة المفعول كقوله سبحانه و يخافون سوء الحساب وقوله فحاسبناها حسابا شديدا و قوله تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة .

و روى فى المجمع عن ابى سعيد الخدرى قال قيل يا رسول الله ماطول هذا اليوم فقال (ص) والذى نفس محمد بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا .

وفيه ايضا عن ابى عبدالله (ع) قال لوولى الحساب غير الله لمكثوا فيه خمسين الف سنة من قبل ان يفرغوا و الله سبحانه يفرغ من ذلك فى ساعة .

اقول و بهذين الخبرين يظهر معنى قوله تعالى كان اه فيخفف ذلك على المؤمنين لان وجوههم يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فيرون الامر على حقيقته وما امر الساعة الا كلمح البصر ويطول على الكافرين والفاسقين لانهم يومئذ عن ربهم لمحجوبون فالاختلاف من جانب الناس وغيرهم و اما بالنسبة اليه سبحانه فامره واحد لااختلاف فيه و بالجملة فامر الحساب كما عرفت جار دائما و اما اختصاص يوم القيمة بوقوع الحساب فيه فهو من قبيل اختصاصه فى كلامه تعالى بخصال اخرى غير مختصة به ظاهرا كاختصاص الملك يومئذ لله وبروز الناس يومئذ لله و

كون الامر يومئذ لله و غير ذلك و قد عرفت فيما مر معنى ذلك فوقوع الحساب فيه هو ظهور النتيجة حقيقة بتمام المعنى فهو ظهور نتيجة الخلقة ووصول الممكن الى غاية سيره فى سبيله من الله اليه قال سبحانه **ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا و ان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين** و قال **افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون** وقال **وان الى ربك المنتهى.**

و من هنا يظهر ان الانسان كلما قرب من طريق السعادة ملازما للصراط المستقيم كان الحساب عليه يسيرا فانه اقرب الى النتيجة المقصودة من الخلقة قال سبحانه **فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا** وكلما بعد عن الحق و نكب عن مستقيم الصراط كان الحساب عليه عسيرا فانه ابعد عما اودع الله عزوجل فى فطرته من نتيجة الخلقة و غاية الوجود قال سبحانه **فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير** و قال **ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا** و قال **واما من اوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ماحسابيه** و ينتهى الامر من الطرفين الى من لاحساب له ممن لايليه الاربه فلاعمل له فلا كتاب فلاحساب و هم المخلصون المقربون قال سبحانه **انهم لمحضرون الا عبادالله المخلصين** و ممن لا مولى لهم فحبطت اعمالهم فلا كتاب لهم فلاوزن ولاحساب.

روى فى المعانى عن الباقر (ع) قال قال رسول الله (ص) كل محاسب معذب فقال قائل يارسول الله فاين قول الله فسوف يحاسب حسابا

يسيرا قال (ص) ذلك العرض يعنى التصفح اقول و هذا حديث اطبق الفريقان على رواية معناه واتفقوا على صحته .

و روى العياشى و غيره بطرق متعددة عن الصادق (ع) فى قوله سبحانه ويخافون سوءالحساب ان معناه الاستقصاء والمداقة وانه يحسب لهم السيئات ولايحسب لهم الحسنات .

ومن مامر يتضح امر السؤال وهومن توابع الحساب فان السؤال وهو استيضاح ماعند المسئول من حقيقة الامر والامر يومئذ يدورمدار تفريغ ماعند النفس بحسب الحقيقة من تبعاتها ولواحقها واذنابها التى اكتسبتها من السعادة و الشقاوة و تفريغ حسابها و توفية نتيجته لها قال سبحانه يوم تبلى السرائر وهى مكامن النفوس وقال سبحانه بل بدالهم ماكانوا يخفون من قبل و قال سبحانه و لا يكتمون الله حديثا و قال سبحانه وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله و ما ورد ان الاية منسوخة بقوله تعالى الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فمعنى النسخ هو التفسير و البيان دون بيان غاية الحكم و انقضائها فان ذلك مختص بالشرايع والاحكام غيرجائز فى الحقايق وقال سبحانه فوربك لنسئلنهم اجمعين عماكانوا يعملون و قال فلنسئلن الذين ارسل اليهم و لنسئلن المرسلين و قال وقفوهم انهم مسئولون .

و اعلم ان هذه الايات تعطى عموم السؤال و الحساب لجميع الاعمال والنعم وهوالمحصل من جماعة الاخبار .

ففى نوادرالراوندى باسناده عن موسى بن جعفر (ع) عن آبائه (ع)

قال قال رسول الله (ص) كل نعيم مسئول عنه يوم القيمة الا ماكان فى سبيل الله .

وفى امالى المفيد مسندا عن ابن عيينة قال سمعت اباعبدالله (ع) يقول مامن عبد الا ولله عليه حجة اما فى ذنب اقترفه واما فى نعمة قصر عن شكرها .

وفى كتاب الحسين بن سعيد عن الصادق (ع) الدواوين يوم القيمة ثلثة ديوان فيه النعم و ديوان فيه الحسنات و ديوان فيه الذنوب فيقابل بين ديوان النعم وديوان الحسنات فتستغرق عامة الحسنات وتبقى الذنوب والاخبار فى هذه المعانى كثيرة .

و اجمعها معنى ما رواه الصدوق فى التوحيد عن ابن اذينة عن الصادق (ع) قال قلت له جعلت فداك ماتقول فى القضاء والقدر قال اقول ان الله اذا جمع العباد يوم القيمة سالهم عما عهد اليهم و لم يسئلوا عما قضى عليهم الحديث .

نعم روى اصحابنا عن على والباقر والصادق والرضا عليهم السلام فى قوله سبحانه ولتسئلن يومئذ عن النعيم ان المراد بالنعيم هو الولاية لامايرتفع به الحوائج الانسانية من ماكول ومشروب وملبوس وغيرها.

فعن الصادق (ع) انه قال لابى حنيفة بلغنى انك تفسر النعيم فيهذه الاية بالطعام الطيب و الماء البارد فى اليوم الصائف قال نعم قال (ع) لودعاك رجل و اطعمك طعاما طيبا و سقاك مائا باردا ثم امتن عليك به الى ماكنت تنسبه قال الى البخل قال (ع) افبخل الله تعالى قال فما هو

قال (ع) حبنا اهل البيت .

وفى الاحتجاج عن على(ع) فى حديث ان النعيم الذى يسئل عنه رسول الله ومن حل محله من اصفياء الله فان الله انعم بهم على من اتبعهم من اوليائهم .

وفى المحاسن عن ابى خالد الكابلى عن الباقر (ع) فى حديث بعد ذكر الاية قال (ع) انما تسئلون عما انتم عليه من الحق الحديث .

و الاعتبار العقلى يساعد هذا المعنى فان الولاية و هى معرفة الله والتحقق بها حيث كانت غاية الخلقة لاغاية غيرها فكل افاضة انما تكون نعمة و ملائمة للكمال و الراحة اذا وقعت فى طريق الغاية او لو حظت من حيث صحة وقوعها فى طريقها لكنها بعينها اذا وقعت فى طريق يضاد الغاية صارت نقمة و اذا لم تقع فى طريق اصلا كانت لغوا باطلا فكل شىء نعمة من حيث ايصاله الانسان الى ساحة الولاية وامامع الغض عن ذلك فلا نعمة فصح ان النعمة المطلقة هى التوحيد و النبوة و الولاية كما فى بعض الروايات وصح ان النعمة بالنسبة الينا هى الولاية كما فى بعض آخر فافهم والله الولى الحق .

فصل ١١

فى الجزاء قال سبحانه **ليجزى الذين اسائوا بما عملوا و يجزى الذين احسنوا بالحسنى** و مجازاة المحسن بالجنة و المسىء بالنار فيها آيات كثيرة جدا وقد جعلها سبحانه احد الدليلين على وقوع الحشر

فقال وما خلقنا السماء و الارض و ما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار فان الحكيم من حيث هو حكيم كما يستحيل ان يفعل فعلا لاغاية له ولانتيجة متولدة من فعله كما هو مفاد الدليل الاول كك يستحيل عليه ان يهمل امر جماعة فيهم الصالح والطالح والظالم والمظلوم فلايجازى المحسن باحسانه والمسىء باسائته.

ثم انك ترى انه سبحانه اقر النسبة بين العمل والجزاء فالاحسان يجزى بالاحسان والاسائة تجازى بالاسائة ثم جاوز وعده ووعيده مطلق الاحسان والاسائة فايد خصوصيات فى الاحسانات و الاسائات بحسب خصوصيات فى الاعمال فايد بذلك ان بين الاعمال وجزائها نسباخاصة و ارتباطات مخصوصة ثم جاز كلامه سبحانه ذلك بان اخبر بالعينية و الاتحاد بين العمل و جزائه قال سبحانه و لكل درجات مما عملوا و ليوفيهم اعمالهم و هم لا يظلمون فصدر الاية يحكى عن النسبة المذكورة ووسطها عن الاتحاد بين العمل والجزاء و ذيلها عن الجزاء العادل وهو سبب النسبة والعينية المذكورتين وماذكرناه من معنى الحساب وحقيقته فى الفصل السابق عائد هيهنا ايضا تعالى و قال سبحانه واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون و قال وما تنفقوا من خير يوف اليكم و انتم لا تظلمون و قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الى غير

ذلك من الايات الكثيرة الدالة على ان ما يعمله الانسان من خيرا و شر سيرد اليه بعينه .

ثم شرح سبحانه معنى هذه العينية فقال ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب و يشترون به ثمنا قليلا اولئك مايا كلون فى بطونهم الاالنار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم فبين ان معصيتهم على كونها فيهذه النشأة فى صورة كتمان ماانزل الله واشتراء الثمن القليل بذلك فهى بعينها متصورة فى الباطن بصورة اكل النار كما ورد مثله فى اكل مال اليتيم ظلما ثم اردف سبحانه ذلك بقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار فبين ان هؤلاء بدلوا الهدى والمغفرة بهذا الضلال والعذاب و الهدى و المغفرة مرتبان على الاستقامة و التقوى كما ان اكل النار و الضلالة والعذاب تترتب على الكتمان والاشتراء المذكورين فالتعرض منه سبحانه بالتبديل فيما يترتب على المعاصى دون ظاهر نفس المعاصى وتبديله سبحانه اكل النار واخواته بمعنى عام و هو الضلال و العذاب بيان منه تعالى لكون تبدل صورة الافعال مطردا فى جانبى الطاعات و المعاصى جميعا فافهم وتدبر .

ثم بين سبحانه ذلك فى المؤمنين خاصة فقال الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقال اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه و هو روح الايمان و قال ولكن جعلناه اى النور المنزل على رسول الله نورا نهدى به من نشاء من عبادنا

وهو روح القدس وقال يؤتكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نورا تمشون به و يغفر لكم وقال لهم اجرهم و نورهم الى غير ذلك من الايات .

وبالجملة فصور علومهم واخلاقهم واعمالهم انوار الهية طاهرة موهوبة تطهرهم من الارجاس وتنجيهم من الظلمات فيشاهدون به عظمة الله وكبريائه وملكوت السموات والارض طوبى لهم وحسن مآب .

ثم بين سبحانه ذلك فى الكافرين و الفاسقين فقال عز من قائل والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات و قال و الذين كذبوا بآياتنا صم و بكم فى الظلمات من يشاء الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم وقال انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا وقال وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم و قال و من يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين و قال كذلك زينا لكل امة عملهم الى ان قال و نقلب افئدتهم و ابصارهم و قال فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون و قال انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون و جعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وقال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماءا حتى اذا جائه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفيه حسابه والله سريع الحساب

فاخبر سبحانه ان الشرك بالله والمعاصى على اختلاف تصوراتها توجب خروجهم من النور الى عالم الظلمات فيضلهم الله عزوجل فى الظلمات ويصمهم ويبكمهم ويعميهم ويرسل الشياطين اليهم وهم قرنائهم الى يوم القيمة فيقطب ابصارهم وافئدتهم فلايقصدون الا السراب الباطل ولايقدرون ان يرروا الحق و يتناولوه كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه بل الاغلال فى اعناقهم والسدود من بين ايديهم ومن خلفهم وهم المغشيون وليس كل ذلك الا صور الاعمال ونتيجة الحساب فيما يعتبر فيه ثواب وعقاب هذا .

وكثير من الاخبار يشهد بذلك فعن رسول الله (ص) كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون الخبر و هو من جوامع الكلم و هو مع قوله (ص) الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الخبر يعطيان علم مبدء الانسان ومعاده بالاستيفاء .

وفى الكافى عن الصادق (ع) قال اذا وضع الميت فى قبره مثل له شخص فقال يا هذا كنا ثلثة كان رزقك فانقطع بانقطاع اجلك وكان اهلك فخلفوك و انصرفوا عنك وكنت عملك فبقيت معك اما انى كنت اهون الثلثة عليك .

وعن البهائى رحمه الله قال روى اصحابنا عن قيس بن عاصم قال وفدت مع جماعة من بنى تميم على النبى (ص) فدخلت عليه و عنده الصلصال بن الدلهمس فقلت يارسول الله عظنا موعظة ننتفع بها فانا قوم نعير فى البرية فقال رسول الله ياقيس ان مع العز ذلا وان مع الحيوة موتا

وان مع الدنيا آخرة و ان لكل شيء حسيبا و ان لكل اجل كتابا و انه لابدلك ياقيس من قرين يدفن معك وهو حي وانت ميت فان كان كريما اكرمك وان كان لئيما اسلمك ثم لايحشر الا معك ولا تحشر الا معه ولا تسئل الاعنه فلاتجعله الاصالحا فانه ان صلح أنست به وان فسد لاتستوحش الامنه وهو فعلك الخبر .

والاخبار فى تمثل الصوم والصلوة والزكوة و الولاية و الصبر والرفق والقرآن والتسبيح والتهليل وساير العبادات و المعاصى بصور تعطيها معانيها اكثر من ان تحصى والبرهان المذكور سابقا يعطى ذلك .

و ايضا الثواب و العقاب انما هما على الطاعة و المعصية اى موافقة الامر ومخالفته وهو كما ذكرناه فى رسالة الانسان فى الدنيا امر اعتبارى وهمى والثواب والعقاب الاجلان من الامور الحقيقية الواقعية و النسبة الرابطة بين الامر الاعتبارى و الحقيقى ممتنعة الا بكون الامر الاعتبارى مكتنفا بامر حقيقى و حيث ان الانسان بثبوته يثبت الطاعة والمعصية ولو فرضنا رفع ماعداه وبارتفاعه يرتفعان و لو فرضنا وضع ماعداه فهذا الامر الحقيقى مع الانسان و هو مجموع النفس و البدن و البدن يتبدل بالتدريج قطعا مع بقاء صفة الطاعة و المعصية و السعادة والشقاوة فالذى يدور مداره الامر هو الروح الذى هو الانسان فمع الانسان معنى هو المصحح للنسبة المذكورة و هو المعانى المخصوصة من خصوصيات الطاعات والمعاصى .

فصل ١٢

فى الشفاعة قال سبحانه و اتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا و لايقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل و لاهم ينصرون وقال واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا ولايقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة ولا هم ينصرون و قال يااايهاالذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى يوم لابيع فيه ولا خلة و لا شفاعة تنفى الايات قبول شفاعة من نفس فى نفس غير ان هناك آيات أُخر تخصص هذا العموم و تفسره كما تخصص عموم عدم النصر و تفسره قال سبحانه يوم لايغنى مولى عن مولى شيئا و لا هم ينصرون الا من رحم‌الله انه هو العزيز الرحيم و قال من ذاالذى يشفع عنده الا باذنه يعلم مابين ايديهم وماخلفهم وقال ولاتنفع‌الشفاعة عنده الا لمن اذن له فبين سبحانه ان الشفاعة يومئذ لاتقع ولا تنفع الا باذن للشافع فى‌شفاعته وللمشفوع فى‌الشفاعة له وقد فسر الاذن للشافع بقوله يومئذ لاتنفع الشفاعة الا من اذن له‌الرحمن ورضى له قولا فاذنه سبحانه رضاه بقوله اى‌كون قوله و هو شفاعته مرضيا و قال سبحانه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الا من اذن له‌الرحمن وقال صوابا فالقول المرضى هو القول الصواب و قد اسلفنا فى فصل الشهادة ان مرجع ذلك الى انتهاء اعمال العاملين و لحوقها بهذا الذى اذن له فى القول الصواب وحضورها له ووساطته فى افاضة الفيوضات

الالهية لهم و يرجع ذلك الى تمكين الحق سبحانه للشافع من شهادة حقايق الاعمال و العلم بها كما قال سبحانه **ولا يملك[1] الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون.**

وبالجملة فاذنه سبحانه فى قول هو الرضا عنه ومن المعلوم ان الرضا لا يتعلق الا بكمال الشىء من حيث انه كمال فالقول المرضى عنه هو كمال القول و هو كونه صوابا فالماذونون مرضيون فى قولهم صائبون فى علمهم مرضيون فى ذاتهم اذالقول من آثار الذات ولا يستكمل اثر من آثار الذات الا بعد استكمال نفسه التى هى المبدء و هو ظاهر دون العكس اذالذات يمكن ان يقع مرضيا لطهارة محتده وخلوص عقايده ولايقع مرضيا فى افعاله و آثاره لورود مانع حاجب.

والحاصل ان الشافعين هم الذين رضى الله عنهم و رضى قولهم اى شهد كمالهم وكمال قولهم لا يشوبه نقص و لا خطأ اى ان علمهم علمه سبحانه لم يختلط بشبهات الاوهام و خطأ الاهواء فان العلم فيما يحيط به ويصدق هو له سبحانه قال تعالى **ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء** ولذلك فان النبيين وهم السابقون من المرضيين ينفون العلم عن انفسهم اذا خاطبهم الله سبحانه **يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لاعلم لنا انك انت علام الغيوب** مع ان العلوم التى معهم

۱ــ فقد اخذ سبحانه فى تملك الشافع للشفاعة قيدين وهما العلم وكون الشفاعة بالحق دون الباطل والظاهر ان المراد بالشهادة هو التحمل دون الاداء وانكان مرجعهما واحدا منه.

اكثر واصدق من علوم غيرهم بلاشك فهؤلاء باقون على طهارة الذات الاصلية موفون بعهدهم الذى واثقوه مع ربهم قال سبحانه **لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا** و بالجملة فالشافعون هم المرضيون ذاتا واعمالا .

و مثل ذلك فى الذات ماخوذ فى جانب المشفوعين قال سبحانه **ولا يشفعون الا لمن ارتضى** فالارتضاء مطلق وليس ناظرا الى الاعمال فان الشفاعة انما هى فيها فالارتضاء انما تعلق بهم لا باعمالهم اى ان نفوسهم طاهرة بالايمان ويشهد به ايضا قوله سبحانه **ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم** يشعر بان الايمان وهو مقابل الكفر مرضى له .

ثم انه سبحانه قال فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين فبان بذلك ان نفع الشفاعة هو تبدل السيئات التى توجب الفسق بغيرها من الحسنات بسببها حتى يحصل الرضا رضى الرب وقد وعد سبحانه مغفرة الصغاير من المعاصى لمن اجتنب الكبائر منها فقال **ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم** و قال سبحانه **الذين يجتنبون كبائر الاثم و الفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة** فلم يبق لسخط الرب سبحانه وعدم رضاه الا الكبائر فهى المستحق بها للشفاعة وقد صح عن النبى صلى الله عليه وآله فيما رواه الفريقان قوله (ص) انما شفاعتى [١] لاهل الكبائر من امتى اومافى معناه فالشفاعة انما توجب تبدل

١ــ ويظهر مما قدمناه من القول فى باب الشهادة من عموم شفاعته (ص) ان المراد بالشفاعة هو الشفاعة الخاصة فى الحديث او ان قوله من امتى متعلق بقوله شفاعتى اه منه .

هذه الكبائر قال سبحانه **الا من تاب و آمن وعمل عملا صالحاً فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات** فالشفاعة كما ترى تحل محل العمل الصالح وقال سبحانه **اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** فالشفاعة كالعمل الصالح تفيد رفع الكلم الطيب و هو الايمان الى الله سبحانه فالشفاعة توجب لحوق المذنبين من المؤمنين فقط بالصالحين منهم فمثل الشفاعة كمثل البدن اذا اعتراه مرض او قرحة مخطورة فان المزاج اذا كان قويا والطبيعة البدنية سالمة اصلحت الصحة ودفعت المرض عنه والا احتيج الى علاج بالضد و دواء يبطل فعل المرض و ينصر الطبيعة فى اعادتها صحة البدن اليه و تبديلها المواد الفاسدة المجتمعة فيه الى الصالحة الملائمة له فالفاعل للصحة على كل حال هى الطبيعة غير انها مستقلة فى فعلها حينا ما ومحتاجة الى ناصر ينصرها حيناما و لذلك فانه سبحانه يكرر القول بان لكل نفس ما كسبت وعليها مما اكتسبت واصرح من ذلك محلا قوله سبحانه **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم و ما التناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين** فبين اولا انه سيلحق ذريتهم بآبائهم فى درجاتهم لا فى اصل الرحمة لقوله وما التناهم من عملهم من شيء اه ثم اردفه بقوله تعالى كل امرىء بما كسب رهين اه فعد هذا اللحوق من الكسب مع ان اعمالهم دون ذلك فعلمنا به ان الايمان توجب اتصالا ما من الدانى بالعالى واذا حجبهما من الاستواء فى الدرجات حاجب مانع من القصور اصلحه الايمان وارتفعا جميعا الى درجة واحدة وهذه حال الشفاعة توجب لحوق المشفوع

بالشافع ثم اصلاح اعماله السيئة وجعلها حسنة بذلك .

وفى قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات اه اشارة الى ذلك اذلولا اصل محفوظ بين المبدل و المبدل منه كان التبديل اعداما للمبدل و ايجادا للمبدل منه .

واعلم ان المغفرة فى ذلك كالشفاعة و سياتى فى فصلى الاعراف والمغفرة مايتبين به هذا المعنى فضل تبين .

ومن هنا يتبين ان الشفاعة نوع تصرف فى الاعمال بتبديلها ولذلك خصه سبحانه بنفسه فى قوله **ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولاشفيع** .

وهذا يؤيد ماذكرناه من مقام الشافع ان الشفاعة لاتتم الا بكمال القرب منه سبحانه ويظهر ذلك ايضا من قوله **ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذافزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير** والتفزيع عن القلب كشف الفزع وهو الدهشة والصعقة التى توجب غيبوبته عن نفسه و قوله سبحانه **ثم استوى على العرش يدبر الامر مامن شفيع الا من بعد اذنه** اذا ضم الى الاية الاولى و السياقان واحدا فادت ان تمليكه تعالى الشفاعة لغيره يتحقق بعد الاذن اى بعد الاذن يتحقق كون فعل الشافع فى شفاعته و قوله فعل الله سبحانه واصرح منه قوله **من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم مابين ايديهم و ما خلفهم** فالاذن هو الموجب لهذا الذى نسميه كمال القرب و هو الجاعل فعل الشافع فعله سبحانه و قد مر تفسير الاذن بالرضا و قد قال

سبحانه ايضا يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا و لا هم ينصرون الا من رحم الله فبين به ان الذى نسميه شفاعة قائم بالرحمة فهو رحمته سبحانه كما يستشم ايضا من قوله سبحانه و رحمتى وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون .

ثم انه سبحانه قال لرسوله و ما ارسلناك الا رحمة للعالمين وهو كلام مطلق يعطى ان له (ص) من الله سبحانه مقاما غير مقام الشفاعة ارفع منها وهو مقام الاذن الذى يحصل بعده وبسببه الشفاعة فهو (ص) شفيع الشفعاء كما مر انه (ص) شهيد الشهداء .

واعلم ان مساق هذه الاية فى تفضيله (ص) على العالمين غير مساق قوله ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين الايه فان الظاهر منها ان تفضيلهم انما هو بجمع الايات الباهرات لهم وهو كك و ليس تفضيلا فى قرب التقوى من الله تعالى ويدل على ذلك النقمات والسخطات ونزول الرجز بهم و ليس تفضيل امة على العالمين كتفضيل الواحد على العالمين و خاصة بالرحمة التى هى الواسطة التامة بين الله سبحانه وبين الموجودات وهى شيء فى البين وليس بشيء فى البين فهو سبحانه يخلق كل شيء بذاته ويرزق كل شيء بذاته ويبدء ويدبر و يعيد كل شيء بذاته و يفعل ذلك كله برحمته .

و فى هذا المعنى خطابه تعالى له (ص) بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا و لفظ يبعث كانه تضمن معنى الاقامة و هو كلام

مطلق لم يعتره فى كلامه سبحانه تقييد فهو مقام محمود بكل حمد من كل حامد فهومقام فيه كل جمال وكمال لاقتضاء الحمد ذلك فكل جمال وكمال مترشح من هناك وقد قال سبحانه **الحمد لله رب العالمين** فخص كل حمد من كل حامد بنفسه فالمقام المحمود مقام متوسط بينه سبحانه وبين الحمد فهو كالرحمة شيء وليس بشيء وهو المسماة بالولاية الكبرى و قال سبحانه و **لسوف يعطيك ربك فترضى** و هذا ايضا كلام مطلق ومن المعلوم ان العطية المطلقة منه سبحانه هى الرحمة المطلقة فيرجع مضمون الاية الى الايتين وهما و ماارسلناك الا رحمة للعالمين و عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وتزيد عليهما بالرضى و لم يقل سبحانه حتى ترضى فان العطية هذه العطية غير تدريجية بتواتر الامثال وتعاقب الجزئيات و هيهنا كلام كثير لكنه ارفع سطحا مما جرينا عليه فى هذه الرسالة .

فالمحصل من جميع مامر ان محمدا صلى الله عليه وآله على ان له الشفاعة للمذنبين من امته له مقام الاذن فى الشفاعة والاخبار فى ذلك كثيرة متضافرة .

فقد روى القمى فى تفسيره عن الباقر (ع) فى حديث ثم قال مامن احد من الاولين والاخرين الا وهو محتاج الى شفاعة محمد (ص) يوم القيمة الحديث .

وروى هذا اللفظ فى المحاسن عن الصادق (ع) .

و روى العياشى فى تفسيره عن الصادق (ع) فى حديث طويل

ثم قال ابوعبدالله (ع) ما من نبى من لدن آدم الى محمد الا وهم تحت لواء محمد (ص) الحديث .

و روى القمى فى تفسيره عن سماعة عن الصادق (ع) قال سالته عن شفاعة النبى (ص) يوم القيمة قال يلجم الناس يوم القيمة العرق ويرهقهم الفلق فيقولون انطلقوا بنا الى آدم يشفع لنا فياتون آدم فيقولون اشفع لنا عند ربك فيقول ان لى ذنبا وخطيئة فعليكم بنوح فياتون نوحا فيردهم الى من يليه ويردهم كل نبى الى من يلى حتى ينتهون الى عيسى فيقول عليكم بمحمد (ص) فيعرضون انفسهم عليه ويسئلونه فيقول انطلقوا فينطلق بهم الى باب الجنة ويستقبل باب الرحمن و يخر ساجدا فيمكث ماشاءالله فيقول الله عزوجل ارفع راسك واشفع تشفع وسل تعط وذلك قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا .

وروى العياشى فى تفسيره مايقرب منه وهذا المعنى وارد فى انجيل برنابا بنحو ابسط فيما بشر به المسيح عيسى بن مريم (ع) بمحمد (ص).

وروى فرات بن ابرهيم فى تفسيره عن بشر بن شريح قال قلت لمحمد بن على (ع) اية آية فى كتاب الله ارجى قال (ع) ما يقول فيها قومك قلت يقولون يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال (ع) لكنا اهل بيت لانقول ذلك قال قلت فاى شىء تقولون فيها قال نقول و لسوف يعطيك ربك فترضى الشفاعة والله الشفاعة والله الشفاعة .

القول فى اقسام الشافعين

منهم الانبياء والاولياء من البشر وقد سبق الكلام فيه .

ومنهم الملائكة قال سبحانه **وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى** الى غير ذلك من الايات .

و منهم المؤمنون قال سبحانه **وما اضلنا الا المجرمون فمالنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين** فقد استشعروا ان هناك صديقا حميما ينفع البعض لمكان قولهم لنا اه ويظهر منه ان الشافع والحميم انما ينفع المؤمنين .

وفى الكافى عن الباقر (ع) ان الشفاعة لمقبولة وما تقبل فى الناصب و ان المؤمن ليشفع جاره و ماله حسنة فيقول يا رب جارى كان يكف عنى الاذى فيشفع فيه فيقول الله تبارك وتعالى انا ربك وانا احق من كافى عنك فيدخل الله الجنة وماله من حسنة وان ادنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلثين انسانا فعند ذلك يقول اهل النار فمالنا من شافعين ولا صديق حميم والروايات فيهذا المعنى كثيرة .

ومن الشفعاء القرآن والامانة والرحم عدت من الشفعاء فى الروايات ففى فردوس الديلمى عن ابى هريرة عن النبى (ص) قال الشفعاء خمسة القرآن والامانة والرحم ونبيكم واهل بيت نبيكم .

اقول ولعل شفاعة الثلث الاول يستفاد من قوله سبحانه فى وصف

كتابه هدى و رحمة و بشرى للمسلمين وقد قال سبحانه يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولاهم ينصرون الا من رحم الله وقوله سبحانه انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها و اشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات و المشركين و المشركات و يتوب الله على المؤمنين و المؤمنات و كان الله غفورا رحيما فبين سبحانه ان غاية عرض الامانة على الانسان وتحمله لها هو التوبة على المؤمنين والعذاب على المنافقين والمشركين بسببها و هو الشفاعة و قد فسرنا الاية سابقا بالولاية ولاتنافى وذلك لان المأخوذ فى كلامه سبحانه الامانة دون الولاية فهو اخذ الخاص من العام وانطباقه به فافهم وقوله سبحانه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم هيهنا حميم والحميم هو القريب ذو الرحم والدليل على شفاعته قوله تعالى له اه.

وفى الكافى عن سعد الخفاف عن الباقر (ع) انه قال ياسعد تعلموا القرآن فان القرآن ياتى يوم القيمة فى احسن صورة نظر اليه الخلق ثم ذكر (ع) انه ياتى صف المسلمين ثم صف الشهداء ثم الانبياء ثم الملائكة وكل يحسب انه منهم ثم يشفع فيشفع ويسأل فيعطى وفى آخره قال سعد قلت جعلت فداك يا ابا جعفر وهل يتكلم القرآن فتبسم (ع) ثم قال رحم الله الضعفاء من شيعتنا انهم اهل تسليم ثم قال نعم ياسعد والصلوة تتكلم ولها صورة و خلق تامر وتنهى قال سعد فتغير لذلك لونى و قلت هذا شىء لااستطيع اتكلم به فى الناس فقال ابو جعفر (ع) و هل الناس الا شيعتنا

فمن لم يعرف بالصلوة فقد انكر حقنا ثم قال ياسعد اسمعك كلام القرآن قال سعد فقلت بلى صلى الله عليك فقال ان الصلوة تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله اكبر فالنهى كلام الفحشاء و المنكر رجال و نحن ذكرالله و نحن اكبر الحديث .

و هو مشتمل على معان جمة يستفاد بها اخرى و الذى يرتبط بما نحن فيه ان المعانى التى تشترك فى اللفظ مع المعانى والاحوال الموجودة فى الاحياء كالامر والنهى والنفع و الشفاعة وغيرها ستتمثل فى البرزخ بصورها و يتحقق فى الحشر بحقيقتها و لمزيد البيان موضع آخر على انها مستفادة من البرهان المذكور سابقا وهيهنا روايات أُخر متفرقة فى ابواب المعارف والعبادات .

ومن الشفعاء الاعمال الصالحه قال سبحانه **الا من تاب و آمن و عمل عملا صالحاً فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات** فقدمر ان معنى الشفاعة تبديل سيئة المذنب بالحسنة لقرب بين الشافع و المشفوع له و الرواية السابقة فى شفاعة القرآن تعطى معنى كليا فى شفاعة الاعمال .

فصل ۱۳

فى الاعراف قال سبحانه و بينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم اعراف الحجاب اعاليه و الاعراف التلال المرتفعة من كثبان الرمل واتصال الاعراف فى الاية الشريفة بالحجاب يؤيد المعنى الاول وكون الرجال عليها يؤيد المعنى الثانى لكن لامغايرة

فالحجاب مايحجب شيئا عن شيء فهولاء الرجال فى مقام عال مرتفع مطل على الفريقين اهل الجنة و اهل النار مشرف على المقامين الجنة و النار و لذلك كانوا على الاعراف ليعرفوا كلا بسيماهم و قد وصف سبحانه الامر بلسان آخر فى قوله يوم يقول المنافقون و المنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسورله باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فقوله انظرونا نقتبس من نوركم كقوله فى ذيل آية الاعراف ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء اومما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين واختصاص المنافقين بالباب لمكان نفاقهم واشتراكهم مع المؤمنين فى ظاهر امرهم فيعذبون من ظاهر الحجاب من قبل الباب .

وبالجملة فقد بين سبحانه ان هذا الحجاب و السور شيء واحد ذوظاهر وباطن وان الرحمة للفائزين فى باطنه وان العذاب للهالكين فى ظاهره فكانهم لوجازت انظارهم ظاهره اصابوا النعيم وغشيتهم الرحمة وكان المؤمنين والكافرين ليس قبلهم الا شيء واحد وانما الاختلاف من ناحية ادراكهم كحالهم فى الدنيا وهو السبيل الى الله سلكه المؤمنون فى الدنيا صراطا مستقيما و انحرف فيه غيرهم و لذلك قال سبحانه قبل آية الاعراف و نادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله

و يبغونها عوجا وهم بالاخرة كافرون فالسبيل واحد وهو لله والى الله سلكه سالك بالاستقامة وآخر قصده عوجا ومنحرفا وهذا المعنى مكرر الورود تصريحا وتلويحا فى القرآن قال سبحانه يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون اولم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات و الارض و ما بينهما الا بالحق و اجل مسمى و ان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون و قال و الذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماثا حتى اذا جائه لم يجده شيئا و وجد الله عنده فوفيه حسابه و قال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا و لم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله و هو اعلم بمن اهتدى و قال سبحانه ان الذين لا يرجون لقائنا و رضوا بالحيوة الدنيا و اطمانوا بها و الذين هم عن آياتنا غافلون اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون .

والايات فيهذا المعنى كثيرة جدا يمنعنا عن الاستقصاء فيها وبيانها ماشرطنا على انفسنا فى صدر الرسالة من الاختصار .

و من ابلغها فى هذا الباب قوله سبحانه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا و قد مر ان النعمة فى هذه الاية هى الولاية و هى السبيل الى الله و يقابله الكفر و احلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها و بئس القرار فغاية هؤلاء البوار لجمودهم على الظاهر واعراضهم عن الباطن و الظاهر بائر و الباطن ثابت قاطن كما يشير اليه قوله سبحانه

و بشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم و قوله فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وقوله لايسمعون فيها لغوا ولا تاثيما وقوله لايسمعون فيها لغوا و لاكذابا فغاية المؤمنين هو محل الصدق والحق ليس فيه لغو و لاكذب بخلاف غيرهم .

وكيف كان فاصحاب الاعراف هم المهيمنون على المكانين المشرفون على الفريقين وليست هذه الكثبان كثبان رمل من مادة ارضنا فقد قال سبحانه فى وصف الارض يومئذ لاترى فيها عوجا و لا امتا بل انما هو مقامهم المرتفع عن ساحة اهل الجمع فهم غير محضرين فهم المخلصون الذين حفظهم الله سبحانه من صعقة النفخ وفزع اليوم ومقامهم الحجاب و فيه الرحمة التى وسعت كل شىء و النار التى احاط باهلها سرادقها و هو المستشعر بقوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ولم يقل سبحانه فاذن بينهم مؤذن كما لايخفى وهم الحاكمون يوم القيمة قال سبحانه و نادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ماأغنى عنكم جمعكم وماكنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لاينالهم الله برحمة و هى الجنة كما مر وكما يدل عليه قوله ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون و هم اصحاب الروح الماذون لهم فى الكلام والقول الصواب فى قوله سبحانه يوم يقوم الروح و الملائكة صفا لايتكلمون الا من اذن له الرحمن و قال صوابا .

وقد فصلنا القول فى معنى الروح وايمانه وعلمه فى رسالة الانسان

قبل الدنيا فى قوله سبحانه وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ماكنت تدرى ماالكتاب ولاالايمان فهم اعنى اصحاب الاعراف هم المعنيون ظاهرا بقوله سبحانه و ترييهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى و قال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة فقد قضوا بخسرانهم .

و هم ايضا المعنيون بقوله تعالى و يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم و الايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لاتعلمون فزعمهم ذلك لما قيدوا فى الدنيا فلم يتسع انظارهم بازيد من ان يدركوا ساعة من دهرهم واقعون فيها ففاتهم ماكانوا عليه قبل النزول فى الدنيا وماسيكونون عليه بعد الارتحال من الدنيا ووقعوا فيها بحسب سيطرة الزمان لاتزال ساعه تبطن وساعة تظهر فهم يقسمون حين البعث مالبثوا غير ساعة وهذا الوهم الشبيه بالحقيقة قدقرره سبحانه بقوله كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الاساعة من نهار بلاغ وقوله قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون و لذلك فليس قولهم و قسمهم على مايقولون و يدعون تقليلا منهم لمدة مكثهم فى الارض بالنسبة الى البقاء الابدى الذى شاهدوه حين البعث ولذلك اردف ذلك بقوله كذلك كانوا يؤفكون .

وقول اولى العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث

كانه اشارة الى قوله ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم وقد مر معنى الاية فى الكلام فى الاجل والموت واذكان اللبث و انتهائه مفروغا منه اردفوه بقولهم فهذا يوم البعث و هو النتيجة و قالوا ولكنكم كنتم لاتعلمون بهذا الانتهاء والتحديد وان الساعة كلمح البصر او هو اقرب وان جهنم لمحيطة بالكافرين .

واعلم ان صدور هذه الدعوى الباطلة من المبعوثين .

ثم ظهور بطلانها لهم و امثال ذلك كالمخاصمات التى تقع بين الضعفاء والمتكبرين والاتباع والمتبوعين يوم القيمة على ماحكاه سبحانه عنهم لاينافى مامر من ان اليوم يوم يظهر فيه الحقايق وترتفع فيه الحجب فان الظهور بنفسه يتحقق عن خفاء وينحل الى مراتب غير ان الامر طويل عسير عند بعض و قليل نزر يسير عند آخرين هذا .

والاخبار الواردة فى الباب يؤيد مامر من المعانى فقد روى العياشى عن سلمان قال سمعت رسول الله (ص) يقول لعلى (ع) اكثر من عشر مرات ياعلى انك والاوصياء من بعدك اعراف بين الجنة والنار لايدخل الجنة الامن عرفكم وعرفتموه ولايدخل النار الامن انكركم وانكرتموه.

وروى القمى فى تفسيره عن الصادق (ع) كل امة يحاسبها امام زمانها ويعرف[1] الائمة اوليائهم واعدائهم بسيماهم وهو قوله و على الاعراف

١- وكانهم المراد فاعلا للفعل المجهول فى قوله سبحانه يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى و الاقدام الاية فهو سبحانه لا يخفى له منهم شىء و المجرمون فى شغل عن المعرفة منه .

رجال يعرفون كلا بسيماهم فيعطوا اوليائهم كتابهم بيمينهم فيمروا الى الجنة بلا حساب و يعطوا اعدائهم كتابهم بشمالهم فيمروا الى النار بلاحساب .

وروى فى الكافى عن امير المؤمنين (ع) فى قوله تعالى و على الاعراف رجال الاية نحن على الاعراف نعرف انصارنا بسيماهم ونحن الاعراف الذين لايعرف الله عزوجل الا بسبيل معرفتنا و نحن الاعراف يوقفنا الله على الصراط فلايدخل الجنة الامن عرفنا وعرفناه ولايدخل النار الا من انكرنا وانكرناه .

اقول استفاد (ع) هذا المعنى و هو ان الاعراف من المعرفة من قوله سبحانه رجال يعرفون كلا بسيماهم الاية ومن المحتمل ان يرجع (ع) الضمير فى سيماهم الى قوله رجال وكلا جميعا فافهم .

وروى القمى عن الباقر (ع) انه سئل عن اصحاب الاعراف فقال انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم الاعمال و انهم لكما قال الله عزوجل اقول يشير (ع) الى قوله ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اه .

وفى الجوامع عن الصادق (ع) الاعراف كثبان بين الجنة والنار يوقف عليها كل نبى وكل خليفة نبى مع المذنبين من اهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده و قد سبق المحسنون الى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه انظروا الى اخوانكم المحسنين قد سبقوا الى الجنة فيسلم عليهم المذنبون وذلك قوله تعالى سلام عليكم

لم يدخلوها و هم يطمعون ان يدخلهم الله اياها بشفاعة النبى و الامام و ينظر هؤلاء الى النار فيقولون ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين و ينادى اصحاب الاعراف وهم الانبياء و الخلفاء رجالا من اهل النار و رؤساء الكفار يقولون لهم مقرعين ماأغنى عنكم جمعكم و استكباركم هؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء يستضعفونهم و يحتقرونهم بفقرهم و يستطيلون عليهم بدنياهم ويقسمون ان الله لايدخلهم الجنة ادخلوا الجنة يقول اصحاب الاعراف لهؤلاء المستضعفين عن امر من امرالله عزوجل لهم بذلك ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولاانتم تحزنون اى لاخائفين ولامحزونين .

اقول وخصوصيات هذا الحديث مستفادة من خصوصيات آيات الاعراف والاخبار فيهذه المعانى كثيرة مروية فى تفسيرى القمى والعياشى وفى الكافى والبصاير و المجمع والاحتجاج هذا .

والبرهان المذكور سابقاربما استفيد منه هذا الموقف وهو وصول قوم الى مقام ينشعب منه مقام الفريقين و لحوق الضعفاء و المتوسطين بهم وبه يظهر ان الاعراف ليس موقفا ذامرتبة واحدة بل ذومراتب ولذلك لانرى تصريحا منه سبحانه ان المستضعفين على الاعراف كالرجال الذين يحكمون فيها و انما المفهوم انهم عندهم يشيرون اليهم و يخاطبونهم ويأمرونهم ويؤمنونهم .

فصل ۱۴

فى الجنة بسط الكلام فيها وشرح ماتضمنته الايات والاخبار على

كثرتها فيها اوسع من مجال هذه الرسالة فقد وردت فى كتاب الله تعالى فى وصف الجنة مايقرب من ثلثمأة آية و ذكرها مطرد فى جميع سور القرآن الا عشرين سورة هى سورتا الممتحنة والمنافقين و ثمان عشرة سورة من السور القصار لكنا نتعرض لكليات اوصافها على حسب المقدور.

فاعلم ان المستفاد من كلامه سبحانه ان هناك ارتباطا مخصوصا بين الارض وبين الجنة قال سبحانه **وقالوا الحمدلله الذى صدقنا وعده و اورثنا الارض نتبوّ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين** و لعل قولهم صدقنا وعده اه اشارة الى قوله سبحانه **ان الارض يرثها عبادى الصالحون** والوراثة هى ان تملك شيئا بعد ما ملكه آخر قبلك وتخول منه ماخوله سلفك فالميراث يحتاج الى شىء ثابت اعتورته يد بعديد وقام به خلف بعد سلف وكان مقتضى ظاهر السياق فى بيان صدق الموعد ان يقال واورثنا الارض نتبوّ منها اويقال واورثنا الجنة نتبوّ منها فالعدول عن ذلك الى ماترى يعطى ارتباطا ما و اتحادا مخصوصا بين الارض و الجنة كما ترى.

وقداخبر سبحانه بتبديل الارض يوم القيمة تارة فقال **يوم تبدل الارض غير الارض**.

و باشراقها بنور ربها تارة فقال **و اشرقت الارض بنور ربها**.

و بقبضها تارة فقال **والارض جميعاً قبضته يوم القيمة** و يشير الى مامر بقوله **وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار**.

و اصرح منه قوله سبحانه **و الذين صبروا ابتغاء وجه ربهم**

و اقاموا الصلوة و انفقوا مما رزقناهم سرا و علانية و يدرؤن بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم و ذرياتهم و الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بماصبرتم فنعم عقبى الدار .

فقد فسر ووصف عقبى الدار بجنات عدن يدخلونها و الدخول يستدعى خروجا ما سابقا فمثلهم كمثل الذى يسكن ارضا ثم يعمر فيها دارا يسكنها ثم يزين قبة من قبابها فيدخلها فانما هو اوج بعد حضيض او ارتقاء بعد ارتقاء قال سبحانه كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل واتوا به متشابها .

وهناك آيات أخر تشعر بذلك كقوله سبحانه ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين وقوله تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا وقوله و تلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون .

وفى المجمع عن النبى (ص) مامن احد الا و له منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار و المؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله اورثتموها بما كنتم تعملون .

اقول و الرواية لوصحت لم تناف ماذكرناه من وراثة الأرض و كذلك سياق قوله سبحانه قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وهو ظاهر هذا والبرهان السابق تستفاد منه هذه الوراثة .

ثم اعلم انه سبحانه كرر الوعد بتطهير الجنة و اهلها و تطييبها من الكدورات و الظلمات قال تعالى سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين فالتفريع بالفاء يعطى طيب المنزل كطيب النازل وقال سبحانه سلام عليكم بماصبرتم فنعم عقبى الدار و التفريع فيها يعطى طيب المنزل وهوالارض بطيب النازل بالصبر والفرق من جهة ان السلام الاول شكر والثانى فى مقام البشرى.

وقال سبحانه ومساكن طيبة فى جنات عدن و قال و نزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين وقال لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب الى غير ذلك من الايات و اجمعها معنى قوله سبحانه ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون.

فالخوف انما يكون من المكروه المحتمل والحزن على مكروه واقع فقد نفى سبحانه كل نقيصة و عدم واقع فى الموجود و محتمل فاصحاب الجنة مبرئون عن النواقص والاعدام وكاملون فى وجوداتهم فلا مزاحمة من مزاحمات الدنيا هناك اصلا فهى المرفوعة عنهم فهم المفلحون المغشيون بالامن والسلام قال سبحانه ادخلوها بسلام آمنين وقال لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما.

ثم اعلم انه سبحانه وعدهم فيها كل لذة و بهجة و جمال وكمال قال سبحانه لهم ما يشائون عند ربهم و قال نحن اوليائكم فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم.

واكثرالايات واردة فى وصف خصوصيات من قصورها وحورها وطيورها واشجارها و اثمارها و انهارها و فواكهها و ظلها و شرابها و غلمانها و خلودها و ينبغى لك ان تفهم منها معانيها مطلقة غير مشوبة بالنواقص و الاعدام .

ثم اعلم انه سبحانه وعدهم امرا وراء ذلك فقال فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة اعين جزائا بماكانوا يعملون و هذا الوعد بعد ماوصف سبحانه عطائه بكل صفة جميلة بليغة يعطى انه امروراء مايسعه افهام النفوس .

وقد روى القمى فى تفسيره عن عاصم بن صمد عن الصادق (ع) فى حديث يصف فيه الجنة قال قلت جعلت فداك زدنى فقال ان الله خلق جنة بيده ولم يرها عين ولم يطلع عليها مخلوق يفتحها الرب كل صباح فيقول ازدادى ريحا ازدادى طيبا وهو قول الله فلاتعلم نفس ماأخفى لهم من قرة اعين جزاء بماكانوا يعملون .

اقول و قوله جزائا بما اه يعطى ان هذا الذى فوق فهم الافهام اخفيت للانسان بازاء العمل جزائاله وقد قال سبحانه لهم مايشائون فيها فكل ماتتعلق به المشية مملوك للانسان هناك وقال ايضا وان ليس للانسان الا ماسعى و ان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى فكل ما يحباه الانسان هناك اعم مما يسعه الفهم ومالايسعه مملوك له لمكان قوله لهم اه وواقع تحت المشية المطلقة لقوله مايشائون اه لكن الاية تفيدان للانسان كمالا فوق مرتبة الفهم يمكن ان يملكه بالعمل وهوظاهر ولعل

ذلك مايفيده قوله سبحانه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وهو المشاهدة بالقلوب فى غير جهة ولاجسم ولاتشبيه لقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحا و لا يشرك بعبادة ربه احدا حيث رتب اللقاء على العلم النافع و العمل الصالح ثم انه قال سبحانه لهم مايشائون فيها ولدينا مزيد فاثباته المزيد لديه بعد مااخبر ان لهم كل مايتعلق به مشيتهم يعطى انه امر لايقع تحت مطلق المشية و لاشك انه كمال وان كل كمال تقع تحت المشية فليس الاانه كمال غير محدود فلايقع تحت المشية اذ كل مايقع تحتها يصير محدودا هذا .

و فى تفسير القمى فى قوله و لدينا مزيد قال (ع) ينظرون الى رحمة الله .

اقول و لعل الرواية مستفادة من قوله تعالى ليجزيهم الله احسن ما عملوا و يزيدهم من فضله و الله يرزق من يشاء بغير حساب فبين ان المزيد الذى هو رزق بغير حساب من الفضل و قد قال و لولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من احد ابدا .

فالفضل من الرحمة وهى الرحمة من غير استحقاق و قال سبحانه و رحمتى وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون فهذا المكتوب لهم الذى لايسعه شيء هو المزيد ولئن تدبرت فى قوله سبحانه فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة و قوله اهؤلاء الذين اقسمتم لاينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة الاية وقوله ان رحمة الله قريب من

المحسنين وقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قضيت ان الرحمة هي الجنة بوجه بل ان الجنة من مراتبها .

فصل ١٥

في النار اعاذنا الله سبحانه منها والايات الواردة في تفاصيل العذاب و الاخبار بها اكثر عددا من آيات الجنة فهي تقرب من اربعماة آية و ماخلت عن ذكرها تصريحا او تلويحا الا اثنتا عشرة سورة من السور القصار وكيف كان فجملة حالهم انهم محرومون من الحيوة الحقيقية الاخروية قال سبحانه قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون و قد قال سبحانه في وصف الاخرة وان الدار الاخرة لهي الحيوان و هي الرحمة الالهية التي هي منبع كل كمال و جمال كما قال و رحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون و هي تفيد انهم في عين حرمانهم منها مشمولون لها و قد قال وبينهما حجاب وقال فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ويتحصل منه انهم في عين مشموليتهم للرحمة محرومون عنها لكونها في باطن حجاب هم لايجاوزون ظاهره و قد مر بيانه في فصل الاعراف فالحجاب هو الذي يمنعهم من النعيم و ظاهره هو الذي يعذبون به و قد بين سبحانه انهم انما يعذبون باعمالهم السيئة باقسامها فاعمالهم هي انواع عذابهم و الاصل الذي ينشعب منه هذه

الانواع هو اصل الحجاب لهم وهو الغفلة قال تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن و الانس لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم اعين لا يبصرون بها و لهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون و قال سبحانه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فهم متوقفون فى حجاب اعمالهم و قد قال سبحانه و قدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هبائا منثورا .

و قال اعمالهم كسراب بقيعة يحسبة الظمان ماءا حتى اذاجائه لم يجده شيئا و وجدالله عنده فوفيه حسابه .

و قال الم تر الى الذين بدلوا نعمةالله كفرا و احلوا قومهم دارالبوار جهنم يصلونها وبئس القرار .

و قال ومكر اولئك هو يبور .

فمقامهم سراب الاوهام دون الحقيقة والظاهر دون الباطن والبوار والهلاك دون الحيوة وموطنها كلها هو الدنيا التى حيوتها متاع الغرور و لذلك فلها ارتباط خاص بجهنم قال سبحانه و ان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال سبحانه فى سورة السجدة ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها و لكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة و الناس اجمعين .

و هذه من ابلغ الايات فى الكشف عن شان جهنم و لذلك ورد

عنهم (غ) كما فى ثواب الاعمال عن الصادق (ع) من اشتاق الى الجنة والى صفتها فليقرء الواقعة ومن احب ان ينظر الى صفة النار فليقرء سجدة لقمن وفى معنى الاية السابقة قوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه الى اسفل سافلين الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون.

ومن مامر يظهر معنى صنف آخر من الايات كقوله سبحانه فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة و قوله قوا انفسكم و اهليكم نارا وقودها الناس والحجارة.

والمراد بالحجارة بقرينة المورد هى الاصنام المتخذة من الحجارة المعبودة من دون الله.

و قوله سبحانه اولئك هم وقود النار و قوله سبحانه انكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم و قد استدرك سبحانه المعبودين من دون الله من عباده الصالحين بقوله بعد الاية ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون و قوله سبحانه نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة الايات.

و اعلم ان ما مر اصول صفة النار و هى المستفادة من البرهان السابق.

فصل ١٦

فى عموم المعاد قال سبحانه ماخلقنا السموات و الارض و ما

بينهما الا بالحق واجل مسمى افاد ان خلقة ما فى السموات و الارض وما بينهما مقرون بالحق واجل مسمى و الباء للسببية او للمصاحبة وقد عرفت فى الفصل الاول ان الاجل المسمى هو الحيوة عند الله حيوة تامة سعيدة من غير فناء وزوال ولاشوب بمزاحمات الحيوة الدنيا و آلامها واعراضها و اغراضها وهى حيوة الدار التى نزلت منها كما قال سبحانه و ان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فمنبع حيوة جميع هذه الموجودات على كثرتها وتفصيلها حيوة تامة غير محدودة ومعادها الى مابدئت منه.

وهذا هو الذى يعطيه كون الخلقة بالحق فان الباطل هو الفعل الذى لاينتهى الى غاية تكون هى المنتهى اليها والمراد بالفعل و من المحال ان يكون المراد والغاية بالفعل نفس الفعل وبالخلق نفس الخلق الا ان يكون كاملا فى اصل وجوده غير متدرج من النقص الى الكمال ثابتا غير متغير فالبراهين مطبقة على ذلك على انه من القضايا التى قياساتها معها.

و مثل الاية السابقة قوله سبحانه و ما خلقنا السماء و الارض وما بينهما باطلا وحيث لم يفرق سبحانه فى السياقين بين الموجودات الحية باعتقادنا وغيرها و العاقلة و غيرها علمنا بذلك ان حكم المعاد و الحشر يعم الجميع.

ثم انه سبحانه قال فى خصوص الاحياء من خليقة الارض وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون.

وظاهر آخر الاية ان حشرهم انما هو لكونهم اممًا امثال الناس غير باطل الخلق ففيهم غاية مقصودة من الخلقة وهى العود فالفرق والنشر مقصود للجمع والحشر كما ان الجمع والحشر مقصود للفرق و النشر يعطى ذلك قوله سبحانه و ان من شيء الا عندنا خزائنه وكك صفاته و اسمائه تعالى فافهم ان كنت من اهله انشاءالله .

فحشرهم الى ربهم نتيجة كونهم اممًا امثال الناس او كالنتيجة له و يبين السبب فى ذلك قوله تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شى اه فانه الكتاب الحق الذى يقول فيه هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وحقية الكتاب تعطى ان لاتكون الاختلافات التى تجعل الدواب و الطير امة امة يفترق كل امة عن غيرها باشكال وصور وافعال و خواص فيها لغوا باطلا بل مؤثرا فى الغاية و المنتهى من دون استهلاك لها و زوال فى الوسط قبل البلوغ الى الغاية و الاكان الاختلاف باطلا و تفريطا فى الكتاب مخلا لاتقانه فقد تحصل ان الحيوانات الارضية امم امثال الناس بينهم و لهم ماللناس من العود الى ربهم والاجتماع عنده سبحانه وقال سبحانه ايضا **ومن آياته خلق السموات و الارض و ما بث فيهما من دابة و هو على جمعهم اذا يشاء قدير** فعمم الحكم الى كل ذى روح فى السموات والارض و مثله قوله سبحانه **ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد احصيهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا .**

و قول عبدا اه يعطى ان لكل منها عبودية بحسب نفسه و نسكا

الهيا يتقرب به الى ربه وقد مر تفسير الفرد.

واعلم ان قوله وكلهم آتيه يوم القيمة فردا على ما يفسره الايات من معنى الفرد يعطى لقوله وهو على جمعهم اه معنى آخر غير مايتسابق الى الفهم من معنى الجمع وقد تكرر اطلاق الجمع والحشر على البعث فى الايات كقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه و قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وبذلك يتضح معنى قوله سبحانه و سيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا و قوله و سيق الذين كفروا الى جهنم زمرا و قوله ليميز الله الخبيث من الطيب و يجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم.

ولنرجع الى ماكنافيه ويشير الى بعث غير ذوى الروح والشعور قوله سبحانه و من اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة و هم عن دعائهم غافلون و اذا حشر الناس كانوا لهم اعدائا وكانوا بعبادتهم كافرين و ضمير كانوا فى الموضعين راجع الى المعبودات من غير الله كما يدل عليه قوله سبحانه ذلكم الله ربكم له الملك و الذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم و يوم القيمة يكفرون بشركم ولا ينبئك مثل خبير وكفرهم قولهم على ماحكاه سبحانه تبرأنا اليك ماكانوا ايانا يعبدون.

وبالجملة فقوله من لا يستجيب له اه ظاهر الدلالة على انه المعبودات من غير الله من النبات والجماد غير البشر والملئكة فهم مبعوثون ليوم القيمة

بدلالة قوله و اذا حشر الناس كانوا لهم اعدائا اه و يدل عليه بعينه قوله سبحانه اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون .

واعلم ان ظاهر هذه الايات ملازمة البعث مع الحيوة والعلم كما يفيده حال الضمایر فی الایات فما الطف اشارة قوله ومن آیاته خلق السموات و الارض و ما بث فیهما من دابة و هو علی جمعهم اذا یشاء قدیر و قد مر فی فصل الشهود ان ظواهر الایات تعطی سرایة الحیوة والعلم الی جمیع الموجودات .

واعلم ان ماذکرناه من شمول البعث لغیر البشر والملك من سایر ماخلق الله تعالی فی السموات والارض ومابینهما هو الذی یدل علیه الاخبار الا انها متفرقة مثل ما یدل علی ان کلب اصحاب الکهف و ناقة صالح و النعم التی حج علیها ثلث سنین او سبعا تدخل الجنة و ان الوحوش والکلاب تدخل النار تنهش المجرمین قال تعالی واذا الوحوش حشرت.

وماورد ان الله تعالی یاخذ یوم القیمة للجماء من القرناء رواه فی المحاسن عن امیر المؤمنین (ع) وفی المجمع عن النبی (ص) .

وماورد من قوله (ص) حین رای ناقة معقولة و علیها جهازها این صاحبها مروه فلیستعد غدا للخصومة رواه فی الفقیه عن النبی (ص) وما ورد عنهم (ع) فی مانع الزکوة انه تنهشه کل ذات ناب بنابها و تطئه کل ذات ظلف بظلفها وماورد فی الضحایا الی غیر ذلك .

واعلم ان الایات غیر متعرضة لحال بعث من خلقه الله تعالی فیما وراء السموات والارض وهم جماعة من خلق الله تعالی لایحد وجودهم حد

ولايقدر ذواتهم قدر فهم ارفع من الحد والقدر فلايتصور فى حقهم بعث واعادة غير اصل خلقهم والصفات التى تبرز يوم القيمة حاصلة عندهم دائما وقد ذكرناها فى الفصل الرابع فالبدء و العود فى حقهم واحد و لذلك لم يرد فى كلامه سبحانه مايشعر بالبعث فى حقهم هذا .

ويلحق بهم فى ذلك المخلصون فقد مر نبذة من حالهم فى تضاعيف الفصول الماضية فهم عندالله لا يحجبهم عنه حجاب مستور ليسوا فى سماء ولاارض وهم المهيمنون على الجميع المتوسطون بينه وبين خلقه فى المبدء والمعاد وهم المستثنون من حكم قبض ملك الموت و اعوانه و الامنون من فزع النفخة و صعقتها و هم غير محضرين لعرصة المحشر وهم الساكنون فى الحجاب الحاكمون بين الناس ولبيان ازيد من هذا من صفاتهم مقام آخر .

واعلم ان مامر هو المستفاد من البرهان على مايعطيه الاصول السابقة فان الغاية عين الفاعل بالضرورة فما بدء منه شىء فى وجوده وتعين من لدنه فى ذاته لابدان يكون هو المنتهى اليه وجوده .

و من هنا يظهر ان كلا من الجنة و النار ذات مراتب و درجات فمراتب الجنة آخذة من تحت الى فوق ومراتب النار بالعكس من ذلك .

ومن هنا يظهر ان كل درجة عالية فى الجنة مرتبة لفاعل ذى الدرجة الدانية ولو تصور فى النار مثل ذلك لكان الامر بعكسه .

ومن هنا يظهر معنى اللحوق والشفاعة وقد مر مرارا ويظهر معنى جم غفير من الايات والروايات والله الهادى وهو المعين .

خاتمة

وقد عزمنا فيما مر على تخصيص فصل مستقل فى آخر الرسالة بالكلام فى معنى المغفرة لكن ضيق المجال وتراكم الاشغال منعنا عن الكلام وحجب دون المرام والله سبحانه اسئل ان يوفقنى ان الحق فصلا بهذه الرسالة يتبين به ماكنا نريده من وضع الكلام فى ذلك و ارجوه ان يشاء ذلك فانه على كل شيء قدير .

و اعلم ان نوع الكلام فى مباحث المعاد طويل الذيل مبسوط الاطراف ويهديك الى ذلك ان تتدبر فى ماورد فى كل من المبدء والمعاد من الايات القرآنية والبيانات الالهية .

والذى صدنا عن الغور فى ازيد مما تشاهده فى تضاعيف الفصول السابقة هو ايثار الاختصار على ان بسط المقال بازيد ممارايت غير ميسر ولاميسور عند الباحثين عن الحقايق ولذلك فالاشارات فيهذه المطالب تغلب العبارات و لذلك غيرنا اسلوب هذه الرسالة عن ساير الرسائل المتقدمة عليها .

الحمد لله على الاتمام بالدوام والصلوة على اوليائه المقربين سيما سيدنا محمد وآله والسلام وقع الفراغ فى العشر الاول من شهر جمادى الثانية من شهور سنة الف وثلثماة وواحد وستين هجرية قمرية

وانا العبد محمد حسين الحسنى الحسينى الطباطبائى

كتبت فى قرية شاذاباد من اعمال بلدة تبريز

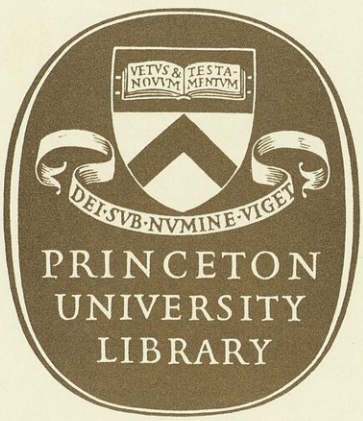
VETVS & NOVVM TESTA-MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY